

أَعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيِّنَاتُهُ

تأليف الأستاذ

محيي الدين الإدريش

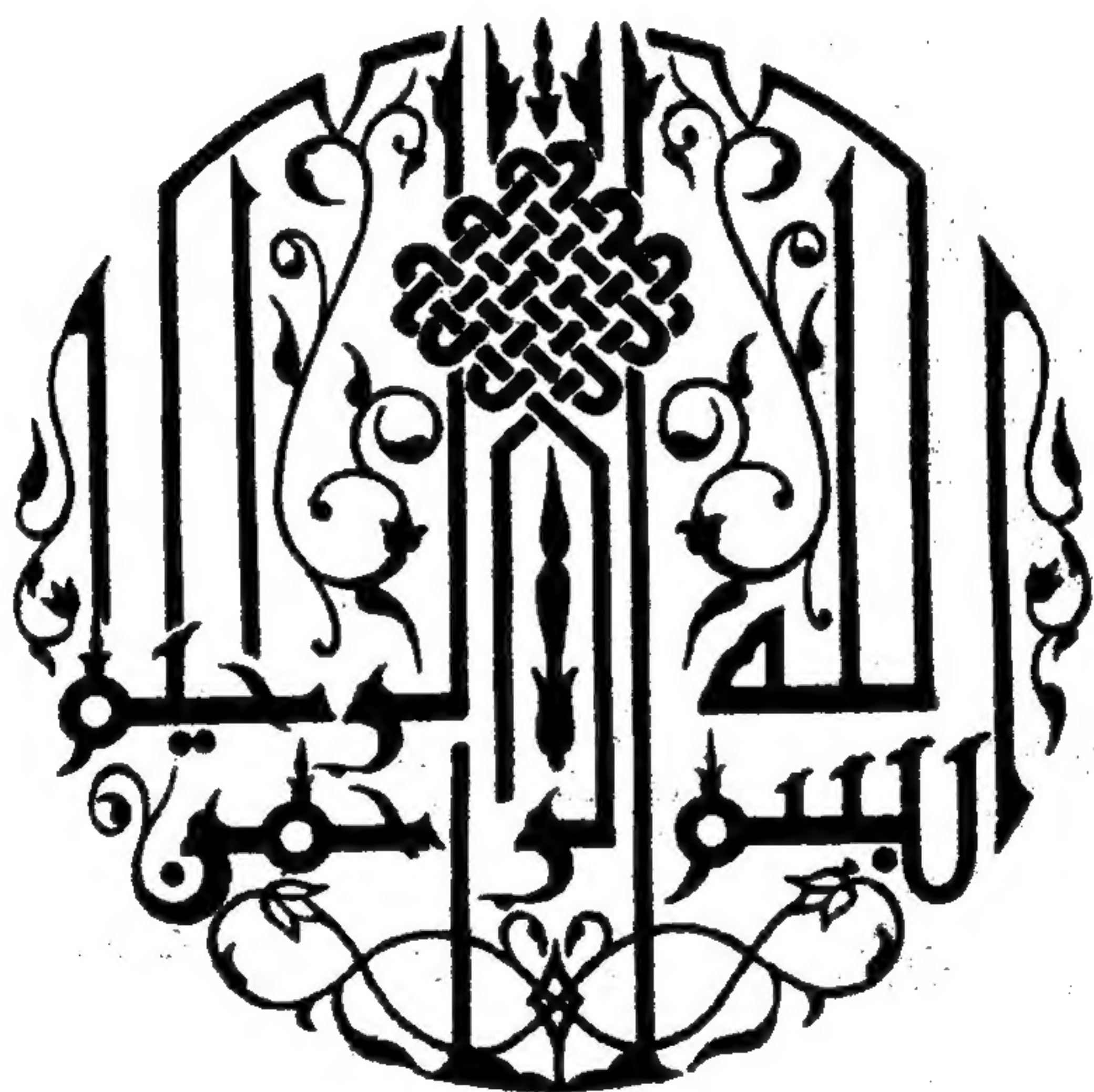
المجلد الثاني

الطبعة الأولى - الطبعة الثانية - الطبعة الثالثة

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد - بيروت

الجماعة
للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
بغداد - حيدرآباد



الحمد لله الذي
وحيه

جميع الحقوق محفوظة

لدار الاسرار

دمشق - سورية

الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء غولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧

بيروت - ص.ب ٦٣١٨ / ١١٣

الهيئة للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - بزمكة - جانب الهجرة والجوازات

ص.ب ٣٧٧ - هاتف ٢٤٢٢٤٥ - بيروت - ص.ب ٥٤٨٨ / ١١٣



﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ
مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن
ءَامَنَ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ ﴿٩٩﴾ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾

اللفظة :

(العوج) بكسر العين وفتحها ، معروف ، ولكن العرب فرقوا
بينهما جرياً على سلاقتهم في التصرف بهذه اللفظة الشريفة ، فخصوا
المكسور بالمعاني ، والمفتوح بالأعيان . تقول : في كلامه عوج بالكسر .
وفي الجدار عوج بالفتح .

الاعراب :

(قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق
للإنكار على الذين يكفرون بآيات الله . وقل فعل أمر وفاعله أنت
ويا حرف نداء للمتوسط وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف
جر وما اسم استفهام إنكاري في محل جر باللام وحذفت ألف ما
الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها والجار والمجرور متعلقان بتكفرون
وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون أيضاً وجملة النداء
استثنائية (والله شهيد على ما تعملون) الواو حالية والله مبتدأ وشهيد
خبر والجار والمجرور متعلقان بشهيد وجملة تعملون صلة وجملة والله
شهيد حالية (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله) كلام

مستأنف لتأكيد الافكار والتوبيخ وقد تقدم إعراب مثلها • (مَن آمن) من اسم موصول مفعول به لتصلون وجملة آمن لا محل لها لأنها صلة « من » (تبغونها عوجاً) الجملة حالية ، وتبغونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعوجاً حال وقع فيها المصدر موضع الاسم المشتق أي معوجة وفي هذا الإعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريق المبالغة في مثل رجل صوم ، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم • وقيل : الهاء في تبغونها ضمير منصوب بنزع الخافض • وعبرة ابن جرير الطبري : « ومعنى قوله « تبغونها عوجاً » تبغون لها عوجاً » ، وعليه قول سحيم عبد بني الحسحاس :

بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعداً

يعني طلبك وما تطلبه يقال : ابغني كذا ، يراد ابتغ لي ، فإذا أرادوا : أعني على طلبه وابتغ معي ، قالوا : ابغني بفتح الهمزة ، وهو قول سليم • (وأتم شهداء) الواو حالية وأتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وشهداء خبر والجملة الاسمية حالية (وما الله بغافل عما تعملون) الواو للحال أيضاً وما نافية حجازية والله اسمها المرفوع والباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر « ما » وعما جار ومجرور متعلقان بغافل وجملة تعملون صلة ما الموصولية •

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٌ ﴿١٠﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب)
 كلام مستأنف مسوق لإيراد خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية
 التي يتسيزون بها ، وبا حرف نداء للمنادى المتوسط وأي منادى نكرة
 مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والذين بدل وجملة
 آمنوا صلة الموصول وإن شرطية وتطيعوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف
 النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وفريقاً مفعول به ومن الذين
 جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله فريقاً وجملة أوتوا الكتاب
 صلة والكتاب مفعول به ثان لأوتوا المبني للمجهول (يردوكم بعد
 إيمانكم كافرين) يردوكم جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف
 النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والكاف مفعول به أول
 ليردوكم وبعد إيمانكم ظرف متعلق بكافرين وكافرين مفعول به ثان
 (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله) كلام مستأنف
 مسوق لتوجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر عن
 طريق المبالغة ، وكيف اسم استفهام إنكاري مبني على الفتح في محل
 نصب على الحال وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو
 فاعل وأنتم الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتلى
 فعل مضارع مبني للمجهول والجملة خبر وعليكم جار ومجرور متعلقان
 بتلى وآيات الله نائب فاعل (وفيكم رسوله) الواو حالية أو عاطفة
 وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ورسوله مبتدأ مؤخر
 (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) الواو استئنافية
 ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعتصم فعل الشرط وفاعله

ضمير مستتر تقديره هو وبالله جار ومجرور متعلقان بيعتصم فقد :
الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وهدى فعل ماض مبني للمجهول
وفائب الفاعل هو والى صراط جار ومجرور متعلقان بهدي ومستقيم
صفة وجملة فقد هدي في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط
وجوابه خبر من .

الفوائد :

لمحة تاريخية :

لليهود أصالة راسخة في إحداث التفرقة بين الأمم والشعوب ليضمنوا
لأنفسهم السيادة والاستعلاء المزعومين ، وهي خلة من خلال اليهود
مستوحاة من العنصرية التي يميزون بها ، ويشتدون في الدعاية لها .
وفي معرض نزول هذه الآية يروي التاريخ أن شاساً بن قيس اليهودي ،
وكان شيخاً طاعناً في السن ، ممعناً في اللجاجة واللد ، يكره المسلمين
ويربص بهم الدوائر للإيقاع بهم وتفريق شملهم الملتئم ، مر شاس
هذا بنفر من الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاضه ما
رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام ، بعد الذي كان بينهم
من العداوة والبغضاء في الجاهلية . فقال : والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا
من قرار . فأمر شاباً من اليهود وكان معه فقال له : اعمد إليهم واجلس
معهم وذكرهم يوم يبعث وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ما كانوا
يتناشدونه من أشعار تستهدف إثارة الحفاظ (وبعث بضم الباء وهو
يوم مشهور اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس) ففعل
الشاب اليهودي ما أمره به شاس ، فتنازع عند ذلك القوم ، وأنبعثت
أسباب الخصام من جديد ، وتهاخروا وتغاضبوا وتبادلوا الشتائم ،
وتنادوا : السلاح السلاح ، وكادوا يمتشقون السيوف : فبلغ ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار ، فقال : يا معشر المسلمين ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم إصر الجاهلية ، وألف بين قلوبكم ، ترجعون الى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من غدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين . فسا كان يوم أقبح أولاً وأحسن آخرأ من ذلك اليوم .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١١٠) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١١﴾

اللفظة :

(واعتصموا) الاعتصام : الالتجاء والتمسك ، وأنا معتصم بفلان ومستعصم به ومعتصم بحبله ، ونحن في عصمة الله ، وكل ما عصم به الشيء - أي : حفظ وصين - فهو عصام . وللعين والصاد - إذا كاتتا فاءً وعيناً للكلمة - خصائص لغوية رائعة ، فهما تدلان على الشدة

والمنعة وما هو بمعناها من الحفظ والتأني ، فيقال : فلان لا تعصب
سلماته ، أي : لا يقهر ، قال الكميّ بن زيد :

ولا سمراتي يتغيهن عاضد ولا سلماتي في بجيلة تعصب

وفلان معصوب الخلق : مطويه مكتنز اللحم . وكانوا إذا سودوا
إنساناً عصبوه . وهذا يوم عصيب وعصبصب أي : شديد . وفلان
يتعصب لقومه . وعصر معروف ، ولا بد من استعمال شدة في العصر ،
وهذا أمر قد تعصرت الشيبة به وبلغت الأشد عليه . والمعصرات :
انسحب التي تمطر الماء . وعصفت الريح فهي عاصف ومعصفة ، وهي
أشد ، وعصف بهم الدهر : أودى بهم وأبادهم ، قال عدي بن زيد :

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

وجعلهم كعصف مأكول معروف ، ويقال للجائع : صاحت عصافير
بطنه ، وهو تعبير عامي فصيح ، أي : صوتت بشدة . وسمي العصفور
لأنه لا ينفك عن الزقزقة . وهب النعمان للناطقة مائة من عصافيره ، وهي
نجائب كانت له ، انتهت في يوم دارة مأسل ، قال ذو الرمة :

نجائب من ضرب العصافير ضربها أخذنا أباهما يوم دارة مأسل

ولو شئنا الاستقصاء لأسمعناك العجب العجائب فحسبنا ما تقدم .

(شفا) الشفا : طرف الحفرة ، بالتذكير والتأنيث . وسيأتي
المزيد من الكلام عنها في باب الفوائد .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) كلام مستأنف مسوق

لما فيه تكميل المؤمنين لأنفسهم ، وقد تقدم إعراب النداء فجدد به عهداً . واتقوا فعل أمر والواو فاعل والله مفعول به وحق ثقاته مفعول مطلق ، والإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، والأصل الثقة الحق ، والثقة مصدر تقدم تحقيقها (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) الواو حرف عطف ولا ناهية وتموتن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل والنون المشددة للتوكيد ولا محل لها وإلا أداة حصر والواو حالية وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر والجملة الاسمية نصب على الحال (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) الواو عاطفة واعتصموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبحبل الله جار ومجرور متعلقان باعتصموا وجميعاً حال ولا ناهية وتفرقوا فعل مضارع حذف إحدى تاءيه جوازاً ، وأصله تفرقوا مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون (واذكروا نعمة الله عليكم) الواو حرف عطف واذكروا فعل أمر معطوف على اعتصموا ونعمة الله مفعول به وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة (إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا وجبلة كنتم في محل جر بالإضافة إليها وكنتم فعل ماض ناقص واسمها أعداء خبرها والفاء عاطفة وألف فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الله وبين ظرف متعلق بألف وقلوبكم مضاف إليه (فأصبحتم بنعمته إخواناً) الفاء عاطفة وأصبحتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وبنعمته جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإخوانا خبر أصبحتم (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) عطف على ما تقدم وكان واسمها وعلى شفا حفرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ومن النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحفرة فأنقذكم عطف على كنتم ومنها

جار ومجرور متعلقان بأنقذكم (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، وقد تقدم كثيراً ، ويبين الله فعل مضارع وفاعل وآياته مفعول به والجملة مستأنفة ولعل واسمها ، وجملة تهتدون خبرها وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

١ - الاستعارة التشيلية في الاعتصام بحبل الله ، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال من يمسك بحبل وثيق ، وقد تدلى من مكان عال ، فهو آمن من انقطاعه وانباته . وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبل الله المتين ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد . من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم » .

٢ - الطباق بين أعداء وإخوان .

الفوائد :

١ - الشفا في الأصل مذكر ، وقد عاد الضمير عليه في الآية مؤنثاً لأنه اكتسب التأنيث بإضافته إلى الحفرة . والقاعدة المطردة هي أن المضاف المذكر قد يكتسب من المضاف إليه المؤنث تأنيثه وبالعكس ، وشرط ذلك في صورتين صلاحية المضاف للاستغناء عنه بالمضاف إليه مع صحة المعنى . فمن الأول قول الأغلب :

طول الليالي أسرع في تقضي تقضن كلي وتقضن بعضي

فأنت « أسرع » مع أنه خبر عن مذكر إلا أنه اكتسب التأنيث من « الليالي » . وعليه يفسر قول مجنون ليلى :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
ومن التصوير الثاني قول الآخر :

إثارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

فذكر « مكسوف » مع أنه خبر عن مؤنث وهو « إثارة » لأنها
اكتسبت التذكير من إضافتها إلى العقل وهذا باب هام فتأمل .

٢ - (أصبح) تستعمل لاتصاف الموصوف بصفة وقت الصباح ،
وتستعمل بمعنى صار فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال
والصيرورة من حال إلى حال ، قال الربيع بن ضبع :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن تفرا

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴿

الاعراب :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) كلام معطوف على ما قبله
من عطف الخاص على العام مسوق لبيان رأس الخيرات . والواو حرف

عطف ولك أن تجعلها استثنائية والجملة من أنفة مسوقة لبيان ما تقدم واللام لام الأمر وهي تسكن بعد الواو والفاء وثم ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلام الأمر ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لتكن وأمة اسمها المؤخر وجملة يدعون إلى الخير في محل رفع صفة لأمة ويجوز أن تكون جملة يدعون هي الخبر ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة تقدمت على الموصوف فأعربت حالاً وإلى الخير جار ومجرور متعلقان بيدعون (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الجملتان معطوفتان على جملة يدعون إلى الخير (وأولئك هم المفلحون) تقدم إعرابها كثيراً (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) الواو عاطفة ولا فاهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة تفرقوا صلة الموصول (واختلفوا من بعد جاءهم البينات) الواو عاطفة واختلفوا عطف على تفرقوا ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلفوا وما مصدرية مؤولة مع جاءهم البينات بمصدر مضاف لبعدها والهاء مفعول به مقدم والبنات فاعل مؤخر (وأولئك لهم عذاب عظيم) الواو استثنائية أو عاطفة واسم الإشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة .

البلاغة :

١ - في الآية عطف الخاص وهو باب دقيق المسلك يبدو كآخذة السحر فهو يؤذن بمزيد العناية بالخاص ، وتفصيل ذلك أن الدعوة

إلى الخير عامة وإردافها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤذن باختصاصهما بزيادة من العناية وإظهار فضلها على سواهما من الخيرات.

٢ - المقابلة : فقد طابق بين الأمر والنهي وبين المعروف والمنكر .

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِهِ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

الاعراب :

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الظرف متعلق بحذوف تقديره : اذكر ، فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال الفريقين . وجملة تبيض وجوه في محل جر بإضافة الظرف اليها . ووجوه فاعل ، وتسود وجوه عطف على تبيض وجوه (فأما الذين اسودت وجوههم) الفاء للتفريع وفيها معنى الاستئناف فتكون الجملة مستأنفة وأما حرف شرط وتفصيل والذين اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة اسودت وجوههم صلة (أكفرتم بعد إيمانكم) الجملة مقول قول محذوف مع الفاء الرابطة لجواب أما ، أي : فيقال لهم : أكفرتم ، وجملة « فيقال » خبر الذين وهي جواب « أما » وشرط « أما » لا يذكر صريحاً بل التزموا حذفه ، ويظهر عند حل المعنى والتعبير بما

نابت عنه « أما » وهو مهما ، والتقدير : مها يكن من شيء فأما الذين اسودت يقال لهم كذا ، فاحفظه وقس عليه ، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وكفرتهم فعل وفاعل وبعد ظرف متعلق بكفرتهم وإيمانكم مضاف إليه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عما هو مقدر أي اذا عرفت ذلك فذوقوا العذاب ، وبما جار ومجرور متعلقان بذوقوا وما مصدرية وهي مع مدخولها في محل جر بالباء أي بسبب كفركم وجملة تكفرون في محل نصب خبر كنتم (وأما الذين ابيضت وجوههم) تقدم إعرابها (ففي رحمة الله هم فيها خالدون) الفاء رابطة لجواب أما والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر الذين وهم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدون وخالدون خبرهم وجملة هم فيها خالدون حالية .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن التدييج وهو فن دقيق المسلك، حلو المأخذ ، رشيق الدلالة ، وحده أن يذكر الشاعر أو الناثر لونين أو أكثر ، يقصد بذلك الكناية أو التورية عما يريد من أغراض ، وقد لا يقصد غير الوصف . فالبياض والسواد لونان متضادان ، والتضاد يعني التطابق ، ولكنه كنى بهما عن فريقين من الناس ، فمن كان من أهل الحق وسم ببياض اللون ونصاعته ، ومن كان من أهل الباطل وسم بسواد الليل وحلكته ، ولا يخفى ما في ذلك من التهويل ، وتباين المصير المحتوم لكل من الفريقين . ومن طريف التدييج في الشعر وما ينطوي عليه من كناية قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي شهيد الجهاد :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجا لها الليل الا وهي من سندان خضر

والتدبيج تفعليل من الدبج وهو النقش والتزيين ، وأصل الديباج غارسي معرب . ومن طريقه قول صفي الدين الحلبي :

بيض صائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

٢ - الاستعارة في « ذوق العذاب » فقد شبهه بالمر مما يؤكل ، ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الذوق . ولا يخفى ما فيه من الشعور بالمرارة ، وذلك على طريق الاستعارة التبعية المكنية .

٣ - المجاز المرسل في « رحمة الله » والعلاقة فيه الحالية ، لأن الرحمة لا يحل فيها الإنسان وإنما يحل في مكانها ، وهو الجنة .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَالَمِينَ ١٥٨ ﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ١٥٩ ﴿

الاعراب :

(تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق) كلام مستأنف مسوق لبيان ما اشتمل على نعيم الأبرار وعذاب الكفار . واسم الإشارة مبتدأ وآيات الله خبره وجملة تتلوها عليك حالية أي متلبسة بالحق ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أيضاً (وما الله يريد ظلماً للعالمين) الواو استئنافية وما نافية حجازية والله اسمها وجملة يريد في محل نصب

خبرها وظلياً مفعول به وللعالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة
 ١ « ظلياً » والعالمين مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بجمع
 المذكر السالم (ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية
 ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ
 مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة للموصول لا
 محل له من الإعراب وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (وإلى
 الله ترجع الأمور) الواو حرف عطف وإلى الله جار ومجرور متعلقان
 بترجع وترجع فعل مضارع مبني للمجهول والأمر نائب فاعل .

البلاغة :

(التكرير) في هذه الآية فن التكرير . وقد اختلف أهل العربية في
 وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله « وإلى الله ترجع الأمور »
 ظاهراً وقد تقدم اسمه ظاهراً في قوله « ولله ما في السموات وما في
 الأرض » فقال بعض البصريين : ذلك نظير قول العرب : وأما زيد
 فذهب زيد وكما قال الشاعر :

ألا لأرى الموت يسبق الموت شيء نفص الموت ذا الغنى والفقير

فأظهر في موضع الإضمار . وقال بعض نحويي الكوفة ليس ذلك
 نظير هذا البيت لأن موضع الموت في البيت موضع كناية ، أي ضمير ،
 وليس ذلك كذلك في الآية ، لأن قوله : « ولله ما في السموات وما في
 الأرض » خبر ، ليس من قوله « وإلى الله ترجع الأمور » في شيء ،
 وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الأخرى ، مكثفة
 كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة إلى الأخرى ، وما قال الشاعر

لا أرى الموت ، محتاج إلى تمام الخبر عنه . وهذا القول الثاني عندنا أولى بالأرجحية ، لأن كتاب الله عز وجل لا توجه معانيه ، وما فيه من البيان ، إلى الشواذ من الكلام والمعاني ، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني وجه صحيح موجود .

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠)

الاعراب :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس) كلام مستأنف مسوق لبيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ولتشيت المؤمنين على ما هم عليه من الجنوح إلى الخير والصدوف عن المنكر ، وكان واسمها وخير أمة خبرها وقيل : كان تامة ، أي وجدتم وخلقتم خير أمة ، والأول أرجح وأخرجت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي ، وللناس جار ومجرور متعلقان بأخرجت والجملة في محل نصب خبر ثان لكنتم وقيل نصب على الحال وقيل نعت لأمة والأوجه متساوية الأرجحان (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) الجملة خبر ثالث لكنتم أو نصب على الحال ، واختار الزمخشري أن تكون مستأنفة مبينة كونهم خير أمة ، كما تقول : زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وأرى أنها مفسرة لامحل لها ، وتأمرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون

والواو فاعل وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بتأمرون ومثلها وتنهون عن المنكر (وتؤمنون بالله) الجملة معطوفة (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال فحواء : كيف قال ذلك مع أن غير الإيمان لا خير فيه حتى يقال : إن الإيمان خير منه ، ولو شرطية وآمن فعل ماض مبني على الفتح وأهل الكتاب فاعل واللام واقعة في جواب لو، وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المصدر وهو الإيمان المدلول عليه بفعله وخيراً خبر كان ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « خيراً » والجملة واقعة في جواب الشرط (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عما ينشأ من لو الشرطية الدالة على انتفاء الإيمان ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمؤمنون مبتدأ مؤخر وأكثرهم مبتدأ والفاسقون خبره .

البلاغة :

(المقابلة) في الآية فن المقابلة ، فقد تعدد الطباق بين تأمرون وتنهون وبين المعروف والمنكر وبين « المؤمنون » و « الفاسقون » ، وقد تقدم الكلام عن المقابلة .

لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

اللفظة :

(ثقفوا) تقدم معناها فيما سبق وهي هنا بمعنى أدركوا وعلبوا
وذلوا . ومن أقوالهم : طلبناه فثقفناه في مكان كذا ، أي ادركناه .
وثقفت العلم في أوحى مدة إذا أسرعت في أخذه . وكان أبو تمام
ثقفاً لثقفاً (باءوا) : رجعوا .

الاعراب :

(لن يضروكم إلا أذى) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ضررهم
منقطع يقع في فترات لا يؤبه لها . ولن حرف نفي ونصب واستقبال
ويضروكم فعل مضارع منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال الحسنة
والواو فاعل والكاف مفعول به وإلا أداة حصر وأذى مفعول مطلق
أي ضرراً مقتصراً على أذى مؤقت لا يلبث أن يزول فالاستثناء مفرغ ،
وقيل : الاستثناء هنا منقطع ، وعليه اقتصر ابن جرير الطبري ، قال :
وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو مخالف معنى ما قبله كما قيل : ما اشتكى
شيئاً إلا خيراً ، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً (وإن يقاتلوكم
يولوكم الأدبار) الواو عاطفة وإن شرطية ويقاتلوكم فعل الشرط مجزوم
بحذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به أول والأدبار مفعول ثانٍ (ثم
لا ينصرون) ثم حرف عطف وتراخ وقد أتت هنا لمجرد الاستئناف ولا

نافية وينصرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل ،
وسياًتي في باب البلاغة سر العدول عن العطف على الفعل المجزوم كما
يقتضيه سياق الكلام ، كأنه قال : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (ضربت
عليهم الذلة أينما ثقفوا) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ضرب الذلة
على اليهود وضربت فعل ماض مبني للمجهول والتاء للتأنيث وعليهم جار
ومجرور متعلقان بضربت والذلة نائب فاعل وأينما اسم شرط جازم
منصوب على الظرفية المكانية متعلق بضربت وثقفوا فعل ماض مبني
للمجهول في محل جزم فعل الشرط والواو نائب فاعل والجواب محذوف
دل عليه ما قبله أي فقد ضربت عليهم (إلا بحبل من الله) إلا أداة
استثناء والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من أعم الأحوال فيكون
مستثنى بمعنى الحال أي ضربت عليهم الذلة في أعم أحوالهم إلا في هذه
الحالة وهي اعتصامهم بحبل من الله ومن الله جار ومجرور متعلقان
بمحذوف صفة ، وعلى هذا فهو استثناء متصل ، وقال آخرون : هو
منقطع . وسياًتي مزيد بيان لهذا الإعراب في باب الفوائد (وحبل من
الناس) عطف على قوله بحبل من الله (وباءوا بغضب من الله) الواو
حرف عطف وباءوا فعل ماض معطوف والواو فاعل والجملة عطف على
جملة ضربت وبغضب جار ومجرور متعلقان بباءوا ومن الله جار ومجرور
متعلقان بمحذوف صفة لغضب (وضربت عليهم المسكنة) عطف على ما
تقدم وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت والمسكنة نائب فاعل وضربت
وكرر الجملة تأكيداً للذلة المضروبة على اليهود (ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب ضرب الذلة والمسكنة على
اليهود واسم الإشارة مبتدأ والإشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة
والمسكنة وغضب الله ، وبأنهم الباء حرف جر ، وأن واسمها والمصدر
المؤول من أن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر اسم الإشارة ، وكان واسمها ، والجملة خبر « أنهم » ،
 وجملة يكفرون في محل نصب خبر كانوا وبآيات الله جار ومجرور
 متعلقان يكفرون (ويقتلون الأنبياء بغير حق) عطف على ما تقدم
 والأنبياء مفعول به وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ذلك
 بما عصوا وكانوا يعتدون) كلام مستأنف سيق ليبيان تعليل العلة .
 فعصيانهم سبب لكفرهم وقتلهم الأنبياء ، وهما سبب الذلة والمسكنة
 والغضب ، واسم الإشارة مبتدأ والباء حرف جر وما مصدرية أي :
 بسبب عصيانهم ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « ذلك » ،
 وكان واسمها ، وجملة يعتدون خبرها .

البلاغة :

اشتملت هاتان الآيتان على ضروب من البلاغة بلغت أسمى حدود
 الإعجاز ولئن أسهب علماء البلاغة ، عليهم رضوان الله ، في إظهار
 أسرارها ، وسبر أغوارها واكتناه مخبأاتها ، فقد أتيح لنا أن نشهد بأم
 أعيننا مصير فلسطين بسبب اليهود ، وبسبب ما نالوه من نجاح خالب مؤقت ،
 وسنوجز القول فيما قاله علماء البلاغة أولاً ، ثم نعقب عليه بما استنتجناه
 بأنفسنا وحدثنا به من مآل اليهود الذي لا بد منه .

١ - في الآية الأولى فن يقال له : « فن الإيضاح » ، وهو أن يذكر
 المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه ، والإشكال
 الذي يحله الإيضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي إعرابها ،
 فإن في ظاهر هذه الآية إشكالين أحدهما من جهة الإعراب والآخر من
 جهة المعنى . فأما الذي من جهة الإعراب فعطف ما ليس بمجزوم على

المجزوم ، والذي من جهة المعنى أن صدر الآية يعني عن فاصاتها ، لأن توليهم عند المقاتلة دليل على الخذلان ، والخذلان والنصر لا يجتسعان والجواب أن الله سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا إن قاتلهم انهزم ثم أراد تكميل العدة بإخبارهم أنه مع توليه الآن لا ينصر أبداً في الاستقبال فهو مخذول أبداً ما قاتلهم .

ولو وقع الاختصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد ، لأنه لا يعطي قوله : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار » أنهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك فإن قولك : « إذا جاء زيد أكرمته » لا يلزم منه متى جاء على الدوام والاستمرار كان عليك الإكرام ، وإنما يعطي أنه إن جاءك أكرمته لتلك الجيئة ، ولعلمه سبحانه أن الاختصار على ما هو دون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد ، والمقصود ديسومتها ، قال : « ثم لا ينصرون » ومنع الفعل الجزم وإن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذي وضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال ، ونوى في الفعل الاستئناف لا العطف على ما تقدم ، والله سبحانه يريد إدخال الطمأنينة في روع المؤمنين الذين تعاهدوا على الموت ، لأن الاستشهاد في معبغان الوغى وصحصحان الجهاد هو مستهل حياة قشبية جديدة هي حياة المجد والخلود على حد قول الشاعر :

إن تسل أين قبور العظما فعلى الأفواه أو في الأنفس

نقول : أراد الله سبحانه أن يؤكد للمؤمنين المجاهدين أن النصر سيكون حليفهم فأعقب الكلام الذي تم بجملة توضح اليقين وهي قوله : « ثم لا ينصرون » ليفيد الديمومة والاستمرار في الجهاد ، وعدم

الاستسلام للعدو ، ويبشرهم بأن عدوهم مخذول أبداً وأن عليهم أن يباشروا قتاله في كل وقت ، وأن لا يهنوا إذا خيل اليهم أن عدوهم قد ظهر عليهم ، فلا بد له أن يخذل في مستقبل الأيام ، فإن تاريخ الأمة لا يحسب بحساب الزمن ، ولا يعد بالسنين القليلة وإن حياة الأمم والشعوب ليست كحياة الافراد .

والإشكال الثاني أنه عطف الفعل المضارع المرفوع على المضارع المجزوم ، وهو يبدو للوهلة الأولى أو لأصحاب النظر السطحي المجرد أنه خلاف الأولى ، ولكنه عدل عن الجزم إلى الرفع ليعلم أن عدم النصر لهم هو عهد قطعه الله على نفسه ، ومن أصدق من الله حديثاً أو عهداً وإن اقتفاء النصر عنهم مستمر إلى الأبد ، ولا عبرة في الحالات الطارئة ، والظروف الاستثنائية المؤقتة التي تسنح لهم في الفترات الطويلة المتعاقبة التي ينتصرون فيها فعديل عن الجزم الذي يقتضيه سياق الكلام ، كأنه قال ثم أخبركم مبشراً بأنهم لا ينصرون في المستقبل أبداً . كما أشرنا إلى ذلك في باب الإعراب .

٢ - والنن الثاني في هذه الآية هو : « فن التعليق » . وهو أن يتعلق الكلام إلى حين ، ولذلك اختير لفظ « ثم » دون حروف العطف ، لأنه يدل على المهلة الملائمة لدلالة الفعل المضارع على الاستقبال ، كأنه قال : ثم ها هنا ما هو أعلى في الامتتان ، وأسمى في مراتب الإحسان ، وهو أن هؤلاء اليهود قوم لا ينصرون البتة مهما واتتهم الامكانيات ، ومهما أغدقت عليهم المساعدات .

٣ - والنن الثالث في هذه الآية هو فن المطابقة المعنوية بين نصر المؤمنين وخذلان الكافرين .

٤ - والفن الرابع في هذه الآية هو : « فن الاحتراس » . لأن الكلام لو عطف بالواو مثلاً لظن قصار النظر أنهم إنما وعدوا بالنصر في تلك الحالة ليس غير ، فدفع هذا الظن بكلمة « ثم » التي تقطع قطعاً لا يربن عليه الشك ، بأن النتيجة الحتمية هي النصر المؤزر للمؤمنين ، خشية أن يظن بعض الذين لا يحبون المسارعة الى الموت بأن الوعد بالنصر في تلك الحالة فقط ، وأن الحرب قد تكون سجالاً ، وأنه قد يأتي دورهم بالنصر ، فنفي سبحانه هذا الاحتمال ، وقطع على هؤلاء المظانين الطريق لالتماس المعاذير للتخلف عن الجهاد .

٥ - والفن الخامس : هو الإيصال أي عدم الوقوف عند تولية الأدبار مع تمام الكلام ، فأتى بما يوافق بقية الفواصل مع ما يكمل به المعنى التام .

٦ - ثم جاءت الآية الثانية مكملة للفنون التي تضمنتها الآيتان وذلك على الوجه التالي :

أ - الكناية التي هي هنا عبارة عن نسبة ، وقد تقدم ذكرها ، وهي في ضرب الذلة والمسكنة عليهم كما يضرب البيت أو القبة على أهلها على حد قول أبي الطيب المتنبى :

إن في ثوبك الذي المجد فيه لضيء يزري بكل ضياء

ب - الاستعارة التمثيلية في تشبيه التمسك بأسباب السلامة بالتمسك بالحبل الوثيق وقد تدلى من مكان عال ، فهو آمن من مغبة السقوط والخذلان والارتطام .

فإذا أضفنا إلى ما تقدم من فنون ما تميزت به الآيتان من « حسن الافتتان » و « جمال النسق » و « روعة العبارة » و « فصاحة البيان » تبين لك إلى أي مدى وصلتا إليه من إعجاز وسمو تميز بهما كتاب الله العظيم .

الفوائد :

اختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله تعالى : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فقال بعض نحويي الكوفة وعلى رأسهم الفراء في كتابه « معاني القرآن » : الذي جلب الباء في قوله : بحبل ، فعل مضمر قد ترك ذكره . ومعنى الكلام : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا أن يعتصموا بحبل من الله ، فأضر في ذلك . واستشهد الفراء بقول حميد بن ثور الهلالي :

رأني بحبلها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

وقال : أراد أقبلت بحبلها . ويقول أبي الطمحان القيني :

حتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد

قرب الخطو يحسب من رأني ولست مقيداً أني بقيد

يريد مقيداً بقيد فأوجب إعمال فعل مجدوف وإظهار صلته وهو متروك ، وذلك في مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد . إلى أن يقول : وقال بعض نحويي البصرة : قوله : « إلا بحبل من الله » استثناء خارج من أول الكلام ، قال الفراء : وليس ذلك بأشد

من قوله : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » ، وقال آخرون من نحوي الكوفة : هو استثناء متصل ، والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان إلا بموضع جبل من الله ، كما تقول ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان . وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل ، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلاً كما زعم لوجب أن يكون إذا ثقفوا بجبل من الله وجبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة ، وليس ذلك صفة اليهود لأنهم أينما ثقفوا بجبل من الله وجبل من الناس أو بغير جبل من الله عز وجل وغير جبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل فلو كان قوله : الا بجبل من الله وجبل من الناس ، استثناء متصلاً لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً .

تعليق ابن جرير :

وقال أبو جعفر الطبري : ولكن القول عندنا أن الباء في قوله : إلا بجبل من الله ، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء يقتضي في المعنى الباء ، وذلك أن معنى قوله : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا : ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا فيه ، ثم قال : إلا بجبل من الله وجبل من الناس ، على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن يثقفون بجبل من الله وجبل من الناس ، كما قيل في : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » ف « خطأ » وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالأول ، بمعنى

إِلا خطأ فإن له قتله كذلك ، ولكن قد يقتله خطأ ، فكذلك قوله : أينما ثققوا إلا بحبل من الله وإن كان الذي جلب الباء التي بعد إلا الفعل الذي يقتضيها قبل إلا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله ، بمعنى أن القوم إذا لقوا فالذلة زائلة عنهم بل الذلة ثابتة بكل حال ، ولكن معناه ما بيناه آنفا .

وقد آن أن ننتهي من هذا البحث الذي طال بعض الطول ونحمد الله على أنه ألهمنا ما لم يلهم أحداً من قبل . ولعلمهم لو امتد بهم العمر إلى أيامنا لأدركوه كما أدركناه ، وسبروا غوره كما سبرناه . ولعل من خير حسن الختام أن ننبه إلى خطأ وقع فيه بعض الأئمة من المتقدمين وجل من تنزه عن الخطأ ، فقد زعم بعض من لا تحصيل له أن المعطوف على جواب الشرط : « ثم » لا يجوز جزمه البتة قال : لأن المعطوف على الجواب جواب ، وجواب الشرط يقع بعده وعقبه ، و « ثم » تقتضي التراخي فكيف يتصور وقوعه عقب الشرط ؟ فلذلك لم يجزم مع « ثم » . وهذا فاسد واضح البطلان ، وليس لنا أن نستشهد على بطلانه إلا بقوله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ف « لا يكونوا » مضارع مجزوم نسقاً على « يستبدل » الواقع جواباً للشرط والعاطف ثم . وبهذا يكتمل عقد هذا البحث الذي نرفه إلى العالمين العربي والإسلامي ليستبشروا بالنصر آت ، وزوال هذه الدويلة المسخ وعد تنزلت به الآيات . ونقتبس هذه العبارة للزمخشري فهي خير ما يقال : « وحين رفع كان بقي النصر وعداً مطلقاً كأنه قال : ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها ، وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون ، منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بنجاح ولا يستقيم لهم

أمر ، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود
خير » ، والله الموفق للصواب •

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ
ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

اللفظة :

(الآناء) الساعات ، واحدها أنى بفتح الهمزة والنون ، بوزن
عصا ، أو إني بكسر الهمزة وفتح النون بوزن معى ، أو أنى بفتح الهمزة
وسكون النون بوزن ظبي ، أو إني بكسر الهمزة وسكون النون
بوزن حمل •

الاعراب :

(ليسوا سواء) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت بين أهل
الكتاب ، وليس واسمها وخبرها ، والوقف تام على سواء (من أهل
الكتاب أمة قائمة) الجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان ما أجمله ، ولتعداد محاسن
مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد

وأمثالهم من اليهود الذين أسلموا ، والجار والمجرور متعلقان بسحذوف خبر مقدم وأمة مبتدأ مؤخر وقائمة صفة ، واختار الفراء أن تكون أمة مرفوعة على أنها فاعل سواء ، ولا أدري كيف استقام له ذلك مع ما فيه من توهين نظام الجملة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) جملة يتلون صفة ثانية لأمة والواو فاعل يتلون وآيات الله مفعوله وآناء الليل ظرف زمان متعلق بـ يتلون وهم الواو للحال وهم مبتدأ وجملة يسجدون في محل رفع خبر (يؤمنون بالله واليوم الآخر) الجملة صفة ثالثة لأمة والجار والمجرور متعلقان بيؤمنون واليوم عطف على الله والآخر صفة لليوم (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) جمل ثلاث معطوفة على جملة يؤمنون بالله (وأولئك من الصالحين) الواو استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر اسم الإشارة (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) الواو استئنافية وما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليفعلوا ويفعلوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب على الحال والفاء رابطة ولن حرف نصب ويكفروه فعل مضارع منصوب بـ لن والواو نائب فاعل والهاء مفعول به ثان وقد نصب فعل كفر مفعولين لأنه تضمن معنى الحرمان والمنع وجملة فلن يكفروه في محل جزم جواب الشرط (والله عليم بالمتقين) الواو استئنافية والله مبتدأ وليم خبره والجار والمجرور متعلقان بـ عليم .

﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ

فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴿

اللفظة :

(الصر) بكسر الصاد : الريح الباردة ، كالصَّرصر . قال حاتم
 الطائي :

أوقد فإن الليل ليل قرءٌ والريح يا غلام ريح صر

وسياتي المزيد عنها في باب البلاغة .

الاعراب :

(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً)
 كلام مستأنف مسوق لذكر خلة من خلال اليهود ، وهي حبهم للمال
 وشراحتهم إليه ، ومعاداتهم من أجله ، على أن خصوص الحديث يفيد
 عمومهم ، فليس الحديث عن بني قريظة والنضير بمانع من شموله لكل
 من يجعل ديدنه حب المال والتطويح بكل خلق جميل في سبيله ، وإن
 واسمها ، وجملة كفروا صلة ولن حرف نصب وتغني فعل مضارع
 منصوب بطن وعندهم جار ومجرور متعلقان بتغني وأموالهم فاعل ولا
 أولادهم عطف على «أموالهم» ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف
 حال ، لأنه كان في الأصل نعت لقوله شيئاً وتقدم عليه ، وشيئاً مفعول
 مطلق أو مفعول به وجملة لن تغني في محل رفع خبر إن (وأولئك

أصحاب النار) الواو عاطفة وأولئك اسم إشارة مبتدأ وأصحاب النار خبره والجملة معطوفة على جملة لن تغني (هم فيها خالدون) هم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقان بقوله خالدون وخالدون خبر « هم » والجملة خبر ثان لأولئك . (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) جملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل في بيان كيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في دفع المضار النازلة بهم ، ومثل مبتدأ وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة ينفقون صلة وفي هذه جار ومجرور متعلقان ينفقون والحياة بدل من إسم الإشارة والدنيا صفة للحياة (كمثل ريح فيها صر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مثل وريح مضاف اليه وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم مبتدأ مؤخر والجملة صفة ريح (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) جملة أصابت صفة ثانية لريح ، وحرث قوم مفعول به لأصابت وجملة ظلموا في محل جر صفة لقوم وأتسهم مفعول به لظلموا فأهلكته عطف على أصابت (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) الواو استئنافية وما قافية وظلمهم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ولكن مخففة من الثقيلة مهلة لمجرد الاستدراك وأتسهم مفعول به مقدم ليظلمون ويظلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل .

البلاغة :

١ - التشبيه التمثيلي فقد شبه سبحانه ما أتفقوه في عدم جدواه وقلة غنائه بالحرث الذي عصفت به الريح الصر ، وأصل الكلام : مثل

ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرق قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر ، ولكن خولف النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهي تقديم ما هو أهم لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرق ، فقدمت عناية بذكرها ، واعتماداً على أن الأذواق والفطر المستقيمة تستطيع رد الكلام إلى أصله على أيسر وجه . وقد استدل الفقهاء بهذه الآية على أن صدقة الكفار لا تنفع أصحابها ، لأن العقيدة هي الأصل ، وعليها الاعتماد ، وهذا أسمى ما يصل إليه البيان .

٢ - التميم : وقد تقدم ذكره ، وهو أن يأتي المتكلم بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو صفاته ، والتميم هنا في كلمة « فيها صر » فإنها أفادت المبالغة كما أفادت التجسيد والتشخيص ، كما تقول : برد بارد وليلة ليلاء ويوم أيوم ، ثم قيد الصر بالظرفية ، لأن الريح مطلقة ثم قيدها بالظرفية ، وكل مقيد ظرف لمطلقه ، لأن المطلق بعض المقيد ، فحصل التجسيد والتشخيص . وهذه من عيون النكت البلاغية ، فاحرص عليها والله يعصمك .

يَنَاقِبُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

اللفة :

(بطانة) بطانة الرجل بكسر الباء ووليجه من يطلعه على أسراره
ثقة به وارتكناً على مودته . وهو مشبه ببطانة الثوب ، وهي خلاف
ظهارته . وفي مختار الصحاح : « وليجة الرجل خاصته وبطانته » ومنه
قول الشاعر :

وهم خلصائي كلهم وبطاتي وهم عيتي من دون كل قريب

(يألونكم) من ألا في الأمر أي قصر فيه . ويتعدى إلى مفعولين ،
لأنه يتضمن معنى المنع ، يقال : لا آلوك نصحاً ، أي : لا أمنحك نصحاً .
وقيل : هو لازم لا ينصب مفعولاً . وسيأتي ذلك مفصلاً في باب
الإعراب .

(خبالاً) الخبال بفتح الخاء : الفساد ، وأصله ما يلحق الحيوان
من مرض وفتور فيورثه فساداً واضطراباً ، يقال : خبله بالتخفيف ،
وخبله بالتشديد ، فهو خابل ومخبّل ، وذاك مجنون ومخبّل .

(عنت) العنت بفتح العين والنون : شدة الضرر والمشقة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) كلام مستأنف
مسوق لتحذير المؤمنين من موالاته اليهود ، لما بينهم من أواصر قرابة
وصداقة ، والمراد إطلاقه ، فموالاته المستعمر الأثيم لا تجوز مطلقاً .

وقد تقدم إعراب النداء ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وبطانة مفعول به ومن دونكم جار ومجرور متعلقان بحذوف صفة لبطانة أي كائنة من غيركم أو من غير أبناء جنسكم ، ويجوز تعليقها بتتخذوا فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به الثاني لتتخذوا ، وعلى الأول مفعول تتخذوا الثاني محذوف إيجازاً ، وتقديره أصفياء أو أولياء (لا يألونكم خبالاً) الجملة مستأنفة كأنها بمثابة البيان لحال البطانة الكافرة العدو ، وقيل هي صفة ثانية لبطانة ، لا نافية ويألونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به أول وخبالاً مفعول به ثان. وإذا قلنا الفعل لازم فتكون الكاف في محل نصب بترع الخافض أي: لا يألون لكم، وخبالاً منصوب أيضاً بترع الخافض أي: في الخبال ، ولك أن تنصبه على التمييز أو على أنه مصدر في موضع الحال (ودّوا ما عنتهم) الجملة مستأنفة كسابقتهما ، وقيل : هي صفة ثالثة لبطانة ، وكلاهما صحيح، وودّوا فعل وفاعل وما مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر هو المفعول به أي ودّوا عنتكم وضرركم وسوء ثقتكم (قد بدت البغضاء من أفواههم) الجملة مستأنفة أيضاً أو هي صفة رابعة لبطانة ، وقد حرف تحقيق وبدت فعل ماض مبني على الفتح المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والبغضاء فاعل ومن أفواههم جار ومجرور متعلقان بدت وعلقهما أبو البقاء بمحذوف منصوب على الحال. ومعنى ظهور البغضاء من أفواههم أنهم ينسبون بما ينم على البغضاء المركوزة في سلاقتهم وخلالهم (وما تخفي صدورهم أكبر) الواو للحال أو للاستئناف ، فالجملة حالية أو مستأنفة وما اسم موصول مبتدأ وجملة تخفي صلة وصدورهم فاعل تخفي وأكبر خبر « ما » (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) الجملة مستأنفة تفيد

التعليل مسوقة لتقرير أن الآيات المترادفة جديرة بحملكم على موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، وقد حرف تحقيق وبيننا فعل ماض وفاعل ولكم جار ومجرور متعلقان ببينا والآيات مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كنتم وجسلة تمقلون خبر كنتم ، والجواب محذوف تقديره فلا توادوهم أبداً .

البلاغة :

١ - الاستعارة التصريحية في قوله بطانة إذ هي في الأصل بطانة الثوب المعروفة ثم استعيرت لخصيص الرجل وصفيه الذي يفضي إليه بذات نفسه وخطبات صدره .

٢ - الانفصال : وهو أن يقول المتكلم ما يوهم أنه معلوم ظاهر ، ولكنه ينطوي على أمر وراء ذلك ، وهو أبعد غاية وأسمى متناولاً ، وذلك في قوله « من أفواههم » فإن المعلوم أن المرء يعبر عما يكنه بفيه ، والانفصال في ذلك التسجيل عليهم بأنهم لا يتماكون أن تند عن ألسنتهم ألفاظ تنم على الشعور بالبغضاء والموجدة .

٣ - الطباق بين بدت وتخفي .

الفوائد :

اختلف علماء النحو والبيان في إعراب الجمل الواقعة بعد بطانة ، وقد أجزنا أن تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة من دون جنسكم وأبناء قومكم . وعليه جرى الزمخشري فقال :

« الأحسن والأبلغ أن تكون مستأنفات ، ويجوز أن تكون صفات متعاقبة » . وقد منع الواحدي هذا الوجه لعدم وجود حرف العطف ، وزعم أنه لا يقال : لا تتخذ صاحباً يؤذك أحب مفارقتكم . على أنه يظهر لي أن الصفة تتعدد بغير عاطف كما يتعدد الخبر نحو « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان » .

بين ابن هشام والرازي :

تعقب ابن هشام الإمام فخر الدين الرازي بصدد هذه الآية فقال مانصه : « وحصل للإمام فخر الدين في تفسير هذه الآية سهو ، فإنه سأل : ما الحكمة في تقديم « من دونكم » على « بطانة » ؟ وأجاب بأنّ محط النهي هو « من دونكم » لا « بطانة » فلذلك قدم الأهم وليست التلاوة كما ذكر .

وأبو حيان وهم وتبعه الصفاقسي والحلي :

ومضى ابن هشام في تعقيبه قائلاً : وظير هذا أن أبا حيان فسر في سورة الأنبياء كلمة « زبراً » بعد قوله تعالى : « وتقطعوا أمرهم بينهم » وإنما هي في سورة المؤمنون ، وترك تفسيرها هناك ، وتبعه على هذا السهو رجلان لخصاً من تفسيره إعراباً .

قلت : أراد ابن هشام بالرجلين اللذين شاركا أبا حيان في سهوه هما الصفاقسي وشهاب الدين الحلي المعروف بالسمين .

﴿ هَآأَنَآ أَوَّلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾

اللفظة :

(العض) : تعامل الأسنان بعضها على بعض ، وعضه بأسنانه : تناوله ، يقال : عضضت بكسر الضاد أعض عضاً وعضيلاً ، والعض كله بالضاد إلا مع الزمان أو نحوه في قولهم : عظم الزمان أي اشتد ، وعظت الحرب أي اشتدت ، فإنهما يتبادلان. وللعين والضاد إذا كاتبا فاء وعينا للكلمة خاصة غريبة خاصة ، فهما تفيدان معنى الشدة والإيذاء وما يدخل في معناها ، قال الأخطل :

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والعضب الشتم والقطع ، ولا يخفى ما فيهما من شدة ومن إيذاء وسيف عضب أي : قاطع ، وشاة عضباء : مكسورة القرن ، وعضده شد أزره وساعده ، والمؤمن معضود بتوفيق الله ، قال تعالى : « سنشد عضدك بأخيك » ، وداء معضل : صعب لا يحل ، وبه مرض عضال ، وقد أعيا الأطباء وأعضلهم ، وأعضل الأمر ، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيه يسألهم مهرها فمنعوه فقال :

واحدة أعضلكم أمرها فكيف لو درت على أربع
وفلان عضلة من العضل أي داهية من الدواهي . وهذا من أعجب ما
يسمع عن هذه اللغة الشريفة .

(الأتامل) : جمع أنملة وهي رأس الاصبع .

الاعراب :

(ها أتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) جملة مستأنفة مسوقة
لتنبيه المؤمنين على خطئهم بموالاته اليهود ، وها للتنبيه وقرع العصا
وأتم مبتدأ وأولاء خبره ، وقد تقدم أن اسم الإشارة لا بد من ذكره
لوجود « ها » التي هي للتنبيه وجملة تحبونهم حالية أو مستأنفة
لأنها بمثابة البيان لخطئهم وسوء اختيارهم لأصفيائهم وجملة ولا
يحبونكم معطوفة على جملة تحبونهم وأعرب الجلال وغيره أولاء
منادى أي يا هؤلاء فتكون جملة تحبونهم هي الخبر (وتؤمنون
بالكتاب كله) يصح أن تكون الواو عاطفة فالجملة معطوفة على جملة
تحبونهم ، ويصح أن تكون الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال ،
وبالكتاب جار ومجرور متعلقان بتؤمنون وكله تأكيد للكتاب ، وفي
هذا منتهى التنديد بهم ، لأن مصافاة من لا يحبك أمر يستوجب اللوم
والتنديد . هذا وقد منع أبو حيان أن تكون الواو حالية ، لأن المضارع
المثبت إذا وقع حالاً لا تدخل عليه واو الحال ، تقول : جاء زيد يضحك ،
ولا يجوز : ويضحك ، وانتهى إلى القول : لكن الأولى ما ذكرناه
من كونها للعطف (وإذا لقوكم قالوا آمنا) الواو استئنافية وإذا ظرف

لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط وجملة لقوكم في محل جر بالإضافة وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة آمنّا في محل نصب مقول القول (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة خلوا في محل جر بالإضافة وخلا فعل ماض مبني على الفتح المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة عضوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليكم جار ومجرور متعلقان بعضوا والأنامل مفعول به ومن الغيظ جار ومجرور في محل نصب تمييز أي غيظاً ويجوز أن تكون بمعنى اللام فتفيد العلة فيكون الجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله أي من أجل الغيظ (قل موتوا بغيظكم) الجملة مستأنفة وجملة موتوا في محل نصب مقول القول وبغيظكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف نصب على الحال أي متلبسين بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) الجملة مستأنفة تفيد التعليل للأمر بالموت ، والأسهل أن تكون من جملة المقول فتكون في محل نصب بالقول ، وإن واسمها وخبرها ، وبذات الصدور : جار ومجرور متعلقان بعليم . ومعنى ذات الصدور : المضمرات وخلقجات النفوس ، فذات تأنيث ذي ، بمعنى صاحبة الصدور ، وجعلت صاحبة الصدور لأنها لا تنفك عنها .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن الكناية ، وعض الأنامل كناية عن صفة . وقد جرت عادة العرب على التعبير عن المعتاظ النادم على ما فعل بعض الأنامل والبنان ، وقد طمعت أشعارهم بهذا التعبير ، قال أبو طالب :

وقد صالحوا قوماً علينا أشحةً يعضون عضاً خلفنا بالأباهم
 ٢ - وفي الآية خروج الأمر عن معناه الحقيقي الى معنى الدعاء
 عليهم بديسومة غيظهم .

الفوائد :

ذهب الكوفيون إلى أن أسماء الإشارة إذا أريد بها التقريب كانت
 من أخوات كان في احتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب ، نحو :
 كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً ؟ وكيف أخاف البرد وهذه الشمس
 طالعة ، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثاني
 له في الوجود نحو هذا ابن صياد أسقى الناس ، فيعربون هذا للتقريب
 اسماً ناقصاً والمرفوع اسم التقريب والمنصوب خبر التقريب . وهو كلام
 منطقي ، ولذلك أوردناه للاطلاع عليه .

﴿ إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَنْسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ
 تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾



الاعراب :

(إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَنْسُوهُمْ) كلام مستأنف سيق لبيان تناهي
 عداوتهم وافتنانهم في أصناف العداوات ، وإِنْ شرطية وتمسكم فعل
 الشرط مجزوم والكاف مفعول به مقدم وحسنة فاعل مؤخر وتسوهم

جواب الشرط المجزوم والهاء مفعول به (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)
 جملة معطوفة على الجملة السابقة مماثلة لها في الإعراب (وإن تصبروا
 وتتنقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) الجملة معطوفة أيضاً وإن شرطية
 وتصبروا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وتتنقوا
 عطف على تصبروا ولا فاقية ويضركم جواب الشرط ، وحرك بالضم
 لاتباع ضمة الضاد . كما هي القاعدة في الفعل المضعف ، وقد تقدمت .
 ويجوز تحريكها بالفتح لخفتها كما في قراءة ثانية ، وهناك قراءة ثالثة ،
 وهي : يضركم بكسر الضاد وسكون الراء ، من ضاره يضره ، أي :
 يضره ، والكاف مفعول به وكيدهم فاعل وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً
 من الضرر (إن الله بما يعملون محيط) جملة مستأنفة تفيد التعليل
 وإن واسمها ، ومحيط خبرها وبما جار ومجرور متعلقان بمحيط وجملة
 يعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول .

البلاغة :

في الآية استعارة مكنية جميلة ، فقد استعير المس للحسنة ، وهي
 لا تمس الإنسان للدلالة على أنها أقل تمكناً من الإصابة ، إشارة إلى
 أن الكافرين يستاءون مما يصيب المؤمنين من خير ، وإن سنع لهم
 سنوحاً أو مر بهم مروراً عارضاً . أما إذا تمكنت السيئة منكم واجتاحكم
 فلا تسل عن مدى فرحهم وسرورهم وهذا من بديع الكلام الذي
 تنقطع دونه الأعناق .

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّمَا وَعَلَى

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢١﴾

اللفظة :

(غدوت) الغدو : الخروج أول النهار يقال : غدا يغدو أي خرج غدوة ويستعمل غدا بمعنى صار فيكون ناقصاً يرفع الاسم وينصب الخبر ومثلها راح وعاد ورجع وآض وارتد وقعد وتحول واستحال وكلها بمعنى صار وملحقة بها في العمل . قال لييد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

فيحور هنا ناقصة بمعنى صار واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المرء ورماداً خبرها وفي الحديث الشريف : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً » أي تذهب في الصباح جائعة وترجع في المساء وقد شبعتم وامتلات بطونها أما في الآية فهي محتملة للمعنيين كما سيأتي (تبوء) تنزل .

الاعراب :

(وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال) الواو استئنافية أو عاطفة على مقدم وعلى كل حال فالجملة مسوقة ليذكر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بيوم أحد ليتذكروا ما وقع في هذا اليوم في هذه الحالات الشاذة من عدم الصبر وكيف غدا النبي إلى أحد من

حجرة عائشة كما سيأتي في باب الفوائد والظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة غدوت في محل جر بإضافة الظرف إليها والتاء إما فاعل غدوت وإما اسمها في رأي من أعملها عمل صار والجار والمجرور متعلقان بغدوت على الأول وبمحذوف حال على الثاني وجملة تبوء حالة على الأول من فاعل غدوت أو خبر غدوت والمؤمنين مفعول به لتبوء ومقاعد مفعول به ثان لتبوء وللقتال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمقاعد أي مقاعد مهياة للقتال (والله سميع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وسميع عليم خبره (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) إذ ظرف لما مضى من الزمن بدل من إذ الأولى أي اذكر ذلك الوقت وهو يوم أحد وجملة همت في محل جر بالإضافة وطائفتان فاعل همت ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله طائفتان وأن حرف مصدري ونصب وتفشلا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة وألف الاثنين فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بهمت لأنه يتعدى بالباء والتقدير بأن تفشلا ولك في محلها وجهان النصب على نزع الخافض والجر ، (والله وليهما) لك في الواو أن تجعلها حالة فتكون الجملة في محل نصب على الحال ولك أن تجعلها مستأنفة والله مبتدأ وليهما خبر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو عاطفة وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل والفاء هي الفصيحة لأنها دخلت لمعنى الشرط والمعنى إذا حزب الأمر وصعب فتوكلوا والمؤمنون فاعل .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ۝١٣٣﴾

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ
فَوْرِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

اللفة :

(بدر) اسم ماء بين مكة والمدينة ، وقد كان هذا الماء لرجل اسمه
بدر ، فسمي به . وعنده جرت الوقعة الموسومة بهذا الاسم ، في السابع
عشر من شهر رمضان ، في السنة الثانية للهجرة .

(فورهم) : الفور : العجلة والسرعة ، وهو مصدر من فارت القدر
إذا غلت فاستعير للسرعة ، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا
إبطاء ولا تعريج على شيء .

(مسومين) معلمين بعلامة واضحة . وقد قرئت بصيغة اسم الفاعل
وبصيغة اسم المفعول .

الاعراب :

(ولقد نصركم الله بيدر) الواو استئنافية واللام واقعة في جواب
قسم محذوف وقد حرف تحقيق ونصركم الله فعل ومفعول به مقدم
وفاعل مؤخر وبيدر جار ومجرور متعلقان بنصركم . والجملة مستأنفة

مسوقة لتسلية المؤمنين عما لحق بهم من ضرر في غزوة أحد ، وتذكيرهم
 بنعمة الله ، وللإشارة بأن هزيمتهم في أحد كانت بسبب مخالفة النبي
 في الصمود والثبات وأن الحلاوة قد تعتريها مرارة وأن الجنات حفت
 بالمكارة (وأنتم أذلة) الواو للحال وأنتم مبتدأ وأذلة خبر والجملة في
 محل نصب على الحال (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) الفاء الفصيحة
 واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعول به
 ولعل واسمها ، وجملة تشكرون خبرها وجملة الرجاء في محل نصب حال
 (إذ تقول للمؤمنين) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنصركم أو بدل
 من « إذ » الأولى ، لأن الكلام هنا في صدد غزوة أحد . وجملة تقول
 في محل جر بالإضافة وللمؤمنين جار ومجرور متعلقان بتقول (ألن
 يكفيكم أن يمدكم ربكم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول
 قوله صلى الله عليه وسلم والهمزة للاستفهام الإنكاري كأنهم كانوا
 كالآيسين من النصر ، ولن حرف ناصب ويكفيكم فعل مضارع منصوب
 بن والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به وأن حرف مصدرية
 ونصب ويمدكم فعل مضارع منصوب بها وأن وما في حيزها في تأويل
 مصدر فاعل يكفيكم وربكم فاعل يمدكم (بثلاثة آلاف من الملائكة
 منزلين) بثلاثة الجار والمجرور متعلقان بيمدكم ، وآلاف مضاف
 إليه ، ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بحذوف صفة لثلاثة آلاف
 ومنزلين صفة ثانية (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا)
 بلى حرف جواب لإيجاب النفي في قوله : ألن يكفيكم ، والمعنى يكفيكم
 الإمداد بالملائكة . ولكن ذلك مرهون بشروط لا بد من تأديتها وهي
 الصبر والتقوى . وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط مجزوم بحذف
 النون والواو فاعل وتتقوا عطف على تصبروا ويأتوكم عطف أيضاً
 ومن فورهم جار ومجرور متعلقان يأتوكم وهذا اسم إشارة في محل

جر صفة لفوركم أو بدل منه والجملة كلها متأنفة مسوقة لتعيين شروط الإمداد (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يمددكم جواب الشرط والكاف مفعول به وربكم فاعل ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخمسة آلاف ومسومين صفة ثانية •

البلاغة :

الكناية في قوله تعالى : « وأتم أذلة » عن ضعف حالتهم وضالة عددهم وعددهم : ذكر التاريخ أنهم خرجوا يعتقب الثمر منهم على البعير الواحد ، وما كان معهم إلا فرس واحد يوم بدر •

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

اللفظة :

(طرفاً) : أراد به الجانب أو الطائفة منهم •

(يكبتهم) : يخزيهم ويغيظهم من الكبت وهو الإصابة بالمكروه ، وقيل : هو الصرع للوجه واليدين • وعلى هذين المعنيين تكون التاء أصلية ، وليست بدلا من شيء بل هي مادة مستقلة بذاتها • وقيل التاء بدل من الدال ، وأصله كبده إذا أصابه بمكروه أثر في كبده وجعا ، كقولك رأسته إذا ضربت رأسه • ويدل على ذلك قراءة بعضهم : أو

يكبدهم ، بالدال • والعرب قد تبدل التاء من الدال ، ولعل أبا الطيب المتنبي قد رمق هذا الإبدال فلاءم بين لفظين ملائمة غريبة عندما قال :

لأكبت حاسداً وأري عدواً كأنهما وداعك والرحيل

فقد لاحظ أبو الطيب إبدال التاء من الدال فتوهمها لأكبد ، وناسب أن يأتي بأري من الوري ، وهو إصابة الرئة يقال : وراه الحب ريا وتوريفة ، وهو فساد الجوف من حزن أو صباة ، قال عبد بني الحسحاس :

وراهن ربي مثلما قد ورنيني وأحمي على أكبادهن المكاويا

ومنه الحديث الشريف « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه » • وهذا من أوابد أبي الطيب التي لا تلحق •

الاعراب :

(وما جعله الله إلا بشري لكم) كلام مستأنف مسوق لشرح كيفية النصر والواو استئنافية وما نافية وجعله الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وإلا أداة حصر وبشري مفعول به ثان إذا كان الجعل هنا بمعنى التصيير ، ولك أن تعتبر الجعل هنا بمعنى الخلق فتكون متعدية لواحد ، وبشري منصوب على أنه استثناء من أعم العلل فهو مفعول لأجله وقد استوفى شروط النصب ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشري (ولتطمئن قلوبكم به) الواو عاطفة واللام للتعليل وتطمئن فعل مضارع منصوب بأن المضمر بعد لام التعليل والجار والمجرور في محل نصب عطف على

بشرى وجر باللام لاختلال شرط من شروط النصب وهو عدم اتحاد الفاعل فإن فاعل الجعل هو الله تعالى وفاعل الاطمئنان القلوب ، ولك أن تعلق الجار والمجرور بفعل محذوف تقديره : فعل هذا لتطمئن قلوبكم ، وقلوبكم فاعل تطمئن وبه جار ومجرور متعلقان بتطمئن (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) الواو استئنافية وما نافية والنصر مبتدأ وإلا أداة حصر ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والعزيز الحكيم صفتان لله تعالى (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) اللام للتعليل ويقطع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بنصركم في قوله « ولقد نصركم الله بيد » ، وقيل بمحذوف تقديره أمدكم ونصركم ، ورجح أبو حيان أن يكونا متعلقين بأقرب مذكور وهو العامل في قوله : « من عند الله » كأن التقدير : وما النصر إلا كائن من عند الله لا من عند غيره ، لأحد أمرين : إما قطع جانب من الكفار بقتل وأسر ، وإما بخزي وانقلاب بخيبة . وطرفاً مفعول به ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (أو يكتبهم فينقلبوا خائبين) أو حرف عطف ويكتبهم فعل مضارع معطوف على يقطع والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والفاء حرف عطف وبنقلبوا عطف على يكتبهم وخائبين حال وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم .

البلاغة :

الاستعارة التصريحية التبعية في قوله : « ليقطع طرفاً » فقد شبه من قتل منهم وتفرق بالشيء المقتطع الذي تفرقت أجزاؤه واختل نظامه .

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

الاعراب :

(ليس لك من الأمر شيء) كلام مستأنف مسوق لتهوين الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أصيب به في غزوة أحد وليس فعل ماض ناقص ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وشيء اسم ليس المؤخر (أو يتوب عليهم) أو حرف عطف ويتوب فعل مضارع معطوف على اسم خالص من التقدير بالفعل فهو منصوب بأن مضمرة بعد العاطف وهو أو ، وسيأتي في باب الفوائد ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتوب (أو يعذبهم) عطف على يتوب (فإنهم ظالمون) الفاء للتعليل وإن واسمها وخبرها والجملة التعليلية لا محل لها لأنها بمثابة الاستثنائية (ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استثنائية والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة وما في الأرض عطف على ما في السموات (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الجملة الفعلية في محل نصب حال لوقوعها بعد المعرفة ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر ويشاء فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والجملة صلة الموصول وجملة يعذب من يشاء عطف عليها ومن اسم موصول في محل

نصب مفعول به (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور خبره الأول ورحيم خبره الثاني .

الفوائد :

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة جوازاً بعد عاطف مسبوق باسم خالص من التقدير بالفعل ، وأحرف العطف المختصة بذلك أربعة وهي : الواو والفاء وأو وثم . ومن ذلك قول ميسون بنت بحدل :

ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

هذا ويجوز أن تكون « أو » بمعنى « إلى » فيكون الفعل منصوباً بأن مضمرة وجوباً بعد أو .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) كلام مستأنف مسوق للنهي عن الربا والإمعان في تخويف المؤمنين ، قال أبو حنيفة رحمه

الله : هذه الآيات أخوف آيات القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين . ولا ناهية وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل والربا مفعول به وأضعافاً حال ومضاعفة صفة وجاءت الصفة لتنفي القلة التي يعبر عنها جمع القلة وهو وزن : أفعال ، وقيل : الصفة إشارة إلى تكرير التضعيف عاماً بعد عام . والمبالغة في هذه العبارة تفيد التوبيخ (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعوله ولعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها وجملة الرجاء حالية (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) واتقوا عطف على ما تقدم والنار مفعول به والتي اسم موصول في محل نصب صفة وجملة أعدت صلة الموصول وللکافرين جار ومجرور متعلقان بأعدت (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحبون) الواو عاطفة وأطيعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعول به والرسول عطف على الله ولعل واسمها ، وترحبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة خبر لعل ، وجملة الرجاء حالية .

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
﴿ ١٣٢ ﴾

اللفة :

(الكاظمين) اسم فاعل من كظم الغيظ وهو أن ينطوي على نفسه ويسك على ما فيها معتصماً بالصبر ، وأصله من كظم القربة إذا ملاًها وسد فاهها لئلا يندلق ما فيها .

الاعراب :

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) الواو عاطفة وسارعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإلى مغفرة جار ومجرور متعلقان بسارعوا ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة (وجنة عرضها السموات والأرض) وجنة عطف على مغفرة وعرضها مبتدأ والسموات خبر والأرض عطف على السموات والجملة الاسمية صفة لجنة (أعلت للمتقين) الجملة الفعلية صفة لجنة أيضاً وأعلت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هي وللمتقين : جار ومجرور متعلقان بأعلت (الذين ينفقون في السراء والضراء) اسم الموصول نعت للمتقين وجملة ينفقون صلة الموصول وفي السراء جار ومجرور متعلقان بينفقون والضراء عطف على السراء (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) عطف على المتقين والغيظ مفعول لاسم الفاعل الكاظمين ، والعافين عطف أيضاً وعن الناس جار ومجرور متعلقان بالعافين (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية والله مبتدأ ويجب فعل مضارع والمحسنين مفعول به والجملة خبر .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على فن جليل القدر وهو التنكيت في التشبيه ،

وحده أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة ، وإذا وقع في التشبيه فقد بلغ الغاية ، وهو هنا في قوله تعالى : « عرضها السموات والأرض » ، فقد أراد وصفها بالسعة فخص عرضها بالذكر دون الطول ، وإنما عدل عن ذكر الطول لأن المستقر في البدائة والأذهان أن الطول أدل على السعة فإذا كان عرضها مما يسع السموات والأرض فما بالك بطولها !

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴿

الاعراب :

(والذين إذا فعلوا فاحشة) الواو عاطفة أو استئنافية والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والمنفقين وللتائبين • ويجوز أن يكون « الذين » مبتدأ خبره « أولئك » كما سيأتي ، وإذا ظرف مستقبل وجملة فعلوا في محل جر بالإضافة وفاحشة مفعول به (أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله) أو حرف عطف وظلموا عطف على فعلوا وأنفسهم مفعول به وجملة ذكروا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فاستغفروا لذنوبهم) الفاء عاطفة واستغفروا عطف على ذكروا أي تابوا عنها ،

ولذنوبهم جار ومجرور متعلقان باستغفروا (ومن يغفر الذنوب إلا الله) الواو استئنافية ومن استفهامية ومعنى الاستفهام هنا النفي وهي في محل رفع مبتدأ وجملة يغفر خبر والذنوب مفعول به وإلا أداة حصر والله بدل من الضمير في يغفر أي من الفاعل المستتر (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) عطف على استغفروا، ولم حرف جازم، ويصروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون، على ما فعلوا جار ومجرور متعلقان بيصروا، وجملة فعلوا صلة، وهم : الواو حالية وهم مبتدأ وجملة يعلمون خبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير يصروا . (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر جزاؤهم والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الإشارة . وإذا أعربنا الذين مبتدأ كانت الجملة خبراً للموصول ومن ربهم صفة للمغفرة (وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وجنات عطف على مغفرة وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (ونعم أجر العاملين) الواو استئنافية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وأجر العاملين فاعل نعم مضاف لمقترن بآل والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم أجر العاملين ذلك، يعني المغفرة في الجنات .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٢٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٢٨)

اللفظة :

(سنن) طرائق جمع سنة، وهي الطريقة والعادة . ومعنى خلوها

مضيها وأصل الخلو في اللغة الانفراد ، والمكان الخالي هو المنفرد عن فيه ، ويستعمل أيضا في الزمان بمعنى الماضي ، لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه ، وكذلك الأمم الخالية أي الماضية •

الاعراب :

(قد خلت من قبلكم سنن) كلام مستأنف مسوق لتسلية المؤمنين عما أصابهم من الحزن والكآبة ، وتتمة لتفصيل بقية قصة أحد ، فإنه لا ينال أحد الخير حتى يمهده بالتضحية والصبر والجهاد • وقد حرف تحقيق وختل فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بختل وسنن فاعل (فسيروا في الأرض) الفاء الفصيحة وهي التي تقع جواباً لشرط مقدر لأن المعنى مترتب عليه ، أي إذا شككتم فسيروا في الأرض لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم ، وسيروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيروا والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الفاء حرف عطف وانظروا معطوف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وكان عاقبة كان واسمها ، والمكذبين مضاف إليه والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظروا (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) كلام مستأنف والبيان هنا الدلالة التي تفيد إمامة الشبهة الحاصلة ، وهذا مبتدأ وبيان خبره وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبيان وهدى معطوف على بيان وكذلك موعظة وهو من عطف الخاص على العام ، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بموعظة أو بمحذوف صفة لها •

البلاغة :

المجاز في قوله : « فسيروا في الأرض » والعلاقة في هذا المجاز ما شول إليه أمر السير في الأرض ، وتملّي الآثار المعروضة ، واستجلاء ما تركه الأولون من مخلفات ينبغي الاستبصار بها . وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المجاز الرفيع بقوله :

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

ثم تساءل :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) إِنْ
بِمَسْكَ قَرْحٍ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

اللفظة :

(تهنوا) تضعفوا ، وأصله توهنوا ، فحذفت الواو لوقوعها بين

ياء وكسرة في الأصل . لأن الفعل وهن بالفتح في الماضي وبالكسر في المضارع .

(القرخ) : بفتح القاف وتضم أيضاً ، وقيل : هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها ، وقد قرئ بهما .

(نداولها) نصرها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، ودالت له الدول ، ودالت الأيام ، وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه .

قال أبو البقاء الرندي يرثي الأندلس :

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

(التحيص) التصفية والتطهير . (يمحى) يهلك .

الاعراب :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتتكم الأعلون) الواو عاطفة والكلام معطوف على المفهوم من قوله : فسيروا ، ولا ناهية وتهنوا فعل مضارع مجزوم بلا ولا تحزنوا عطف أيضاً وأتتكم الواو حالية وأتتكم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والأعلون خبره مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة نصب على الحال (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا تهنوا وجملة الشرط استئنافية (إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله) كلام مستأنف مسوق لتسليّة المؤمنين أيضاً، وإن شرطية ويمسسكم فعل الشرط والكاف مفعول به وقرح فاعل يمسسكم وجواب الشرط محذوف أي

فتأسوا وتسألوا . ومن أعرب فقد مس القوم هو ا لجواب غلط لأن الماضي معنى لا يكون جواباً ، والتعليق لا يكون إلا في المستقبل . فقد الفاء عاطفة وقد حرف تحقيق ومس القوم عطف على الجواب المحذوف ومس فعل ماض والقوم مفعول به مقدم وقرح فاعل مؤخر ومثله نعت لقرح (وتلك الأيام نداولها بين الناس) الواو استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والأيام بدل منه وجملة نداولها خبر والهاء مفعول به وبين الناس ظرف مكان متعلق بنداولها . ويجوز إعراب الأيام خبراً لاسم الإشارة وجملة نداولها حالية والعامل فيها معنى اسم الإشارة أي يشير إليها حالة كونها مداولة (وليعلم الله الذين آمنوا) الواو عاطفة على المعلن المحذوف ، والتقدير فعلنا ذلك ليتعظوا ، وليعلم اللام للتعليل ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وآمنوا فعل ماض مبني على الضم والجملة صلة (ويتخذ منكم شهداء) الواو عاطفة ويتخذ فعل مضارع معطوف على يعلم ومنكم جار ومجرور متعلقان يتخذ أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهداء وشهداء مفعول به (والله لا يحب الظالمين) الواو اعتراضية والجملة معترضة بين هذه العلل المتعاقبة والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر (وليمحص الله الذين آمنوا) الجملة معطوفة على العلل المتقدمة والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة آمنوا صلة (ويسحق الكافرين) عطف على ما سبق من العلل .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٧﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ

رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١١٨﴾

الاعراب :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم عاطفة منقطعة بمعنى بل ، وقد تقدم بحثها ، والكلام معطوف على ما تقدم على طريق الإضراب عن التسلية الى طريق التوبيخ ، والهمزة التي في ضمنها للإنكار ، وحسب فعل ماض بسعنى ظن والتاء فاعل وأن وما بعدها سدت مسد مفعوليها ، والمعنى : لا تحسبوا أو لا يدر بخلد أحد منكم أنكم تدخلون الجنة من دون جهاد وصبر ، والجنة مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو حالية ولما جازمة ويعلم فعل مضارع مجزوم والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة جاهدوا صلة لا محل لها ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة نصب على الحال (ويعلم الصابرين) قرأ السبعة بفتح الميم ، فالواو للمعية ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية والفاعل هو والصابرين مفعول به وقد تقدم النفي عليها ونفي العلم بالنسبة الى الله كناية عن نفي المعلوم وهما الجهاد والصبر . ومن العجيب أن ينتطح بعض العرب القدامى فيقول : إن الفتحة فتحة التقاء الساكنين والفعل مجزوم عطفاً على « يعلم » الأولى ، فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج إلى تحريك آخره فكانت الفتحة أولى لأنها أخف ، إذ لا يجوز حمل القرآن على الوجوه المرجوحة (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وكنتم كان الناقصة واسمها ، وجملة تمنون خبرها وأصل تمنون تتمنون فحذفت إحدى التاءين والموت مفعول به من قبل جار ومجرور متعلقان بتمنون وأن تلقوه أن حرف مصدري ونصب وتلقوه فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون

والواو فاعل والهاء مفعول به والمصدر المؤول مضاف إليه (فقد رأيتموه وأتم تنظرون) الفاء عاطفة وقد حرف تحقيق وأيتموه فعل وفاعل ومفعول به والواو لإشباع الضمة وأتم الواو حالية وأتم مبتدأ وجملة تنظرون خبر ولا بد من تقدير مضاف أي : سبب الموت .

الفوائد :

كان المسلمون في الصدر الأول يتمنون الموت لا ليخلو الجو لعدوهم ولكن لنيل كرامة الاستشهاد مع ضمان التعوق والغلبة ، وهذا تنبيه لا بد منه لئلا يتساءل متنتع : كيف يجوز تمني الشهادة في تمنيتها غلبة للكافر على المسلم ، فقد كان ديدن الصحابة رضوان الله عليهم الاستشهاد في سبيل الله ولا تنسى بكاء خالد بن الوليد عندما حضره الموت ، لأنه مات على فراشه ؟ وقال عبد الله بن رواحة حين نهده إلى حرب مؤتة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ومعنى قوله : ذات فرغ أي : ذات سعة ، والفرغ الدلو ، أي : تحدث في جسدي ما يشبه الدلو الممتلئة بالماء . والحران : العطشان الظامى ، إلى دمي .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾

أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

اللفظة :

(الأَعقاب) جسع عقب وهو مؤخر القدم ، والانقلاب على الاعقاب :
الإدبار والفرار •

الاعراب :

(وما محمد إلا رسول) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق
ليبان أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفاً أو
تراخياً في دينه • وما نافية ومحمد مبتدأ وإلا أداة حصر ورسول خبر
(قد خلت من قبله الرسل) الجملة صفة لرسول وقد حرف تحقيق
وخلت فعل ماض مبني على الفتححة المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء
الساكنين ومن قبله جار ومجرور متعلقان بخلت والرسول فاعل (أفإن
مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء
للعطف وقد أتت متأخرة ورتبتها التقديم لأن الهمزة لها الصدارة ، وقد
ذكرنا سابقاً أن الزمخشري ومن نحا نحوه يقدرُون بينهما فعلاً محذوفاً
تعطف عليه الفاء ما بعدها ، والتقدير : أتؤمنون به في غضون حياته
فإن مات ارتددتم ، وكلاهما صحيح • وفائدة العطف تعلق الجملة
الشرطية بسا قبلها على معنى التسبب ، وإن شرطية ومات فعل ماض في
محل جزم فعل الشرط أو قتل عطف على مات وانقلبتم فعل ماض في
محل جزم جواب الشرط وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

حال ، وسيأتي المزيد من البحث في باب البلاغة عن هذا القصر (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وينقلب فعل الشرط وعلى عقبيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة لجواب الشرط ويضر فعل مضارع منصوب بـ (لن) والله مفعول به وثيئاً مفعول مطلق وجملة فلن يضر في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » (وسيجزي الله الشاكرين) الواو استئنافية ويجزي فعل مضارع مرفوع والله فاعل والشاكرين مفعول به .

البلاغة :

في قوله : « وما محمد إلا رسول » فن القصر وهو في اللغة الحبس ، وفي الاصطلاح تخصيص أحد الأمرين على الآخر وتقيده عما عداه وهو يقع للموصوف على الصفة وبالعكس ، والآية من النوع الأول أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتغداها إلى البعد عن الهلاك بناء على استعظام الصحابة أن لا يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فكأنهم أثبتوا له وصفين : الرسالة وعدم الهلاك ، فخصص بقصره على الرسالة ، فهو من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، وهو قصر أفراد ، رداً على من يدعي أمرين أو أحدهما بلا ترجيح ، وهو على كل حال من باب القصر القلبي ، لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يموت كما ماتوا وأنه يجب عليهم التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بأديانهم بعدهم .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا وَمَنْ يَرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ ﴿١١٥﴾﴾

اللفظة :

(مؤجلاً) مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر ، من أجل الشيء أو أجله
بالتشديد والتخفيف ، أي ضرب له أجلاً لا محيد عنه .

الاعراب :

- (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) كلام مستأنف مسوق
لتحقيق ما تقدم وهو أن كل نفس لن تموت إلا بمشيئة الله وأن أحداً
لا يسوت قبل بلوغ أجله وإن طوح بنفسه وخاض المعارك . والواو
استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنفس جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبر كان المقدم وأن تموت المصدر المنسبك من أن وما في
حيزها اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وإذن الله جار ومجرور متعلقان
بمحذوف حال وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال والتقدير : وما كان
لها أن تموت إلا مأذوناً لها (كتاباً مؤجلاً) كتاباً مصدر منصوب على
المفعولية المطلقة المفيدة لتأكيد مضمون الجملة التي قبله لأن المعنى
كتب الموت كتاباً ومؤجلاً صفة واختار ابن عطية أن يكون منصوباً
على التمييز ، وقيل : هو منصوب على الإغراء ولا داعي لهذا التكلف

البعيد (ومن يرد ثواب الدنيا ثؤته منها) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن الذين تركوا مراكزهم وطلبوا الغنائم ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ويرد فعل الشرط وثواب الدنيا مفعول به وثؤته جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من وقد تقدم تقرير ذلك وفيها جار ومجرور متعلقان بثؤته (ومن يرد ثواب الآخرة ثؤته منها) تقدم إعراب هذه الآية (وسنجزى الشاكرين) الواو استئنافية وسنجزى فعل مضارع مرفوع وفاعله نحن والشاكرين مفعول به والجملة استئنافية لامحل لها.

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ ﴾ (١٤٦)

اللفظة :

(ربيون) ربايون نسبة الى الرب ، وقد تقدم بحثها ووردت في اللغة بتشليث الراء والفتح هو القياس والضم والكسر من تغييرات النسب .

(استكانوا) : ضعفوا وذلوا والاستكانة الانكسار والوهن وأصل هذا الفعل استكن من انسكون لأن السكون الذل وأصله : (استكون) فنقلت الفتحة الى الكاف ثم قلبت الواو ألفاً .

الاعراب :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) كآين خبرية بمعنى كم

الخبرية وهي في محل رفع مبتدأ ومن نبي تمييز كآين وتنوينه للتكثير أي كثير من الأنبياء وجملة قاتل خبر كآين ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم وربيون مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية نصب على الحال (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) الفاء عاطفة وما نافية وهنوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بوهنوا وجملة أصابهم صلة وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولك أن تجعل ما مصدرية والمصدر المنسبك من ما وما في حيزها مجرور باللام (وما ضعفوا وما استكانوا) عطف على «ما وهنوا» . (والله يحب الصابرين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحب الصابرين خبر .

الفوائد :

(كآين) بمعنى كم في الاستفهام والخبر . وهي مركبة من كاف التشبيه ومن أي الاستفهامية وقد حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ، ولا تتعلقان بشيء لأنهما صارتا به نزلة كلمة واحدة ولذلك رأى أبو حيان أن تكون «كآين» كلمة بسيطة غير مركبة ، ولم أجد من يؤيده وإن كان رأيه جميلاً سهلاً وهي توافق كم الخبرية في خمسة أمور : ١ - الإبهام ٢ - الافتقار إلى التمييز ٣ - البناء ٤ - لزوم التصدير ٥ - إفادة التكثير أو التكثير تارة والاستفهام تارة أخرى . قال أبي لابن مسعود كآين تقرأ سورة الأحزاب آية؟ قال : ثلاثاً وسبعين . وتخالف كم في خمسة أمور ١ - أنها مركبة وكم بسيطة ٢ - أن مميزها مجرور بمن غالباً حتى زعم بعضهم لزومه وهو مردود بما رواه سيويه ويونس أنها سمعا من يقول كأي رجلاً ٣ - أنها لا

تقع استفهامية عند الجمهور ٤ - أنها لا تقع مجرورة فلا تقول بكأين تبع هذا ؟ وأجازه بعضهم ٥ - أن خبرها لا يقع مفرداً ، قال زهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

وقال الخليل وسيبويه : هي « أي » دخلت عليها كاف التشبيه وثبتت معها فصارت بعد التركيب بمعنى كم وصورت في المصحف نوأ لأنها كلمة نقلت عن أصلها فغير لفظها لتغير معناها ، فتصرفت فيها العرب بالقلب والحذف فصار فيها أربع لغات قرىء بها : أحداها « كائن » كقول زهير ، والثانية كأي مثل كَعَيْنٍ وهو الأصل ، والثالثة كآين مثل كعين ، والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة .

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) فَعَاتِلُهُمُ اللَّهُ تُوبَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

الاعراب :

(وما كان قولهم إلا أن قالوا) الواو عاطفة والكلام معطوف على ما تقدم لبيان محاسنهم القولية بعد أن أثبتوا محاسنهم الفعلية ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص وقولهم خبرها المقدم وإسمها أن المصدرية وما في حيزها ، وقرأ ابن كثير وعاصم برفع « قولهم » على أنه اسم كان

والخبر أن وما في حيزها ، وإلا أداة حصر والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وجملة اغفر في محل نصب مقول القول ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر وذنوبنا مفعول به وإسرافنا عطف عليه ، في أمرنا جار ومجرور متعلقان بإسرافنا وإنما نسبوا الإسراف الى أنفسهم هضمًا لها وقدموا طلب الغفران باعتباره أهم لديهم من كل شيء (وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) الواو حرف عطف وثبت فعل دعاء وأقدامنا مفعول به وانصرنا عطف أيضاً وعلى القوم جار ومجرور متعلقان بانصرنا والكافرين صفة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) الفاء عاطفة أو استئنافية وآتاهم الله فعل ومفعول به وفاعل وثواب الدنيا مفعول به ثان (وحسن ثواب الآخرة) الواو حرف عطف وحسن عطف على ثواب، وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنويهاً بفضلها وأنه أولى ما يعتد به المرء وينشده (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحب المحسنين خبر .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ كَفَرُوا يردُّكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُم بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

اللفظة :

(الرعب) بضم الراء وسكون العين وضمها وقد قرىء بهما :
الخوف ، يقال : رعبته فهو مرعوب ، وأصله الامتلاء ، يقال : رعبت
الحوض أي ملأته ، وسيل راعب أي : ملا الوادي ، ويتعدى بنفسه
وبالهمزة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (إن تطيعوا الذين كفروا)
إن شرطية وتطيعوا فعل الشرط والواو فاعل والذين اسم موصول
مفعول به وجملة كفروا صلة والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتحذير
المؤمنين من الاغترار بأقوال المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا
إلى دينكم وإخوائكم ، ولو كان محمد نبياً لما قتل . وقيل : إن
تستكينوا لأبي سفيان وجناته يردوكم إلى دينهم (يردوكم على أعقابكم)
يردوكم جواب الشرط مجزوم والواو فاعل والكاف مفعول به وعلى
أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فتقلبوا خاسرين)
الفاء عاطفة وتقلبوا فعل مضارع معطوف على يردوكم وخاسرين حال
(بل الله مولاكم) بل حرف اضراب وعطف والله مبتدأ ومولاكم خبر .
والكلام معطوف على ما هو من مضمون الشرط ، كأنه قيل : فليسوا
أنصاراً لكم حتى تطيعوهم بل الله ، وقرىء الله بالنصب على أنه مفعول
به لفعل محذوف تقديره : بل أطيعوا الله ، ومولاكم بدل منه (وهو خير
الناصرين) الواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الناصرين خبره (سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب) كلام مستأنف مسوق على طريق الالتفات

للتنبية على هول ما سيلقيه تعالى في قلوبهم ، والسين حرف استقبال وثلقي فعل مضارع مرفوع وفاعله نحن وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بثلقي والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كهروا صلة لا محل لها والرعب مفعول به انلقي (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) بما الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بثلقي أي : بسبب اشراكهم أو ما اسم موصول والجملة صلة ، وبالله جار ومجرور متعلقان بأشركوا وما اسم موصول مفعول أشركوا وجملة لم ينزل به سلطاناً صلة الموصول وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لـ « سلطاناً » وسلطاناً مفعول ينزل (ومأواهم النار) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان أحوالهم في الآخرة بعد بيان أحوالهم في الدنيا من الخذلان المبين ، ومأواهم مبتدأ والنار خبره ويجوز العكس ولعله أولى (وبئس مثوى الظالمين) الواو استئنافية وبئس فعل ما ض جامد لإنشاء الذم ومثوى فاعل مضاف لمقترن بـ « ال » والظالمين مضاف اليه والمخصوص بالذم محذوف تقديره : النار .

البلاغة :

١ - الالتفات في قوله تعالى : « سنلقى » فقد التفت من الغيبة الى التكلم للاهتمام بما يلقيه تعالى في قلوبهم .

٢ - الاستعارة في قوله تعالى : « سنلقى » لأن الإلقاء لا يكون إلا في الأجرام فاستعير هنا للرعب تجسيداً وتشخيصاً بتنزيل المعنوي منزلة المادي .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا
عَنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنُ
عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَّكِبَلًا تَحْزَنُونَ
عَلَىٰ مَا فَاَنَكُومُ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٥٣﴾

اللفة :

(تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعاً وتستأصلونهم ، من حسه
يحسه ، من باب نصر ، إذا أبطل حسه . قال جرير :

تحسهم السيوف كما تسامى عريق النار في الأجم الحصيد

(تصعدون) بضم التاء من أصد أي ذهب بعيداً في الجبل وفي
الأرض ، ويقال : صعد في الجبل وأصد في الأرض .

(تلوون) تصرفون وجوهكم ولا تعرجون على أحد .

الاعراب :

(ولقد صدقكم الله وعده) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتفصيل موقعة أحد كما ذكرتها المطولات واللام جواب القسم محذوف وقد حرف تحقيق وصدقكم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ووعدته منصوب بنزع الخافض لأن صدق يتعدى لاثنتين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر أي بوعدته (إذ تحسونهم بإذنه) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بصدقكم وجملة تحسونهم في محل جر بإضافة الظرف إليها وبإذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حان من فاعل تحسونهم أي مأذوناً لكم (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر) يجوز في حتى هنا أن تكون حرف غاية وجر بمعنى الى ، وتكون مع مدخولها متعلقة بتحسونهم أي : تقتلونهم الى هذا الوقت ، وعلقها الزمخشري بصدقكم ، أي : صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم . وكلاهما صحيح ويجوز أن تكون ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه وجملة فشلتم في محل جر بالاضافة وجواب اذا محذوف على الصحيح والتقدير منعكم نصره أو انهزمتم أو بأت لكم الحقيقة جلية واضحة وتنازعتم الواو عاطفة وجملة تنازعتم عطف على جملة فشلتم وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنازعتم (وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون) عطف على ما تقدم ومن بعد جار ومجرور متعلقان بعصيتهم وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لـ « بعد » وأراكم فعل ماض والفاعل هو والكاف مفعول به أول وما اسم موصول مفعول به ثان وجملة تحبون صلة لا محل لها (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الجملة مفسرة لا محل لها والمعنى : حتى إذا كان ذلك كله وانقسمتم الى قسمين ، ثم فسر القسمين . ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة يريد صلة الموصول والدنيا مفعول به ومنكم من يريد الآخرة عطف على الجملة الأولى وفيها تفسير للقسم الثاني (ثم صرفكم عنهم ليتليكم) ثم حرف عطف وتراخ وجملة وصرفكم عطف على جواب اذا المحذوف أي منعكم نصره ثم صرفكم عنهم أي ردكم عنهم ليمتنح صبركم وثباتكم ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بصرف ليتليكم اللام للتعليل ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مفسرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بصرف أيضاً (ولقد غفا عنكم) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وغفا فعل ماض وعنكم جار ومجرور متعلقان بغفا (والله ذو فضل على المؤمنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وذو فضل خبر وعلى المؤمنين جار ومجرور متعلقان بفضل أو بمحذوف صفة له (إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف تقديره : اذكر أو بصرفكم أ وبغفا عنكم كأنه من باب التنازع ، وجملة تصعدون في محل جر بالاضافة ولا تلوون عطف على تصعدون ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة منصوبة على الحال وعلى أحد جار ومجرور متعلقان بتلوون (والرسول يدعوكم في أخراكم) الواو حالية والرسول مبتدأ وجملة يدعوكم خبر وفي أخراكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي : كائناً في ساقبتكم أو في جماعتكم ، وهو تصوير جميل لموقف القائد وثباته وهو يقول : إليّ إليّ عباد الله ، أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة (فأثابكم غماً بغم) الفاء عاطفة وأثابكم فعل ماض ومفعول به وغماً يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً بتضمين أثابكم معنى المجازاة والاعطاء ، ويجوز أن يعرب تمييزاً . وبغم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة أي غماً متصلاً بغم (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) اللام حرف جر وكي حرف تعليل ونصب واستقبال ولا زائدة وتحزنوا فعل مضارع منصوب

بكي والجار والمجرور متعلقان بأثابكم وعلى ما فاتكم جار ومجرور متعلقان بتحزنوا وجملة فاتكم صلة الموصول ولا ما أصابكم عطف على « ما فاتكم » (والله خير بما تعملون) الواو استئنافية والله مبتدأ وخير خبر وبما جار ومجرور متعلقان بخير وجملة تعملون صلة الموصول .

الفوائد :

(كي) : للعرب فيها مذهبان :

١ - أحدهما أن تكون الفعل بنفسها بمنزلة « أن » وتكون مع ما بعدها بمنزلة اسم كما كانت « أن » كذلك .

٢ - وثانيهما أن تكون حرف جر بمنزلة اللام فينصب الفعل بعدها باضمار « أن » كما ينتصب بعد اللام فاذا كانت بمنزلة « أن » جاز دخول اللام عليها كآلية الآفة الذكر واذا كانت حرف جر جاز دخولها على الاسماء كدخول حرف الجر ، من ذلك قول العرب كيمه ؟ فأدخل كي على « ما » في الاستفهام كما يدخل عليها حروف الجر نحو : لمَ وبمَ وعمَ ، فحذف الألف كما يحذفها مع حروف الجر وأدخل عليها هاء السكت في الوقف فقال : كيمه .

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ
هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم

مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ
 لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
 وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١٥﴾

اللفظة :

(النعاس) : بضم النون مقاربة النوم أو أوله ، وفترة في الحواس .

الاعراب :

(ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً) ثم : حرف عطف
 للترتيب مع التراخي وأنزل فعل ماض والجملة عطف على فأثابكم
 وأثابكم عطف على صرفكم ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بأنزل ومن
 بعد الغم جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً وأمانة مفعول به ونعاساً
 بدل من أمانة ، ويجوز أن يكون بدلاً مطابقاً بالنظر لمصدوقهما ، وأن
 يكون بدل اشتمال لأن كلاهما مشتمل على الآخر والعائد محذوف
 للعلم به أي فيهما ولأن الكلام يرشد إليه كما سترى في باب الفوائد •
 (يغشى طائفة منكم) الجملة صفة لقوله « نعاساً » وطائفة مفعول به
 ليغشى ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة ، وهم الذين
 صدقوا ربهم وثبت يقينهم (وطائفة قد أهتمهم أنفسهم) الواو استئنافية

وطائفة مبتدأ ، وساغ الابتداء به لوصفه بمحذوف دل عليه السياق أي من غيركم بدليل يغشى طائفة منكم وجملة قد أهتمهم أنفسهم هي الخير والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) جملة يظنون حالية من انهاء في اهتمهم ، ويجوز جعل « قد أهتمهم أنفسهم » صفة وجملة يظنون هي الخبر ، وبالله جار ومجرور متعلقان بـ يظنون وغير الحق صفة لمفعول مطلق محذوف والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يساور النفوس ، وظن الجاهلية بدل من « غير الحق » أو منصوب على المصدرية التشبيهية ، أي ظناً مثل ظن الجاهلية أو منصوب بنزع الخافض ، وعلى هذا لم يذكر ليظنون مفعولين وتكون الباء ظرفية كما تقول : ظننت بزيد ، وإذا كان ذلك كذلك لم تعد « ظننت » الى مفعولين ، وقد نص النحاة على ذلك وعليه قول الشاعر :

فقلت لهم ظنوا بالنفي مدجج سراتهم في السابري المسرد

(يقولون هل لنا من الأمر من شيء) جملة يقولون بدل من جملة يظنون وهل حرف استفهام إنكاري معناه النفي أي : ليس لنا ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لشيء ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالا ، ومن حرف جر زائد و شيء مجرور بمن لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر والجملة مقول القول (قل : إن الأمر كله لله) الجملة معترضة وان واسمها ، وكله تأكيد لـ « الأمر » لأنه يتجزأ والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن والجملة في محل نصب مقول القول (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) جملة يخفون حال من ضمير يقولون ، أي : يقولون فيما بينهم متسارئين ، وفي

أقسمهم جار ومجرور متعلقان يخفون وما اسم موصول مفعول به ولا نافية وجملة يبدون لا محل لها لأنها صلة ما ولك جار ومجرور متعلقان يبدون (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا) جملة يقولون مستأنفة مسوقة لبيان ما قبله ، ولتكون بمثابة شروع في الحديث عنهم مجدداً تطرية لنشاط السامع واسترعاء لانتباهه . ولو شرطية وكان فعل ماض ناقص ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وشيء اسم كان المؤخر وما نافية وقتلنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل وجملة ما قتلنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وها هنا الهاء للتنبيه وهنا اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بقتلنا (قل لو كنتم في بيوتكم) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن الآجال مكتوبة وأنهم لو أقاموا في المدينة لحدثت لهم أسباب يخرجون فيها لملاقاة حتوفهم وأنهم إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . ولو شرطية وكنتم كان واسمها ، وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة في محل نصب مقول القول (لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اللام واقعة في الجواب وبرز الذين فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة كتب عليهم القتل صلة الذين والى مضاجعهم جار ومجرور متعلقان ببرز أي الى مصارعهم (وليبتلي الله مافي صدوركم) الواو عاطفة على محذوف تقديره : وفعل ما فعله في أحد لمصالح جملة وليبتلي ، اللام للتعليل ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف أي فعل ذلك لمصالح تجهلونها وليبتلي مافي الصدور ، وما اسم موصول مفعول به وفي صدوركم جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وليمحّص مافي

قلوبكم) عطف على لبيتلي ما في صدوركم (والله عليم بذات الصدور)
الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتأكيد علمه تعالى بالسرائر والكوامن ،
والله مبتدأ وعليم خبر وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم •

البلاغة :

لو شئنا الاسهاب في إظهار مواطن البلاغة المنطوية فيها لضاق بنا
المجال ، وحسبنا أن ظم بها إلاماً سريعاً يأتي على ما تطول فيه العبارة
وتتد ، فمنها :

١ - الإيجاز: ويبدو في كثير من المواطن فيها على الشكل التالي:
آ - في كلمة ثم الواقعة في مستهلها للدلالة على أن تراخيا من
الزمن قد امتد بعد أن حل بهم ما حل في وقعة أحد في تلك الحادثة
العجيبة ، فبعد تصعيدهم في الجبل ، وإشاحة وجوههم عن رؤية
ما حدث لفرط ما نابهم من الدهشة واستولى عليهم من الفزع والهلع
أتبعهم الله غمّاً بعد غم أو على غم ، أو بسببه حدث نزول الأمن فرتق
الناس في الأجفان ، وهومت الرؤوس ، واسترخت المفاصل فكانوا
يميدون تحت الحَجَف ، وكانت السيوف تسقط من أيديهم •
والحجف بفتحتين جمع حجة اسم الترس أو الدرق •

ب - في كلمة « أمنة » وإبدال الناس منها إيجاز كثير يدل على
أن الأمن والهدوء استوليا عليهم فور ترنيق الناس وأخذ ديب
الكرى بمعاقد أجفائهم ، وإنما ينس من أمنٍ وزايله الخوف ،
والخائف لا ينام ، بل يرى أعداءه في كل مكان • وقد رمق النبي
هذه السماء العالية فقال :

وضاقت الأرض حتى كاد خائفهم

إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

ج - في كلمة « شيء » من قوله : « هل لنا من الأمر من شيء » التي احتوت على ما تضيق عنه الصحف كالنصر والظهور على العدو بعد أن اشتدت وطأته وضاوته .

د - في حذف خبر « طائفة » تنزيهاً لهم عن نسبة من اهتموا بأنفسهم ولم تبق لهم رغبة إلا في نجاتها دون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فافهم لم يناموا ، أما تقدير الخبر فيمكن أن يقدر : « تعرفهم بسيماهم » .

٢ - الكناية فقد كنى بالمضاجع عن المصارع حيث لا قوا حتفهم وصافحوا مناياهم .

٣ - المخالفة في جواب لو ، فقد جاء مرة بغير لام وجاء مرة مقترناً بها وفي هذا سر عجيب فقد قال : « لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ما هنا » ثم قال : « لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل » والقاعدة المعروفة هي أن جواب لو إذا كان منقياً بما فالأكثر عدم اللام وفي الإيجاب بالعكس لأن الإيجاب أحوج إلى التثبيت والترسيخ وهذا من الأسرار التي تميز كتاب الله بها ليكون المعجزة أبد الدهر .

الفوائد :

١ - هذه الآية تجمع حروف المعجم ليس في القرآن غيرها وغير

آية الفتح وهي قوله تعالى : « محمد رسول الله » الى قوله : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا » .

٢ - لا بد في بدل الاشتغال من عائد يربطه بالأول فأما في قوله : « نعاسًا » فالمراد : نعاسًا فيها ، لأن المخاطب يعلم ذلك بسهولة كما تقدم . لأن كلاً من الأمانة والنعاس مشتمل على الآخر .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥)

اللفظة :

(استزلهم) طلب منهم الزلل واستدرجهم اليه . والزلل هو الانحراف عن الحق والوقوع في المناكر .

الاعراب :

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب هزيمة المنهزمين واستزلال الشيطان إياهم ، فحرموا قوة القلب وثبات الجنان ، وهما عدة النصر . وإن واسمها ، وجملة تولوا صلة الموصول ومنكم جار ومجرور متعلقان بحذوف حال ويوم ظرف زمان متعلق بتولوا وجملة التقى في محل جر بالاضافة

(إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) الجملة خبر إن وإنما كافة ومكفوفة واستزلهم الشيطان فعل ومنفعل به وفاعل وأعاد إن بطريق الحصر تنبيهاً على مصدر الغي وسببه ، وهو ركونهم إلى الشيطان وإنصاتهم لداعيه • ويبعض جار ومجرور متعلقان باستزلهم وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة كسبوا صلة الموصول والعائد محذوف أي بتركهم المركز الذي أمرهم الرسول بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة (ولقد عفا الله عنهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإعلان العفو عنهم بعد ما تابوا واعتذروا واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وعفا الله فعل وفاعل وعنهم جار ومجرور متعلقان بعفا (إن الله غفور حلیم) ان واسمها ، وغفور حلیم خبران لأن والجملة تعليلية لقوله : عفا عنهم •

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ ﴾

﴿ ١٥٦ ﴾

الفة :

(ضربوا في الأرض) : سافروا فيها وأبعدوا في سفرهم للتجارة أو للغزو أو لغير ذلك من المقاصد •

(غزّى) جمع غازٍ ، والقياس غزاة كرام ورماة وساعة ،
ولكنهم حملوا المعتل على الصحيح .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها (لا تكونوا كالذين كفروا)
لا فاهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين
جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى
مثل فتكون هي الخبر والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة كفروا
صلة ، وجملة النهي متسأفة مسوقة لتحذير المؤمنين من الاحتذاء
بالمناققين والنطق بمثل ما قالوه (وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض)
عطف على الصلة والمراد بالاخوة اتفاق الجنس أو النسب . وإذا لمجرد
الظرفية يراد بها حكاية الحال الماضية تجسيدا للصورة والظرف متعلق
بقالوا وجملة ضربوا في الارض في محل جر بالاضافة لوقوعها بعد
الظرف (أو كانوا غزّى) عطف على جملة ضربوا في الارض وغزّى
خبر كانوا والواو اسمها (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) الجملة
في محل نصب مقول القول ولو شرطية وكان واسمها ، وعندنا ظرف
مكان متعلق بمحذوف خبر كانوا أي مقيمين عندنا وجملة ما ماتوا
لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة وما قتلوا عطف على
جملة ما ماتوا (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) اللام لام العاقبة
أو الصيرورة أي قالوا ذلك ليصيروا الى هذه العاقبة ، ويجعل فعل
مضارع بأن مضمرة جوازا بعد لام العاقبة وهي المصدر المجرور بها
متعلقان بفعل محذوف يفهم من السياق أي : قالوا ذلك واعتقدوه ،
والله فاعل وذلك مفعول به أول وحسرة مفعول به ثان وفي قلوبهم

جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة لحسرة . والمشار إليه هو الجهر بالقول والاعتقاد ، وجعله الزجاج ظنهم بأنهم لو لم يحضروا لم يقتلوا (والله يحيي ويميت) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحيي خبر وجملة يميت عطف على جملة يحيي (والله بما تعملون بصير) الواو استئنافية والله مبتدأ بما جار ومجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول وبصير خبر « الله » .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن رائع من فنون البلاغة وهو حكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة في الذهن وتجسيداً للمعنى المراد وتشخيصاً لما يريد المتكلم عرضه ، فإذا ظرف للمستقبل وقد جاء متعلقاً بقالوا ، وهي فعل ماض ، وكان ظاهر الكلام يقضي باستعمال « إذ » المفيدة للضي ، ولكنه عدل عنها الى « إذا » لحكاية الحال الماضية ، واستحضارها في الذهن ، وفائدتها استمرار الزمان المنتظم للحال الذي يدور عليه الحديث الى وقت التكلم ، وقد فصل الزجاج هذا المعنى تفصيلاً بارعاً بقوله : « إذا هنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني أنها مجرد الوقت أو يقصد بها الاستمرار » .

٢ - الطباق بين يحيي ويميت ، وهو من أوجز الحديث وأصدقه وأبعده في الدلالة على المعنى المراد ، فانه سبحانه قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما موارد الهلكة ، ثم يميت المقيم والقاعد مع أخذهما بأسباب الحيلة والحذر . وقد رmq أبو الطيب المتنبى هذه الساء العالية من البلاغة بقوله :

يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود
ويوقى الفتى المخش وقد خو ض في ماء لبة الصنديد

يقول : لا تجبن ، ولا تحرص على الحياة ، فالعجز والجبن ليسا
من أسباب البقاء وليسا بمنجيين من الموت ، ويرحم الله خالد بن
الوليد أنه قال عند موته : « ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة
أو طعنة ، وما أنذا أموت كما يموت العسير فلا قامت أعين
الجناء » .

الفوائد :

(لام العاقبة) أو الصيرورة هي التي تدل على مآل الشيء وعقباه
وحكمها في العمل حكم لام التعليل في اضرار أن يعدها جوازا
وستأتي أمثلة منها .

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الاعراب :

(ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) كلام مستأنف مسوق لتقرير
أن ما تحذرون وقوعه ليس مما ينبغي أن يحذر منه بل يجب أن يكون
حافزاً لكم على القتال ومواصلة الجهاد . والواو استئنافية واللام

موطئة للقسم المقدر وإن شرطية وقتلتهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهو مبني للمجهول والتاء فائب فاعل وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقتلتهم أو متم عطف على قتلتم ومتم فعل ماض من مات يموت كقائل يقول فهي بضم الميم ويجوز كسرهما إذا كانت من مات يماث كخاف يخاف وقد قرىء بهما (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) اللام لام الابتداء ومغفرة مبتدأ ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لوصفه بالجار والمجرور ورحمة عطف على مغفرة وخير خير ومما جار ومجرور متعلقان بخير وجملة يجمعون صلة ما ، ولام الابتداء ومدخولها جملة لا محل لها لأنها جواب للقسم حسب القاعدة المقررة وهي أنه إذا اجتمع قسم وشرط فالجواب يعطى للمتقدم منهما (ولئن متم أو قتلتم) تقدم اعرابها (إلى الله تحشرون) اللام ومدخولها جواب القسم ، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بتحشرون وتحشرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو فائب فاعل .

البلاغة :

في هذه الآية والتي قبلها فن منتظم في باب التقديم والتأخير ، فقد ورد الموت والقتل فيهما ثلاث مرات ، وتقدم الموت على القتل في الأول والأخير منها ، وتقدم القتل على الموت في المتوسط ، تبعاً لتقديم الأهم والأشرف .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ^ج لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ^ج

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴿

اللفظة :

(فظاً) : جافياً والفظاظة : الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلاً •
قال الراغب : « الفظ » : كرية الخلق ، وذلك مستعار من الفظ ،
وهو ماء الكرش ، وذلك مكروه شربه إلا في ضرورة • والغلظة : ضد
الرقة • ويقال : غلظ وغلظ بالكسر والضم ، وعن الغلظة تنشأ
الفظاظة وقدمت الفظاظة لسرّ وهو تقديم ما هو ظاهر للحسّ على
ما هو خافٍ في القلب •

الاعراب :

(فيما رحمة من الله لنت لهم) كلام مستأنف مسوق لتقرير
ما يجب سلوكه لتأليف الناس وترغيبهم في الخير ، والفاء استئنافية
وبما رحمة جار ومجرور متعلقان بـلنت وما زائدة للتوكيد ومن الله :
جار ومجرور متعلقان بسحذوف صفة لرحمة ولنت فعل ماض مبني
على السكون والتاء فاعل ولهم : جار ومجرور متعلقان بـلنت (ولو كنت
فظاً غليظ القلب لا تفضوا من حولك) الواو عاطفة على محذوف
مقدر ، أي : لنت ولو لم تكن ليتاً • ولو شرطية وكنت كان الناقصة
واسمها ، وفظاً خبرها ولا تفضوا : اللام واقعة في جواب لو وانفضوا
فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن
حولك : جار ومجرور متعلقان بانفضوا (فاعف عنهم واستغفر لهم)
الفاء هي الفصيحة أي : اذا شئت سلوك الطريق المثلى فاعف عنهم فيما

يختص بك ، واعف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله أنت وعنهم : جار ومجرور متعلقان باعف واستغفر عطف على اعف ، اي : فيما يختص بغيرك ، ولهم : جار ومجرور متعلقان باستغفر (وشاورهم في الأمر) عطف أيضاً وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بشاورهم (فاذا عزمت فتوكل على الله) الفاء عاطفة ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما يجب عمله بعد المشاورة ، وقدم المشاورة للإشارة الى أن التوكل ليس يعني اهمال التدبير ، وبيان أن الشورى من أفضل الأمور ، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل وتهويض الأمور لله تعالى . وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة عزمت في محل جر بالاضافة وفتوكل : الفاء رابطة لجواب إذا وتوكل فعل أمر والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكل (إن الله يحب المتوكلين) الجملة تعليلية لا محل لها وإن واسمها ، وجملة يحب المتوكلين خبرها .

الفوائد :

زيادة (ما) بين الباء وعن ومن والكاف ومجروراتها أمر معروف في اللسان العربي مقرر في علم العربية . وذهب بعض المعربين الى أن « ما » ليست زائدة بل هي نكرة تامة بمعنى شيء ورحمة بدل منها . وكان قائلها هذا يفرقون من أنها زائدة . وقيل : « ما » هنا استفهامية ، قال الفخر الرازي ما نصه : « قال المحققون : دخول اللفظ المهمل الوضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز ، وهنا يجوز أن تكون « ما » استفهاماً للتعجب تقديره : فبأي رحمة من الله لنت لهم ! وذلك بأن جنايتهم لما كانت عظيمة ، ثم إنه ما أظهر البتة تظليفاً في القول

ولا خشونة في الكلام علموا أن هذا لا يتأتى إلا بتأييد رباني قيل ذلك» .
وما قاله هؤلاء المحققون صحيح ولكن زيادة « ما » للتوكيد لا ينكره
في موطنه المقررة من له أدنى مشكة في الذوق والتعلق بالعربية ،
فضلا عن يتعاطى تفسير كلام الله . وليس « ما » في هذا المكان ما
يتوهمه أحد مهملاً فلا يحتاج ذلك الى تأويلها بأن تكون استفهاماً
للتعجب ، ثم إن تقديره ذلك : « فبأي رحمة » دليل على أنه جعل « ما »
مضافة للرحمة ، وما ذهب اليه خطأ من وجهين ، أحدهما : أنه لا تضاف
ما الاستفهامية ولا أسماء الاستفهام غير « أي » بلا خلاف ، و « كم »
على خلاف . والثاني أنه اذا لم تصح الاضافة فيكون اعرابه بدلاً ،
واذا كان بدلاً من اسم الاستفهام فلا بد من اعادة همزة الاستفهام في
البديل كما هو مقرر ، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسور عليه قول
الترجاج في « ما » هذه : إنها صلة فيها معنى التوكيد باجماع النحويين
والبيانين .

مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير :

وقد جرت مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير فقال الغزالي
في حديثه عن أقسام المجاز : القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير
فائدة كقوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ف « ما » هنا
زائدة لا معنى لها ، أي فبرحمة من الله لنت لهم . ورد عليه ابن الأثير
فقال وهذا القول لا أراه صواباً وفيه نظر من وجهين : أحدهما : أن
هذا القسم ليس من المجاز ، لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع
له في أصل اللغة ، وهذا غير موجود في الآية ، وإنما هي دالة على
الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة . والوجه الآخر : إني لو

سلمت أن ذلك من المجاز لأنكرت أن لفظة « ما » زائدة لا معنى لها ، ولكنها وردت تضحياً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم لهم ، وهي محض الفصاحة ، ولو عري الكلام منها لم تكن له تلك الفخامة الى أن يقول : « وأما الغزالي رحمه الله فانه عندي معذور في أن لا يعرف ذلك لأنه ليس فنه ومن ذهب الى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول وإما أن يكون متسحاً في دينه واعتقاده ، وقول النحاة : إن « ما » في هذه الآية زائدة ، إنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل ، كما يسمونها في موضع آخر كافة ، أي أنها تكف الحرف العامل عن عمله كقولك : إنا زيد قائم ف « ما » قد كفت « إن » عن العمل في « زيد » ، وفي الآية لم تمنع عن العمل ، ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة » ! فتأمل هذه المناقشة فافها من الحسن بمكان ؟ .

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦٠)

الاعراب :

(إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) كلام مستأنف لإيجاب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه . وإن شرطية وينصركم فعل الشرط والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والله فاعل ، فلا الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس تعمل عمل إِنْ وغالب اسمها المبني على الفتح وجملة فلا غالب لكم في محل جزم جواب الشرط ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبرها (وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)
 الواو عاطفة وإن شرطية ويخذلكم فعل الشرط فمن الفاء رابطة لجواب
 الشرط ومن اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ وذا اسم إشارة
 في محل رفع خبر « من » والذي اسم موصول في محل رفع بدل من
 اسم الإشارة ومن بعده جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة
 فمن الاسمية في محل جزم جواب الشرط وجملة ينصركم صلة لا محل
 لها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو عاطفة وعلى الله جار ومجرور
 متعلقان يتوكل والفاء لتأكيد الاستئناف واللام لام الأمر ويتوكل فعل
 مضارع مجزوم باللام والمؤمنون فاعل وفي تأكيد الاستئناف بعد الافكار
 والنفي حث مبالغ فيه على الاتكال بعد الاخذ بأسباب الحيطة والحذر .

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ
 اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخِطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ثُمَّ
 دَرَجَتْ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

اللفظة :

(غل) : أخذ خفية واستغلالاً وخيانة . والغلول صفة تتنافى
 مع النبوة . ومن طريف الجناس قولهم : « يد المؤمن لا تغلّ وقلب
 المؤمن لا يغلّ » الأولى بضم الغين من الغلول والثانية بكسرها من
 الغل أي الحقد .

الاعراب :

(وما كان لنبي أن يغفل) كلام مستأنف مسوق لنفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي قراءة بالبناء للمجهول أي ينسب إلى الغلول ، وكلتا القراءتين تنفي هذه الصفة عن النبي لعصمته ولتحريم الغلول . والواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص مبني على الفتح ولنبي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأن يغفل مصدر مؤول اسمها المؤخر (ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للردع عن الغلول . ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويغفل فعل الشرط ويأت جوابه وبما جار ومجرور متعلقان بيأت وجملة غل صلة الموصول ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيأت أيضاً وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من (ثم توفى كل نفس ما كسبت) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول معطوف على الجملة الشرطية وكلّ نفس نائب فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو استئنافية أو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر « هم » والجملة استئنافية أو حالية ، ونرى الاستئناف أرجح لأنها بمثابة إيضاح لتوفى كل نفس ما كسبت على طريق العدل فينال كل إنسان جزاءه من غير حيف أو نقصان (أفمن اتبع رضوان الله) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف والنية التقدم على الهمزة وقد تقدم البحث في هذا التركيب وإن تقدير المحذوف : أجعل لك ما تميز به بين الضال والمهتدي فمن اتبع رضوان الله واهتدى ليس كمن باء بسخطه ، والاستفهام الإنكاري معناه النفي ، ومن اسم موصول مبتدأ وجملة اتبع صلة ورضوان الله مفعول به لا تتبع

والجسلة معطوفة على المحذوف الذي هو مستأنف (كمن باء بسخط من الله) كمن الكاف حرف جر ومن اسم موصول في محل جر بالكاف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « من » أو الكاف اسم بمعنى مثل خير ومن مضاف إليه وجملة باء صلة الموصول وبسخط جار ومجرور متعلقان بباء ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ومأواه جهنم وبئس المصير) الواو حرف عطف ومأواه مبتدأ وجهنم خبره والجملة عطف على الصلة ، أي : وكمن مأواه جهنم . ولك أن تجعل الواو استئنافية ، وعلى كلا الوجهين لا محل لها من الاعراب وبئس الواو عاطفة أيضاً وبئس فعل ماض جامد لإثشاء الذم والمصير فاعل والمخصوص بالذم محذوف ، أي جهنم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت ما بين الفريقين كما سيأتي في باب البلاغة وهم مبتدأ ودرجات خبر وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لدرجات والله الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبسا جار ومجرور متعلقان ببصير وجملة يعملون صلة .

البلاغة :

في هذه الآيات فنون شتى يضيق عنها العدد ويمكن إيجازها على الوجه التالي :

١ - المبالغة في النهي ، وقد وردت المبالغة على هذه الصيغة كثيراً في القرآن ، كقوله تعالى : « ما كان للنبي أن يكون له أسرى » ، « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

٢ - والظلول أولى بأن يبالغ فيه ، لأن تصور المبالغة على وجه

يبعث الخوف ويوجب الخاطر عن التفكير فيه ، وتصويره ، بله ارتكابه والخوض في مناحيه . ويحسن بنا أن نورد حديثاً فيه تجسيد فني لصورة الظول أو الاستغلال ، أو اجتلاب المناقع الخاصة على حساب المجاهدين والضارين في سبيل الله ، حتى على حساب الحيوانات التي لا تعقل ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الظول فعظمه وعظم أمره ، حتى قال : « لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقة فرس له حمحة فيقول : يا رسول الله أغثني ! فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد أبلغتك » والحديث طويل اجتزأنا منه بما تقدم .

٣ - التشبيه البليغ في قوله « هم درجات » فقد جعلهم الدرجات نفسها ، للمبالغة في إظهار التفاوت ، لما بينهم في الثواب والعقاب .

٤ - الالتفات وهو هنا العدول عن ذكر الخاص ، وهو النبي ، إلى ذكر العام ، وهو كل نفس ، ليشمل كل كاسب بغير حق ، وليتلطف ويتعطف في تقرير الظول وتناججه بالنسبة للنبي . ألا ترى إلى قوله تعالى : « غفا الله عنك لم أذت لهم » فقد بدأ المصطفى بالعضو ، ولو لم يبدأ به لتفطر قلبه .

٥ - الطباق بين الرضوان والسخط .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦١)

الاعراب :

(لقد من الله على المؤمنين) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق ومن الله فعل وفاعل وعلى المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمن والكلام مستأنف مسوق لتأكيد نزاهة النبي صلى الله عليه وسلم وبيان خطأ الذين نسبوا إليه الغلول (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمن وجسلة بعث في محل جر بالإضافة وفيهم جار ومجرور متعلقان ببعث ورسولا مفعول به ومن أنفسهم جار ومجرور متعلقان بسحذوف صفة لـ « رسولا » (يتلو عليهم آياته) الجسلة صفة ثانية لـ « رسولا » وعليهم جار ومجرور متعلقان يتلو (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجسلتان معطوفتان على يتلو ، والكتاب مفعول به ثان ليعلمهم والحكمة عطف على الكتاب (وإن كانوا من قبل لنفي ضلال مبين) الواو حالية وإن مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها وكان واسمها ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وقبل ظرف مبني على الضم في محل جر بمن ولفي اللام هي الفارقة وفي ضلال جار ومجرور متعلقان بسحذوف خبر كانوا ومبين نعت .

البلاغة :

في الآية فن رفيع من فنون البلاغة يعرف بفن التجريد ، وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله فيها مبالغة لكسالتها فيه ، كأنه أبلغ من الاتصاف بتلك الصفة . وهو أقسام كثيرة يسكن الرجوع اليها في كتب البلاغة ، ولكننا نشير الى أهمها :

١ - أن يكون بـ « من » الجارّة ، ومن أوابده في النثر خطبة أبي طالب في تزويج خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنها : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضي معد » .

٢ - ويكون بالباء الجارة التجريدية كقول أبي تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بعزة فتحت لنا باب الرجاء المقل

بأتمّ من قمر السماء إذا بدا بدرأ وأحسن في العيون وأجمل

بأجلّ من قيس إذا استنطقته رأياً والطف في الأمور وأجزل

٣ - ويكون يفي الجارّة التجريدية ، قال تعالى : « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم فاتزع منها داراً أخرى مبالغة . وقد رملها أبو الطيب فقال :

تمضي المواكب والأبصار شاخصة

منها الى الملك الميمون طائره

قد حرن في بشر في تاجه قمر

في درعه أسد تدمي أظافره

فإن الأسد هو المدح نفسه لكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والإقدام .

٤ - ومن أقسام التجريد أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ، ثم يخاطبه كقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
 فليسعد النطق إن لم تسعد الحال
 واجز الأمير الذي نعماه فاجئة
 بغير قول ونعمى القوم أقوال
 وجميل قول أبي نواس :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن
 سنة العشاق واحدة فإذا أجبت فاستن
 ومراده الخطاب مع نفسه ، ولذلك قال بعدها :

ظنّ بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظنن
 بات لا يعنيه ما لقيت عين ممنوع من الوسن
 رشاً لولا ملاحظته خلت الدنيا من الفتن

وقال شوقي في العصر الحديث :

قم قاجر جلق وانشد رسم من بانوا
 مشت على الرسم أحداث وأزمان

فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر يمثل في الشاعرية والقدرة على
 مناجاة دمشق الخالدة التي صمدت للاستعمار دائماً . ويكثر هذا
 القسم في مطالع القصائد ولكن سبيله صعبة محفوفة بالخطر لأنه قد

يخاطب مدوحه أو معشوقه أو أي مخاطب كان بها يكره ويتطير به
كما فعل جرير عندما استهل قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان :

أتصحوا أم فؤادك غير صاح عشيّة هم صحبك بالرواح

فقال له عبد الملك : ويحك ! ما لك ولهذا السؤال يا ابن الناعله !
وكما تورط أبو الطيب المتنبّي نفسه متعبداً في مديح كافور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً

وحسب المنايا أن يكنّ أمائياً

ومن القصائد البديعة التي تغلغل التجريد الى أبياتها قصيدة
الضمة بن عبد الله في صاحبه رياء ، ونوردها كاملة ففيها لعشاق الأدب
سلوى وتأساء :

حننت إلى رياء وهشك باعدت

مزارك من رياء وشعباكما معا

فما حسن" أن تأتي الأمر طائعا

وتجزع أن داعي الصبابة أسعا

قما ودعا فجداً ومن حلّ بالحمى

وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا

وما أحسن المصطاف والمتربعا

ولست عشيّات الحمى برواجمع
إليك ولكن خلّ عينيك تدمعاً
ولما رأيت البشر أعرض دوننا
وحالت بنات الشوق يحزنّ نزعاً
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً
تلفّت نحو الحي حتى حسبتني
وجعت من الاصغاء ليتاً وأخدعاً
وأذكر أيام الحمى ثم أثني
على كبدي من خشية أن تصدّعاً

الفوائد :

تخفف « إن » المكسورة الهمزة المشبهة بالفعل فتعمل لزوال اختصاصها ، وتدخل على الخبر لام تسمى اللام الفارقة ، مثل : إن خالد لمسافر ، فرقاً بينها وبين إن النافية ، وإذا وليها فعل كانت مهملة حتماً ، ويكون هذا الفصل من النواسخ أي كان وظن وأخواتهما ، ولا بد من دخول هذه اللام على هذه الأفعال . وقد أعملها بعض العرب في القسم الأول على قلة فقالوا يجوز أن نقول : إن خالد لمسافر ، ولهذا أخطأ الزمخشري وخالف كتابه المفصل عندما أعملها في قولها

تعالى : « وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » عندما قدر اسمها اسماً ظاهراً أي إن الشأن والحديث . وقد تبع الزمخشري في الخطأ الجلال وأبو السعود ، وجل من لا يسهو .

﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٦٥)

الاعراب :

(أولما أصابتكم مصيبة) الهزة للاستفهام الانكاري والتقريع والواو عاطفة على ما تقدم من قصة أحد والمعنى لا ينبغي لكم أن تتعجبوا من فشلكم فإنكم تعلمون السبب وإذا عرف السبب بطل العجب، ولما ظرفية حينية متعلقة بقلتم أو رابطة فهي حرف، وسيأتي حكمها في باب الفوائد . وأصابتكم فعل ماض ومفعول به ومصيبة فاعل (قد أصبتم مثليها) الجملة صفة لمصيبة وقد حرف تحقيق وأصبتم فعل وفاعل ومثليها مفعول به (قلتم أنى هذا) جملة قلتم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأنى اسم استفهام خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول والمعنى : من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ومعنا رسول الله وقد وعدنا الله بالنصر عليهم ؟ (قل هو من عند أنفسكم) جملة القول مقول للقول وهو مبتدأ ومن عند أنفسكم جار ومجرور متعلقان بسحذوف خبر (إن الله على كل شيء قدير) ان واسمها وخبرها وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير والجملة تعليلية لا محل لها .

الفوائد :

١ - أورد ابن هشام في المغني هذه الآية شاهداً على أن الهمزة تدخل على النفي كما تدخل على الإثبات وهذا وهم منه لم تكن تتوقع صدوره عن رجل ذكي مثله لأن لما هنا حينية لا نافية فلا يصلح هذا مثلاً لدخولها على النفي ولا يقال : إن الهمزة للانكار وهو بمثابة النفي فالكلام الذي دخلت عليه منفي أيضاً فصح التشيل لأننا نقول : الانكار هنا توبيخي فمدخوله ثابت كقولك لضارب أبيه : أتضربه وهو أبوك فالأولى الاعتراف بأن ابن هشام اشتبه عليه لفظ لما لعل المراد أنه أراد لما النافية وقد انتبه السيوطي لهذه الغلطة وقال : والأولى التشيل بقول الشاعر : فقلت : لما اصح والشيب وازع ، وهذه من هنات ابن هشام اليسيرة التي سجلناها عليه وجل من لا يسهو ، وقال الدماميني في شرحه للمغني : «والأولى أن يجعل مدخولها محذوفاً هو المعطوف عليه أي ألم تجزعوا أو قلت لما أصابتكم مصيبة ويكون المصنف مثل للنفي المذكور والمحذوف قال : فإن قلت هذا لا يراه المصنف كما يأتي وإنما يرى الهمزة الداخلة على مدخول الواو قدمت تنبيهاً على اتصالها في التصدير كما يأتي فكيف يحمل كلامه على ما ذكرت ؟ قلت : المصنف لم يذكر هذا في الهمزة التي للانكار نحو : «أفأمن أهل القرى» «أظلم يسيروا» أو مثل على قول الزمخشري ومن تبعه .

٢ - (لما) على ثلاثة أوجه :

آ - تختص بالمضارع فتجزمه وتقلبه ماضياً كالم ولكن نفيها مستمر إلى الحال بعكس لم .

ب - أن تختص بالماضي وقد اختلف فيها علماء النحو فقال

جماعة هي ظرف بمعنى حين وقال جماعة هي حرف لربط جملتين لا بد منها نحو لما جاءني أكرمته .

ج - أن تكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو « إن كل نفس لما عليها حافظ » وسيأتي الكلام عنها في مكانها .

٣ - قد : حرف توقع لاقتراءه بالأفعال المتوقعة والمسئول عنها ولذلك يقال : إذا دخلت على الماضي حرف تحقيق وإذا دخلت على المضارع حرف تقليل ومعنى تقليلها تقريبها من الحال ومنه قوله تعالى : « قد يعلم الله المعوقين منكم » وقد تخرج عن موقعها وتجيء من قبيل الاسماء بمعنى حسب ، تقول : قدك أي حسبك . قال أبو تمام :

قدك اتتب أريت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْقِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
 اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ
 لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 يَكْتُمُونَ ﴾ (١٦٧) ﴿

الاعراب :

(وما أصابكم يوم التقى الجمعان) الكلام مستأنف

مسوق لتتممة قصة أحد والواو استثنائية وما اسم موصول
مبتدأ وجملة أصابكم صلة ويوم ظرف منعلق بأصابكم وجملة
التقى الجمعان في محل جر بالإضافة (فيأذن الله وليعلم المؤمنين) الفاء
رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ويأذن الله جار ومجرور
متعلقان بحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره فهو بأذن الله والجملة
الاسمية في محل رفع خبر اسم الموصول وليعلم الواو عاطفة واللام
للتعليل ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والجار والمجرور
متعلقان بنا تعلق به بأذن والعطف هو من باب عطف السبب على السبب
ولك أن تعلقهما بفعل محذوف تقديره فعل ذلك ليعلم والمؤمنين مفعول
به (وليعلم الذين نافقوا) عطف على ليعلم والذين اسم موصول مفعول به
وجملة نافقوا صلة الموصول (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو
ادفعوا) كلام مستأنف مسوق للاخبار بأنهم مأمورون إما بالقتال وإما
بالدفع ولك أن تجعله معطوفاً على نافقوا داخلاً في حيّز الموصول أي
وليعلم الذين حصل منهم النفاق والقول المذكور وقيل فعل ماض مبني
للمجهول ولهم جار ومجرور متعلقان بقيل وجملة تعالوا مقول القول
وكذلك جملة قاتلوا وكلتا الجملتين فائب فاعل قيل ولم يأت بحرف
العطف بينهما لأن كلا من الجملتين مقصودة بالذكر لذاتها وفي سبيل
الله جار ومجرور متعلقان بقاتلوا أو حرف عطف وادفعوا معطوف على
قاتلوا وحذف مفعول ادفعوا للعلم به لأنه العدو ودفعه إنما يكون
بتكثير سواد المسلمين وسواد المسلمين جماعتهم (قالوا لو نعلم قتالا
لا تبعناكم) الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة مسوقة لتعبر عن تحملهم
وامعانهم في اللجاج وركوب متن الغي والضلال ولو شرطية وسماها
سيهويه خرقاً لما كان سيقع لوقوع غيره جملة لو نعلم قتالا مقول
قولهم لأن رأي عبد الله بن أبي كان في الإقامة بالمدينة . واللام واقعة

في جواب لو واتبعناكم فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) الجملة مستأنفة مسوقة للقطع بأمرهم وهم مبتدأ وللکفر جار ومجرور متعلقان بأقرب ويوم ظرف زمان مضاف لظرف آخر وهو متعلق بحذوف حال وأقرب خبرهم ومنهم جار ومجرور متعلقان بأقرب وللإيمان جار ومجرور متعلقان بأقرب أيضاً وهذا من خصائص اسم التفضيل يتعلق به حرفا جر متحداً لفظاً ومعنى وحرف آخر غير متحيد بعامل واحد لأنه في قوة عاملين فهو يدل على أمرين وهما أصل الفعل والزيادة فيه فيعمل كل منهما بواحد (يقولون بأفواههم ما ليس بقلوبهم) الجملة مستأنفة لا محل لها أو حالية من الضمير في أقرب فيكون المعنى قربوا للكفر في حالة كونهم قائلين هذه المقالة وبأفواههم جار ومجرور متعلقان يقولون وإننا صرح بالجار والمجرور والقول لا يكون إلا بالافواه لأن القول يطلق على اللساني والجسماني فتقيده بأفواههم تقييد لأحد محتمليه وقيل لمجرد التأكيد وما اسم موصول مفعول به وجملة ليس في قلوبهم صلة ما وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بحذوف خبر ليس (والله أعلم بما يكتسبون) كلام مستأنف مسوق لتقرير أنه تعالى عليم بما يكتسبونه من هفاق أو بما كانوا يبيتونه في الخفاء ولك أن تجعلها حالية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة يكتسبون صلة ما .

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا

عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

الاعراب :

(الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا) الذين اسم موصول لك في إعرابه وجوه متساوية منها أن تعربه بدلا من اسم الموصول في الآية المتقدمة أي الذين نافقوا أو من الواو في نافقوا أو تنصبه على الذم بفعل محذوف تقديره أذم وهو شائع في كلامهم ويدل على تجسيد وتصوير ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف فتكون الجملة مستأنفة وجملة قالوا صلة وإخوانهم جار ومجرور متعلقان بقالوا والواو يجوز فيها أن تكون حالية أو عاطفة والجملة اما حالية من الواو في قالوا وقد مقدرة واما معطوفة على جملة قالوا (لو أطاعونا ما قتلوا) لو شرطية وأطاعونا فعل ماض وفاعل ومنفعل به وما نافية وقتلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة ما قتلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة لو أطاعونا في محل نصب مقول القول (قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) الجملة مستأنفة وقل فعل أمر والناء هي الفصيحة أي إذا صححت دعواكم فادعوا عن أنفسكم أي ادفعوا وعن أنفسكم جار ومجرور متعلقان بادعوا والموت منفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبر كنتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فادعوا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم إن القعود ينجي صاحبه ولا يقال إن الإنسان يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الأجل إذا أخذ بأسباب التوقي فذلك إرجاف لا يتفق مع قوله تعالى « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » •

الفوائد :

(لو) في الكلام ضربان : مصدرية وشرطية .

آ - المصدرية هي التي يحسن في موضعها ان المصدرية وأكثر ما تقع بعد ودّ أو ما في معناه كقوله تعالى « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » .

ب - الشرطية هي للتعليق في الماضي كما أن إن في المستقبل ومن ضرورة كون التعليق في الماضي أن يكون شرطها منفيّ الوقوع لأنه لو كان ثابتاً لكان الجواب كذلك وأما جوابها فإن كان مساوياً للشرط في العسوء كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً فلا بد من انتفاءه أيضاً وإن كان أعم من الشرط كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً فلا بد من انتفاء القدر المادي منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون : لو حرف امتناع لامتناع أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون أنها تدل على امتناع الجواب مطلقاً لتخلفه في نحو : لو ترك العبد سؤال ربه لأعطاه . وإنما يريدون أنها تدل على انتفاء المساوي من جوابها للشرط والأولى أن يقال : لو حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم من ثبوته ثبوت غيره فينبه على أنها تقتضي لزوم شيء لشيء ويكون اللزوم منفيّاً ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقاً ولا لثبوته لأنه غير لازم من معناها وسيرد بحث مستع عند قوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » فانظر واقرأ العجيب من هذه اللغة الشريفة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ

رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ
بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿١٧٠﴾

الاعراب :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) كلام مستأنف مسوق لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بمصائر الشهداء ولئن كان الكلام خاصاً بشهداء أحد فلا ينتفي عنه العموم وقد سبق القول في شهداء بدر وما نزل فيهم وهو قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله » الآية والواو استئنافية ولا فاهية وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والذين اسم موصول مفعول به أول وأمواتاً مفعول به ثان (بل أحياء عند ربهم يرزقون) بل حرف عطف يعطف جملة على جملة وأحياء خبر لمبتدأ محذوف أي هم أحياء وليست بل التي تعطف مفرداً على مفرد لأن المعنى يختل إذ يصير لا تحسبنهم أحياء بل الغرض الإعلام بحياتهم ترغيباً في الجهاد وحثاً عليه وعند ربهم ظرف متعلق بيززقون ويجوز أن تعلقه بمحذوف خبر ثان ويجوز أن تعلقه بمحذوف صفة وهذه الوجوه متساوية الرجحان وجملة يرزقون في محل رفع خبر ثالث أو ثان (فرحين بما آتاهم الله من فضله) فرحين حال من الضمير في يرزقون وبما جار ومجرور

متعلقان بفرحين وجسلة آتاهم الله صلاة ما الموصولية ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم ولك أن تعتبر من تبضيعية فتعلقها مع مجرورها بسحذوف حال (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الجسلة معطوفة على فرحين من جهة المعنى فهي حال لأن الصفة المشبهة تشبه المضارع وبالذين جار ومجرور متعلقان يستبشرون وجسلة لم يلحقوا بهم صلة الذين ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بسحذوف حال من الواو في لم يلحقوا (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أن هي المخففة من الثقلة واسمها ضمير الشأن المحذوف والمصدر المؤول من ان وما في حيزها منصوب بنزع الخافض أي بأن لا خوف عليهم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل اشتمال من الذين أي ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوهم خلفهم أحياء في الدنيا من المؤمنين ولا يخفى ما في هذا الاستبشار من إلهاب للرغبة في الجهاد ولا نافية للجنس مهلة وخوف مبتدأ وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ولا هم يحزنون عطف عليه وقد تقدم اعراب ظائره فلذلك اجتزأنا بما تقدم .

البلاغة :

١ - الطباق بين أموات وأحياء وهي مطابقة بلغت الغاية في تصوير شهداء معركة أحد والشهداء الذين يستشهدون في مععان الجهاد وقد خولف الاعراب بين المتعاطفين في الظاهر للدلالة على أن الموت أمر طارئ يعقبه العهود والاندثار وعدم تجدد الذكر أما الرفع وجعله جسلة اسمية فهو أبلغ في الدلالة على الديسومة وطروء الذكر وتجده كل يوم وقد وردت أحاديث تجسد الموقف البديع .

٢ - مراعاة النظر وهو فن بديع جميل تفنن علماء البلاغة في تسميته فسماه بعضهم التناسب والتوفيق وسماه آخرون الائتلاف والمؤاخاة وحده أن يجمع الناظم والناثر بين أمر وما يناسبه سواء أكانت المناسبة لفظاً أم معنى فقد ناسب سبحانه بين فرحين ويستبشرون وبين عدم الخوف وعدم الحزن وبين النعمة والفضل .

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

الاعراب :

(يستبشرون بنعمة من الله وفضل) كرر الفعل للتأكيد والجملة استئنافية مسوقة للتأكيد ولك أن تجعلها تأكيداً لسابقتها أو بدلاً منها وبنعمة جار ومجرور متعلقان يستبشرون ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنعمة وفضل عطف على نعمة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) الواو عاطفة وان واسمها وجملة لا يضيع خبرها (الذين استجابوا لله والرسول) اسم الموصول مبتدأ ولك أن تنصبه بفعل محذوف على المدح أو تجره على أنه صفة للمؤمنين وجملة استجابوا صلة الموصول والله جار ومجرور متعلقان باستجابوا والرسول عطف على الله (من بعد ما أصابهم القرح) من بعد جار ومجرور متعلقان

بمحذوف حال وما مصدرية وأصابهم القرح فعل ومفعول به وفاعل
وما المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لبعد (للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) للذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف
خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف
حال واتقوا عطف على أحسنوا وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة وجملة
للذين خبر الذين في قوله : الذين استجابوا ، اذا أعربت الذين مبتدأ ،
أو حالية .

غزوة حمراء الأسد :

الذين استجابوا لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم وهم المؤمنون الذين ساهموا في الحرب بمعركة أحد ويقول
التاريخ : حمراء الأسد هي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق
إذا أردت ذا الحليفة وكانت هذه الغزوة صبيحة يوم الأحد لست عشرة
مضت أو ثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة
لطلب عدوهم بالأمس ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس أي من شهد معركة
أحد فخرج معه جميع من شهدها من المؤمنين الخلفاء ، وكانوا ستائة
وثلاثين وأقام بها صلى الله عليه وسلم الاثنين والثلاثاء والأربعاء وكان
قد أصابهم القرح بسبب ما نالهم في أحد فتسارعوا يحفزهم حبّ الثأر
فتجاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر ويحققوا الهدف المرجو
وساور المشركين الرعب فلم يتهدوا لقتال ولم يبرزوا الى ميدان بل
قبعوا في مكة لائذين بأذيال الخوف والنجاة ثم رجع النبي وصحابته
الى المدينة يوم الجمعة ولم يستغرق نهوده للمشركين إلا خمساً .

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ
 إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّهِ
 يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا
 ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ
 مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

الاعراب :

(الذين قال لهم الناس) الذين بدل أو صفة ثانية ل : الذين
 استجابوا ولكن يشكل على هذا الإعراب أن الذين استجابوا لله
 والرسول هم الذين حضروا معركة أحد وهؤلاء الذين وقع لهم هذا
 القول المذكور هم مطلق المؤمنين فتعذر البدلية أو الوصفية وتقادياً
 لهذا الاشكال نرى من الأولى أن نعرب الموصول منصوباً بفعل محذوف
 على المدح والتقدير امدح وجملة قال صلة الموصول ولهم جار ومجرور
 متعلقان بقال والناس فاعل (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)
 الجملة مقول القول وإن واسمها وقد حرف تحقيق وجملة جمعوا
 خبر إن ولكم جار ومجرور متعلقان بجمعوا والفاء
 الفصيحة واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء
 مفعول به (فزادهم إيماناً) الفاء عاطفة وزاد عطف على قال والفاعل
 ضمير مستتر مفهوم من قال لهم أي زادهم القول وإيسافاً مفعول به ثان
 ويجوز إعرابه تمييزاً (وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) وقالوا عطف
 على زادهم وحسبنا خبر مقدم وفا مضاف إليه والله مبتدأ مؤخر ونعم الواو

حالية ولك أن تجعلها استثنائية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والوكيل فاعل والمخصوص بالمدح هو الله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) الفاء عاطفة وجملة انقلبوا معطوفة على مقدر مفهوم من سياق الكلام أي وخرجوا مع النبي فانقلبوا وبنعمة جار ومجرور متعلقان بانقلبوا أو بسحذوف حال ومن الله جار ومجرور متعلقان بسحذوف صفة وفضل عطف على نعمة (لم يمسسهم سوء) الجملة حالية ويمسسهم فعل مضارع مجزوم بلم والهاء مفعول به وسوء فاعل (واتبعوا رضوان الله) الجملة عطف على جملة انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) الواو استثنائية والله مبتدأ وذو فضل خبر وعظيم صفة (انسا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) كلام مستأنف مسوق لبيان القائل وانسا كافة ومكفوفة وذلكم مبتدأ والشيطان مبتدأ ثان وجملة يخوف خبر الشيطان والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الإشارة ويجوز أن نعرب ذلكم مبتدأ والشيطان بدلا من ذلكم وجملة يخوف خبر ذلكم ويجوز أيضاً أن نعرب ذلكم مبتدأ والشيطان خبره وجملة يخوف أولياءه مستأنفة أو حالا . (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) الفاء هي الفصيحة أي اذا وثقتم بهذا فلا تخافوهم وخافون عطف على لا تخافوهم والواو فاعل والنون للوقاية وحذفت ياء المتكلم جوازاً باتفاق القراء السبعة في الرسم ، وإن شرطية ، كنتم كان واسمها وفعل الشرط في محل جزم بإن ، والجواب محذوف دل عليه ما قبله ، ومؤمنين خبر كنتم .

البلاغة :

- ١ - العموم والخصوص في ذكر الناس عامة بعد ذكر الخاصة وهم الذين استهموا في غزوة أحد من اطلاق العام وإرادة الخاص .

٢ - اللف والنشر المرتب في قوله : بنعمة من الله وفضل مع طي ذكر الملفوف والمنشور وهما السلامة بالاجسام التي تعود الى النعمة والربح بالتجارة الذي يعود الى الفضل .

﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦)

اللفظة :

(يحزنك) بفتح الياء وضم الزاي لغة في أحزنه وبها قرئ ومثله فتنه وافتته فهما لغتان فاشيتان لثبوتهما بطريق التواتر .

الاعراب :

(ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) كلام مستأنف مسوق للبالغة في تسليته صلى الله عليه وسلم والواو استئنافية ولا ناهية ويحزنك فعل مضارع مجزوم يلا والكاف مفعول به والذين فاعل وجملة يسارعون صلة الموصول وفي الكفر جار ومجرور متعلقان بيسارعون لتضمنها معنى يقعون (انهم لن يضرُوا الله شيئاً) الجملة تعليلية لا محل لها للايذان بأن مضارعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بشبهة مضارعتة سبحانه وفي ذلك مسلاة له ومدعاة له الى اطراح الحزن جملة . ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من فافق وارتداد من ارتد وهذه عظة بالغة للاعتداد بالنفس والثقة والاحتفاظ بالشخصية ورباطة الجأش عند نزول المصيبة وإن واسمها وجملة لن يضرُوا الله خبرها

وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر (يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة) الجملة مستأنهة ويريد الله فعل وفاعل وان وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريد وحظاً مفعول يجعل الاول ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ولهم عذاب عظيم) الجملة مستأنهة أيضاً للمبالغة في امتنانهم ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة لعذاب .

البلاغة :

التنكير في قوله شيئاً فإن التنوين يزيد النكرة شياعاً وتكيراً وقلة وحقارة وذلك لتأكيد ما هم عليه من القلة والحقارة وضالة الشأن .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٧ ﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨ ﴾

اللفظة :

(نملّي لهم) تتركهم وشأنهم وأمليت له في الأمر أخرت وأمليت للبعير في القيد : أرخيت له ووسعت .

الاعراب :

(إن الذين اشتروا الكفر بالايمن) كلام مستأنف لتعميم الحكم على الكفار والمرتدين بعد أن كان خاصاً بالمنافقين وإن واسمها وجلة اشتروا صلة الموصول والكفر مفعول به وبالايمن جار ومجرور متعلقان باشتروا (لن يضروا الله شيئاً) تقدم اعرابها بحروفها والجملة خبر إن (ولهم عذاب أليم) تقدم اعرابها (ولا يحسبن الذين كهروا) الواو عاطفة على قوله ولا يحزنك أو استئنافية ولعلها أولى لتعميم الحكم ولا ناهية ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا والذين فاعل وجلة كهروا صلة (إنما نسلي لهم خير لأنفسهم) ان حرف مشبه بالفعل وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر هو اسم ان أي ان املاءنا ويجوز أن تكون موصولة فتكون اسمها وكان من حقها أن تكتب مفصولة من ان ولكن طريقة المصحف كتابتها موصولة بها ولهم جار ومجرور متعلقان بنسلي وخير خبر ان ولأنفسهم جار ومجرور متعلقان بخير وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبن (إنما نسلي لهم ليزدادوا إثماً) الجملة مستأنفة بثابة التعليل للجملة التي قبلها فهي علة الاملاء ونسلي فعل مضارع ولهم جار ومجرور متعلقان بنسلي واللام لام التعليل ويزدادوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل وإثماً تمييز والجار والمجرور « لام التعليل والمصدر المؤول » متعلقان بنسلي (ولهم عذاب مهين) تقدم اعرابها .

البلاغة :

١ - الاستعارة المكنية في اشتراء الكفر بالايمن وقد تقدم القول في هذا .

٢ - الاستعارة التصريحية في الاملاء فقد شبه امهالهم وترك الحبل لهم على غواربهم بالفرس الذي يملأ له الحبل ليجري على سجيته ويرتقي كيف يشاء فحذف المشبه وهو الامهال والترك وأبقى المشبه به وهو الاملاء .

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَنِي مِنْ
رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ فَطَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

اللفظة :

(يذر) و (يدع) فعلان مضارعان أمات العرب ماضيهما فلم يأت منهما إلا المضارع والأمر ومعتاهما الترك وقال علماء العربية : أن كلستي ذر ودع في معنى الترك إلا أن دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به وذر أمر له بتركه بعد ما علمه ، روي أن بعض الأئمة سأل الامام الرازي عن قوله تعالى : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » لم لم يقل وتدعون أحسن الخالقين وهو أقرب من الفصاحة للسجاسة بينهما فقال الامام : لأنهم اتخذوا الاصنام آلهة وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين ، استكباراً فلذلك قيل لهم : وتذرون ولم يقل وتدعون ، هذا وقد ورد في الحديث الشريف مصدر يدع قال : « لتنهين أقوام من ودعهم الجمعات » أي عن تركها .

(يميز) مضارع ماز أي عزل هذا عن ذلك .

(يجتبي) يختار ويصطفى .

الاعراب :

(ما كان الله ليذر المؤمنين) كلام مستأنف لبيان أن الله سبحانه عالم بكل شيء وهو لا يترك عباده على ما هم عليه من اختلاط في الأمر والتباس فيما يعانونه من شئون ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص والله اسما وليذر اللام لام الجحود وهي المسبوقة بكون منفي وقد تقدم ذكرها ويذر فعل مضارع منصوب بأن مقدرة وجوبا بعد لام الجحود الجارة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان والتقدير لم يكن الله مريدا تركهم على حالة من الاختلاط والتباس ، والمؤمنين مفعول به (على ما أتم عليه) والجار والمجرور متعلقان بيذر وأتم مبتدأ وعليه خبره وجمله أتم عليه صلة ما الموصولة (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى حرف غاية وجر ويميز فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف أي مريدا تركهم والخبيث مفعول به ومن الطيب جار ومجرور متعلقان يميز (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) تقدم اعرابها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) الواو عاطفة ولكن حرف شبه بالفعل بمعنى الاستدراك والله اسمها وجمله يجتبي خبرها ومن رسله جار ومجرور متعلقان يجتبي ومن اسم موصول مفعول به وجمله يشاء صلة الموصول (فآمنوا بالله ورسله) الفاء الفصيحة وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله معطوف على الله والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو الذي

وقعت الفاء في جوابه (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) الواو استئنافية وإن شرطية وتؤمنوا فعل الشرط وتتقوا عطف على تؤمنوا ، فلكم الفاء رابطة اجواب الشرط ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة في محل جزم جواب الشرط .

﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٨٠)

الاعراب :

(ولا يحسبن الذين يبخلون) كلام مستأنف مسوق للشروع في ذم البخل وتقرير جزاء الباخلين ولك أن تجعل الواو عاطفة فيكون الكلام منسوقاً على ما تقدم ولا فاهية ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والذين اسم موصول فاعل وجملة يبخلون صلة الموصول (بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) بما جار ومجرور متعلقان ببخلون وجملة آتاهم الله صلة ما الموصولية ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم والمفعول الاول ليحسبن محذوف دل عليه سياق الكلام أي البخل وهو ضمير متصل لا محل له وخيراً مفعول يحسبن الثاني ولهم جار ومجرور متعلقان بخير وسيرد بحث شيق عن قراءة تحسبن في باب الفوائد (بل هو شر لهم) بل حرف اضراب وعطف وهو مبتدأ وشر خبر ولهم جار ومجرور متعلقان بشر (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) الجملة تفسيرية لقوله هو شر

لهم ولك أن تجعلها مستأنفة بإثابة التعليل والسين حرف استقبال يفيد التوكيد ويطوقون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وما اسم موصول منصوب ينزع الخافض أي بما بخلوا به . وبه جار ومجرور متعلقان ببخلوا ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيطوقون ولك أن تعلقه بمحذوف حال (والله ميراث السموات والارض) الواو استئنافية والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وميراث السموات مبتدأ مؤخر والارض عطف على السموات (والله بما تعملون خير) الواو استئنافية والله مبتدأ وبما جار ومجرور متعلقان بخير وجملة تعملون صلة الموصول وخير خبر .

البلاغة :

في هذه الآية :

- ١ - الطباق بين خير وشر وبين السموات والارض فالكلام مقابلة.
- ٢ - الالتفات : فقد انتقل من الغيبة الى الخطاب بقوله تعملون زيادة في النكال وتأكيذاً للوعيد والانذار .

الفوائد :

- ١ - قرئ ولا تحسبن بالتاء فلا حذف في الكلام لأن الذين هو المفعول الاول وخيراً هو المفعول الثاني ويرد على هذا اشكال وهو أن أصل مفعولي حسب وأخواتها المبتدأ والخبر ولا يظهر ذلك في الآية لعدم صحة الحمل ، والجواب عن هذا الاشكال أن في الآية إيجازاً

والتقدير ولا تحسبن بخل الذين يبخلون باظهار ما آتاهم الله هو خيراً لهم فيتم تقدير الكلام .

٢ - حذف أحد مفعولي القلوب يكون للاختصار اذا كان هناك دليل عليه وقد أجازهُ الجمهور واستدلوا عليه بالآية ويقول عنترة العبسي :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة الحب المكرم

والتقدير : فلا تظني غيره مني واقعاً فحذف المفعول الثاني ومنعه بعضهم وقالوا : ان المفعول به الثاني هو قوله مني تنازعه نزلت وتظني وفي الباب الخامس من مغني اللبيب بحث ممتع فلفظه بما يلي : جرت عادة النحويين أن يقولوا : يحذف المفعول به اختصاراً واقتصاراً ويريدون بالاختصار الحذف لدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو كلوا واشربوا أي اوقعوا هذين الفعلين وقول العرب : « من يسمع يخل » أي تكن منه خيلة والتحقيق أن يقال : انه تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً الى فعل كون عام فيقال : حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوي إذ المنوي كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له ومنه « ربي الذي يحيي ويميت » « وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » و « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » الى آخر هذا البحث فارجع اليه .

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

الاعراب :

(لقد سمع الله قول الذين قالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان نساذج من أراجيف اليهود وكذبهم وافتئاتهم على الله واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وسمع فعل ماض والله فاعله وقول مفعوله والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة قالوا صلة الموصول (إن الله فقير ونحن أغنياء) الجملة مقول القول وان واسمها وخبرها ونحن الواو عاطفة ونحن مبتدأ وأغنياء خبر والجملة معطوفة على ما قبلها (سنكتب ما قالوا) الكلام مستأنف والسين حرف استقبال وما اسم موصول مفعول به لنكتب وجملة قالوا صلة لا محل لها ويجوز أن تكون مصدرية أي قولهم ولعله أولى والجملة صلة للموصول الحرفي (وقتلهم الأنبياء بغير حق) الواو عاطفة وقتل معطوف على ما أو على المصدر المؤول والهاء ضمير في محل جر بالاضافة والانبيااء مفعول به للمصدر الذي هو القتل وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع نصب على الحال (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) الواو عاطفة وجملة ذوقوا في محل نصب مقول القول وعذاب الحريق مفعول ذوقوا (ذلك بما قدمت أيديكم) الجملة مستأنفة لا محل لها واسم الإشارة مبتدأ وبما جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر وجملة قدمت صلة الموصول وأيديكم فاعل قدمت (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الواو حرف عطف وان ما في حيزها في محل رفع عطفاً على الخبر وان واسمها وجملة ليس في محل رفع خبر أن واسم ليس ضمير مستتر وبظلام الباء حرف جر زائد وظلام مجرور لفظاً في محل نصب خبر ليس ولك أن تجعل الواو استئنافية وجملة أن وما بعدها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الله الخ وهو جيد .

البلاغة :

١ - الاستعارة المكنية في قوله ذوقوا عذاب الحريق وقد تقدمت الإشارة إليها بحروفها .

٢ - الطباق بين فقير وأغنياء .

٣ - المجاز المرسل في أيديكم إذ المراد سيئاتكم والعلاقة هي السببية لأن اليد هي السبب فيما يقتربه الانسان من أعمال .

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَنُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

الاعراب :

(الذين قالوا : إن الله عهد إلينا) الذين بدل من الموصول السابق

في قوله : لقد سمع الله قول الذين أو نعت له أو خبر لمبتدأ محذوف فتكون الجملة مستأنهة وجملة قالوا صلة الموصول وجملة إن الله الخ في محل نصب مقول القول وإن واسمها وجملة عهد خبرها والينا جار ومجرور متعلقان بعهد (أن لا تؤمن لرسول) أن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي أمرنا في التوراة بأن لا تؤمن لرسول والرسول جار ومجرور متعلقان بنؤمن (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) حتى حرف غاية وجر ويأتينا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به وبقربان جار ومجرور متعلقان يأتينا وجملة تأكله النار صفة لقربان وال في النار للعهد أي المعهودة لديهم بأنها تنزل من السماء والتفاصيل يرجع إليها في المطولات (قل : قد جاءكم رسل من قبلي) الكلام مستأنف مسوق لتوبيخهم على الكذب والافتئات وقل فعل أمر وفاعله أف وجملة قد جاءكم في محل نصب مقول القول ورسول فاعل ومن قبلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسول (بالبينات وبالذي قلتم) الجار والمجرور متعلقان بجاءكم وبالذي عطف على قوله بالبينات وجملة قلتم صلة الموصول (فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) التاء عاطفة واللام حرف جر وما الاستفهامية المحذوفة الألف في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقتلتموهم وقتلتموهم فعل وفاعل ومفعول به والواو لا شباع حركة الميم وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف تقديره فلم قتلتموهم .

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوكَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١٨١) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا

تُوفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٩﴾

اللفظة :

(متاع الغرور) المتاع : كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره
والغرور : مصدر غرّ أي خدع ، والغرور الباطل .

الاعراب :

(فإن كذبوك فقد كُتِبَ رسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق
لتسليته صلى الله عليه وسلم ، والفاء استئنافية وإن شرطية وكذبوك
فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ، فقلد : الفاء
رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وكذب فعل ماض مبني للمجهول
ورسل نائب فاعل ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة
لرسل (جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) الجملة صفة لرسل
وبالبينات جار ومجرور متعلقان بهاءوا وما بعده عطف عليه والمنير
صفة للكتاب (كل نفس ذائقة الموت) كلام مستأنف مسوق ليكون
تتمة لتسليته صلى الله عليه وسلم ، وكل نفس مبتدأ وذائقة الموت خبره
(وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) الواو حالية أو استئنافية وإنما
كافة ومكفوفة وتوفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل

وأجوركم مفعول به ثان ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتوفون (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وزحزح فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهو مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وعن النار جار ومجرور متعلقان بزحزح وأدخل عطف على زحزح ونائب الفاعل مستتر والجنة منصوب بنزع الخافض والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وفاز فعل ماض والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) الواو استئنافية وما نافية والحياة مبتدأ والدنيا صفة وإلا أداة حصر ومتاع الغرور خبر .

البلاغة:-

في الآية تشبيه بليغ ، فقد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به بائعه على طالبه حتى ينخدع ويشتره . وقد أخرج سبحانه الكلام بهذا التشبيه مخرج الإنكار على من جعل ديدنه الاغترار بالدنيا وتلمّظ أفاويقها ، وهي في الواقع لا تقع فيها ولا طائل تحتها ، وأية فائدة ترجى من الشيء الذي يعتوره الفناء ؟ !

﴿ لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيْرًا ۖ وَإِنْ تَصْبِرُواْ
وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٨٦)

اللفة :

(عزم الأمور) : أي معزوماتها فجعل المصدر بمعنى اسم المفعول

الاعراب :

(تلبون في أموالكم وأتقسكم) اللام موطئة للقسم وتبلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة وفي أموالكم جار ومجرور متعلقان بتبلون وأتقسكم عطف على أموالكم والجملة لامحل لها من الأعراب لأنها جواب قسم مقدر وجملة القسم مستأنفة مسوقة للشروع في تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيستهدفون له من المكاراه ، وفائدة التسليّة توطئ النفس على احتمال المكاراه عند وقوعها والاستعداد للنتائج مهما تكن (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الواو عاطفة واللام جواب قسم مقدر أيضاً وتسمعن تعرب مثل تلبون ومن الذين جار ومجرور متعلقان بتسمعن وجملة أوتوا صلة الموصول والواو في أوتوا نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) ومن الذين جار ومجرور معطوفان على « من الذين أوتوا الكتاب » وهما متعلقان بتسمعن وأذى مفعول به لتسمعن وكثيراً صفة (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) الواو عاطفة وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط وتتقوا عطف على تصبروا فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وإن حرف مشبه

بالفعل وذلك اسمها ومن عزم الأمور جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة المقترنة بالفاء لا محل لها من الاعراب لأنها بمثابة تعليل لجواب الشرط المحذوف واقع موقعه والتقدير : وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فقد أحسنتم أو أصبتم شاكلة الصواب ، ولك أن تجعلها هي الجواب وتكون الإشارة الى صبر المخاطبين .

﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)

اللفظة :

(النَّبَذَ) الطَّرَح وراء الظهر . مثل في ترك الاعتداد بالشيء والإعراض عنه بالكلية . وقد تقدم مستوفى في سورة البقرة ، كما تقدم القول في أن بعض العلماء جعله من أفعال التحويل كما سيأتي .

الاعراب :

(واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) كلام مستأنف مسوق لبيان كتائبهم شواهد نبوته ومخايل صدقه . والواو استئنافية وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف أي : اذكر وقت أخذ الله الميثاق . وأخذ فعل ماض والله فاعل وميثاق الذين مفعول به والجملة في محل جر بالاضافة وجملة : أوتوا الكتاب صلة الموصول والواو

قائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (لتبينته للناس ولا تكتمونه)
اللام جواب للقسم الذي يدل عليه أخذ الميثاق ، كآله قال لهم : بالله
لتبينته . وقرىء بالياء . وتبينته فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه
ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال ، وقد تقدمت له ظائر وما بالعهد
من قدم . وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « تبينته » ولا تكتمونه
الواو عاطفة وتكتمونه جملة معطوفة على تبينته ، ولك أن تجعل الواو
حالية فتكون الجملة نصباً على الحال (فنبذوه وراء ظهورهم) الفاء
عاطفة ونبذوه فعل وفاعل ومفعول به ووراء ظهورهم نصب على المفعولية
الثانية كما تقدم في سورة البقرة ، وأعربه الكثيرون ظرفاً ، ولم
يشترطوا كون الفاعل مستقراً مع الظرف (واشتروا به ثمنًا قليلاً)
الواو عاطفة واشتروا عطف على نبذوه وبه جار ومجرور متعلقان
باشتروا وثمنًا مفعول به وقليلًا صفة (فبئس ما يشترون) الفاء
استئنافية وبئس فعل ماض جامد لا إنشاء الظم وما فكرة تامة منصوبة
على التمييز وقد ميزت فاعل بئس . ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة
مع الفعل بمصدر هو الفاعل أي : شراؤهم ، وقد تقدمت .
والمخصوص بالذم محذوف أي : هذا .

البلاغة :

١ - الالتفات ، فقد انتقل من الغيبة في قوله « وإذا أخذ الله
ميثاق الذين أوتوا الكتاب » إلى الخطاب في قوله : « لتبينته » ثم عاد
إلى الغيبة ، والفائدة من ذلك زيادة التسجيل المباشر عليهم .

٢ - الاستعارة المكنية في اشتروا به ، وقد تقدمت .

﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٨)

اللفظة :

(المفازة) مكان الفوز والنجاة ، ويجوز أن تكون مصدراً
ميمياً . وسميت الصحراء مفازة تفاؤلاً بالسلامة والفوز .

الاعراب :

(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) كلام مستأنف مسوق
ليبيان غفلتهم وانسياقهم مع أوهامهم . ولا فاهية وتحسبن فعل مضارع
مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا والفاعل
مستتر تقديره أنت والذين مفعول به وجملة يفرحون صلة الموصول
وبما جار ومجرور متعلقان بيفرحون وجملة أتوا لا محل لها لأنها صلة
الموصول (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) ويحبون معطوف على
يفرحون وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به
وبما جار ومجرور متعلقان بيجمدوا ولم حرف نهي وقلب وجزم
ويفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والجملة
صلة الموصول (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الفاء زائدة لتحسين
اللفظ وقد أنشدوا على زيادة الفاء في مثل هذا التركيب قول الشاعر :

وحتى تركت العائدات يعدنه يقلن فلا تبعد وقلت له ابعد

أي : لا تبعد ، هكذا أعربها العربون ، وتبعهم المفسرون .
وأرى أنها الفصيحة ، وهي تسبق عادة جملة التطرية لنشاط القارئ .
بعد حذف المفعول الثاني لتحسين الأولى ، أي لا تحسبنهم ناجين .
وإذا شئت أن تتأكد مصيرهم تماماً فلا تحسبنهم . وبمفازة جار
ومجرور في موضع المفعول الثاني لتحسبنهم ومن العذاب جار ومجرور
متعلقان بمحذوف صفة لمفازة إن اعتبرت اسم مكان وبمفازة إن
اعتبرت مصدراً ميمياً (ولهم عذاب أليم) الواو استئنافية ولهم جار
ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم نعت .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
١٨٩ ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ ١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا
سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ ١٩١ ﴾

الاعراب :

(والله ملك السموات والارض) الواو عاطفة والله جار ومجرور
متعلقان بمحذوف خبر مقدم ملك مبتدأ مؤخر والسموات مضاف
إليه والارض عطف على السموات (والله على كل شيء قدير) الواو
عاطفة والله مبتدأ وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان يقدير وقدير
خبر (إن في خلق السموات والارض) كلام مستأنف مسوق لبيان

قدرته سبحانه ووجوده وعلمه • وإن حرف مشبه بالفعل وفي خلق
السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم
(واختلاف الليل والنهار) عطف على خلق (لآيات لأولي الألباب)
اللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر ولأولي الألباب جار ومجرور
متعلقان بمحذوف صفة لآيات (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى
جنوبهم) الذين صفة لأولي الألباب وجملة يذكرون الله صلة وقياماً
وقعوداً حالان وعلى جنوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي :
مضطجعين ، والمعنى يذكرونه في جميع الأحوال قياماً وقعوداً
ومضطجعين • وللفقهاء استدلالات وإيماءات بارعة ، ومن طريف حجج
الشافعي أنه استدل بها على اضجاع المريض على جنبه في الصلاة
(ويتفكرون في خلق السموات والأرض) لك أن تجعل الواو عاطفة
فتكون الجملة معطوفة على سابقتها فتكون داخلة في حيز الصلة ،
ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة نسباً على الحال (ربنا
ما خلقت هذا باطلاً) ربنا منادى مضاف ولا بد من تقدير قول : أي :
يقولون ربنا ، فالجملة نصب على الحال وما نافية وخلقت فعل وفاعل
وهذا مفعول به وباطلاً منصوب بنزع الخافض أي بالباطل أو نعت
لمصدر محذوف أي خلقاً باطلاً ، أو حالاً من هذا ، ورجح أبو حيان
هذا الوجه على غيره • واعتدنا أنها متساوية الرجحان (سبحانه فقنا
عذاب النار) سبحانه مفعول مطلق وهو مع فعله المحذوف جملة
معتضة لا محل لها • فقنا الفاء عاطفة للترتيب أي : نزهناك فقنا •
ولك أن تجعلها الفصيحة لمعنى الجزاء المقدر أي : إذا شئت جزأنا
فقنا • وقـ فعل أمر ونا مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان •

البلاغة :

١ - الطباق : الذي جمع حالات الانسان الثلاث في الصلاة ، وهي القيام والقعود والاضطجاع على الجنب ، كما يقول الشافعي ، أو الاستلقاء ، لأنه أخف ، كما يقول أبو حنيفة .

٢ - المجاز المرسل بعلاقته المحلية ، فقد ذكر السموات والارض ، ومراده ما فيهما من أجرام عظيمة بديعة الصنع صالحة للاستغلال في سبيل النفع الانساني الشامل .

٣ - الإيجاز في قوله : ويتفكرون في خلق السموات والارض ، حيث انطوى تحت هذا الإيجاز كل ما تمخض عنه العلم من روائع المكتشفات وبدائع المستنبطات . وفي الحديث : لا عبادة كالتفكر .

١ - فلسفة الافكار لديكارت :

ولا مندوحة لنا هنا عن الإشارة الى أن فلسفة ديكارت الفرنسي عرفت في العصر الحديث بأنها فلسفة الافكار الواضحة المتميزة ، كما كانوا يسمونها في القرن السابع عشر . فقد أرادت تلك الفلسفة أن تخلص الفكر من وطأة السلطات أيّاً كانت ، فلم تقبل دليلاً على الحق إلا البداهة العقلية ، أي بداهة العقل الذي يراه الفيلسوف أعَدَل الأشياء قسمة بين الناس ، وحظوظ الناس منه متساوية ، فلا فرق بين شعب وشعب ، ولا تفاضل بين جنس وجنس . وقد كان لديكارت فضل في بناء صرح المذهب العقلي الحديث حين وضع قاعدته المشهورة: يجب أن لا أقبل شيئاً أبداً على أنه حق ما لم يتبين لي ببداهة العقل أنه كذلك ، ويجب أن لا أحكم على الأشياء إلا بما يتمثله ذهني بوضوح وتيسر ينتهي معهما كل سبيل الى الشك .

بين ديكارت ومحمد عبده :

وقد تجلى أثر هذه الفلسفة عند الاستاذ الامام محمد عبده في السنوات الاولى من هذا القرن العشرين إذ لا يخفى أن الدعوة التي نهض بها الامام محمد عبده لإصلاح المجتمع الاسلامي عموماً إنما تقوم على اصطناع منهج ديكارت في « الافكار الواضحة المتميزة » وفي تغليب حكم العقل على أحكام الهوى والعاطفة وفي اصطناعه اليقين والبداهة معياراً لصحة الروايات أو تلفيقها .

تأملات ديكارت :

ومن المفيد أن نلخص تأملات ديكارت الستة وهي :

- ١ - بداهة العقل عند الفيلسوف معيار اليقين ، أي العلامة المميزة للمعرفة الصحيحة .
- ٢ - فناء الجسم الانساني أمر ممكن ميسور ، أما الذهن فباق بطبيعته .
- ٣ - فكرة موجود كامل فينا تشمل قدراً من الحقيقة الموضوعية أي تشارك بالتصور في قدر من درجات الوجود والكمال بحيث يلزم أن تصدر عن علة كاملة على الإطلاق .
- ٤ - جميع الاشياء التي تتصورها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً هي كلها صحيحة ، وتتصل بالحقائق العقلية التي يمكن معرفتها بمعونة النور الطبيعي وحده .

٥ - وفي التأمل الخامس يتحدث عن ماهية الاشياء المادية ، ثم يعود الى الحديث عن الله ووجوده ، وهو يستند الى معيار البداهة . ولما كان ديكارت عالماً رياضياً ، وكان المثل الاول للبداهة عنده هو مثل البداهة الرياضية ، فهو ينظر الى الفكرة الواضحة التي تكون في أذهاننا عن الله فيجد أن شأنها كشأن المثلث ، وينتهي الى القول : إن القضيتين مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين ، والله موجود هما قضيتان متعادلتان في اليقين .

٦ - واتتهى ديكارت في التأمل السادس بتمييز فعل الفهم من فعل المخيلة فقال : وأصف علامات التمييز ، وفيه أبين أن نفس الانسان متميزة عن الجسم حقاً ، وأنها مع ذلك ملتزمة معه التاماً ومتحدة به اتحاداً يجعلها وإياه شيئاً واحداً ، وفيه أبسط جميع ضروب الخطأ الناشئة من الحواس ، مبيناً الوسائل لاجتنابها . وأورد أخيراً جميع الأدلة التي يمكن أن يستنتج منها وجود المادية ، لا لأنني أرى لها فائدة كبيرة في إثبات ما ثبته - أعني أن العالم موجود وأن للناس أجساماً وما شابه ذلك من أشياء لم يشك فيها قط افسان ذو عقل سليم - بل لأن إنعام النظر فيها يطلعنا على أنها لم تبلغ من المثانة والبداهة مرتبة الأدلة التي توصلنا الى معرفة الله ومعرفة النفس ، وبهذا الاعتبار تكون الأدلة الأخيرة أوثق وأبين ما يمكن أن يقع للذهن الانساني من معرفة .

٤ - المطابقة المتعددة حتى تسمى مقابلة فقد طابق بين السموات والارض ، وبين الليل والنهار ، والقيام والقعود .

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارِ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ
فَعَامِنَا رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

﴿١٩٣﴾

الاعراب :

(ربنا افك من تدخل النار فقد أخزيتہ) كلام مستأنف مسوق
لتتمة الابتهالات الرقيقة الرائعة التي شرع فيها في خاتمة سورة آل
عمران . وربنا منادى مضاف وإلك : إن واسمها ، ومن اسم شرط
جازم في محل نصب مفعول به مقدم وتدخل فعل الشرط والنار
منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة ، فقد الفاء رابطة
لجواب الشرط لاقتران الجواب بقدر وأخزيتہ فعل وفاعل ومفعول به
والجملة المقرونة بالفاء في محل جزم جواب الشرط والجملة في محل
رفع خبر إن (وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية أو حالية وما
نافية وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف
جر زائد وأنصار مجرور لفظاً بمن مرفوع بالابتداء محلاً ، ولك أن
تجعل ما حجازية عاملة عمل ليس لأنهم أجازوا تقديم الخبر إذا كان
ظرفاً أو جاراً ومجروراً (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان) ربنا
منادى مضاف وإن واسمها ، وجملة سمعنا خبرها ومنادياً مفعول سمعنا
وجملة ينادي صفة وللإيمان جار ومجرور متعلقان بينادي . [ويلاحظ
أن ضمير المتكلم وهو « نا » استعمل في حالاته الثلاث الجر بالإضافة
لـ « رب » والتصب لأنه اسم إن والرفع على الفاعلية] والجملة كلها
مستأنفة مسوقة لتتمة الابتهالات (أن آمنوا بربكم فآمننا) أن

مصدرية وآمنوا فعل أمر وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ويكون الجار والمجرور متعلقين بينادي ، ويجوز أن تكون أن هي المفسرة ، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه ، فتكون الجملة لا محل لها . وبربكم جار ومجرور متعلقان بآمنوا فأما الفاء حرف عطف للترتيب والتعقيب ، مؤذن بتعجيل الانصياع للنداء والايمان من غير مهلة ، لأن المنادي هو محمد أو القرآن ، وكلاهما جاقز الى الامثال والايمان (رينا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) أعاد النداء استعداباً للترتيب وزيادة في الاستعطاف والابتهاال ، والفاء في قوله « فاغفر » عاطفة مؤذنة بالإشعار بترتب المغفرة على الايمان به تعالى والإقرار بربوبيته ، وليس هناك أدعى الى المغفرة من ذلك . ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر ، وذنوبنا مفعول به وكفر عطف على اغفر، وعنا جار ومجرور متعلقان بكفر، وسيئاتنا مفعول به (وتوفنا مع الابرار) عطف على ما تقدم وتوف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ونا مفعوله ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والابرار مضاف اليه .

البلاغة :

في الآية الإطناب ، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة بأمر منها:

آ - ذكر الخاص بعد العام للتشبيه على فضل الخاص ، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها » فذكر الجبال بعد الأرض وهي جزء منها ، إطناب يراد به التفخيم والتهويل ، باعتبار أن الجبال تروعا بشسوخها ورسوخها ، ومع ذلك جئت عن حمل الأمانة .

ب - ذكر العام بعد الخاص ومن أمثلته قوله تعالى : « رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » وهما لفظان عامّان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك . والغرض من ذلك إفادة الشمول مع العناية بالخاص الذي ذكره مرتين ، مرة وحده ومرة مندرجاً تحت العام .

ج - الايضاح بعد الإيهام ، ومن أمثلته قوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر : أنّ دابر هؤلاء مقطوع » فقوله : « أن دابر هؤلاء مقطوع » إيضاح للإيهام الذي تضمنه لفظ الأمر .

د - التكرير وقد سبقت الإشارة إليه كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

فيا قبر معن أنت أول حفرة
من الأرض خطت للساحة موضعاً
ويا قبر معن كيف وارىت جوده
وقد كان منه البرّ والبحر مترعاً

والغاية منه تقرير المعنى في النفس ، وهو الأصل . وقد يكون للإنذار كما يرد في خطب الخطباء ، أو التحسر كما يصنع الرائيون ، أو الاستلذاذ كما يفعل الغزلون .

هـ - الاعتراض : وهو أن يؤتى خلال الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة لا محل لها من الاعراب لفائدة ثانوية كالجملة الدعائية في قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانين ، وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله : وبلغتها ، جملة دعائية تعطف قلب الممدوح وتتلطف في ذكر المراد ، وهو أنه أصم لا يسمع كلامه ليرفع صوته . وقد مرت الإشارة إليه .

و - الاحتراس وهو كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً كقول أبي الطيب المتنبي :

إني أصاحب حلبي وهو بي كرم

ولا أصاحب حلبي وهو بي جبن

ففي البيت إطناب بالاحتراس في موضعين : أولهما في الشطر الأول بذكر « وهو بي كرم » ، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر « وهو بي جبن » لدفع ما قد يوهمه الحلم مجرداً . وهناك أغراض أخرى ترد الإشارة إليها في مضامين هذا الكتاب . وفي الآية إطناب بالتكرار ، وهو الجمع بين « منادياً » و « ينادي » وذلك أنه ذكر النداء في الأول مطلقاً ثم ذكره في الثاني مقيداً بالايان ، تفخيماً لشأن المنادي ، لأنه لا منادي أعظم من مناد يدعو الى الايمان ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم أو القرآن الذي أنزل عليه . ورجع ابن جرير الطبري أن يكون المنادي هو القرآن ، واحتج لذلك بأن كثيرين ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن .

٢ - وفي الآية فن وضع الظاهر موضع المضمّر . فقد كان

مقتضى الظاهر أن يقال: وماله من أنصار أو وماله من أنصار، مراعاة لمعنى « مَنْ » أو لفظها ، ولكنه أظهر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم .

الفوائد :

قال أبو حيان : « سمع » إن دخل على مسموع تعدى لواحد نحو : سمعت كلام زيد ، كغيره من أفعال . وإن دخل على ذات وجاء بعده فعل أو اسم في معناه ، نحو : سمعت زيدا يتكلم ، وسمعت زيدا يقول كذا ، ففي هذه المسألة خلاف ، منهم من ذهب الى أن ذلك الفعل أو الاسم إن كان قبله فكرة كان صفة لها ، أو معرفة كان حالا منها . ومنهم من ذهب الى أن ذلك الفعل أو الاسم هو في موضع المفعول الثاني لـ « سمع » وجعل « سمع » مما يتعدى الى واحد إن دخل على مسموع والى اثنين إن دخل على ذات .

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلًا عَمِلْتُمْ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَىٰ بِعُضْكَم مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ۝١٩٥﴾

الاعراب :

(ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك) كلام معطوف على ما تقدم من ابتهالات وربنا منادى مضاف وآتينا عطف على أفعال الدعاء المتقدمة ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول وما اسم موصول مفعول به ثان وجملة وعدتنا صلة الموصول وعلى رسلك جار ومجرور متعلقان بوعدتنا ، ولا بد من حذف مضاف أي : على السنة رسلك ، أو على تصديق رسلك ، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال أي : منزلاً على رسلك أو محمولاً على رسلك ، لأن الرسل محملون ذلك (ولا تخزنا يوم القيامة) الواو عاطفة ولا فاهية وتخزنا فعل مضارع مجزوم بلا ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتخزنا (إنك لا تخلف الميعاد) الجملة تعليلية لامحل لها لتعليل السؤال منهم ، وهو باب من أبواب اللجوء الى الله ، وإلا فإن الله لا يخلف الميعاد . وإن واسمها ، وجملة « لا يخلف الميعاد » خبر إن (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم) الفاء استئنافية واستجاب فعل ماض ولهم جار ومجرور متعلقان باستجاب وربهم فاعل وأنني : ان واسمها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان باستجاب لتبيان السبب كآله قال : فاستجاب لهم ربهم بسبب أني لا أضيع ، وجملة لا أضيع خبر أن وعمل عامل مفعول به ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعامل (من ذكر أو أتى بعضكم من بعض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من عامل بعد وصفه أي استقر منكم حالة كونه من ذكر أو أتى ، أو صفة ثانية لعامل . وأعربه أبو البقاء بدلا مطابقاً من منكم ، وهو سائغ أيضاً ، وبعضكم مبتدأ ومن بعض جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر ، والجملة مستأنفة مسوقة لتبيين شركة النساء مع الرجال في الثواب ، وجعلها بعضهم معترضة ، وما أحسبها بعيدة ، لأنها وقعت بين قوله « عمل عامل » وبين ما فصل به عمل العاملين فصح كونها واقعة بين كلامين متصلين ورجحها الزمخشري (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم) الفاء استئنافية للتفريع وذلك للدلالة على أن الجزاء لا يكون إلا لمن جمع هذه الصفات متعددة ، فالجملة مستأنفة لا محل لها والذين مبتدأ وجملة هاجروا صلة الموصول وأخرجوا عطف على هاجروا ومن ديارهم جار ومجرور متعلقان بأخرجوا (وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) الجملة كلها معطوفة داخلية في حيز الصلة (الأكفرن عنهم سيئاتهم) اللام جواب قسم محذوف وأكفرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والجملة القسمية خبر الذين ، وهنا لا بد من دفع اعتراض معترض يقول : إن الجملة الواقعة جواباً للقسم لا محل لها فكيف ساغ أن تكون هنا خبراً ويتلخص الدفع بأن المقصود مجموع القسم وجوابه . وعنهم جار ومجرور متعلقان بأكفرن وسيئاتهم مفعول به (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) الواو عاطفة ولأدخلنهم عطف على لأكفرن والهاء مفعول به وجنات منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات (ثواباً من عند الله) ثواباً مفعول مطلق لفعل محذوف يفيد التأكيد ، وأجازوا إعرابها حالا من جنات أي : مثاباً بها ، أو من الضمير الواقع مفعولاً به أي حال كونهم مثابين ، وهو جائز . ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لثوابا (والله عنده حسن الثواب) الواو استئنافية والله مبتدأ وعنده ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن الثواب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر « الله » .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن منقطع النظير يمكن تسميته « الاسجال »
 وحده أن يقصد المتكلم غرضاً من الأغراض فيأتي بالفاظ تقرر ذلك
 الغرض : فقد سجل المولى سبحانه على السنة عباده تحقيق موعوده
 على لسان رسوله ، وتأمل كلمة « ما وعدتنا » تجد أن هذا الوعد قد
 أصبح مبرماً لا انفكاك لإيرامه • ومن طريف ما ورد منه شعراً قول
 ابن نباتة السعدي :

جاء الشتاء وما عندي له عدد

إلا ارتعادي وتصفيقي بأسناني

فإن هلكت فمولانا يكفني

هني هلكت فهني بعض أكفاني

والاسجال واضح في تقريره هني هلكت ، وما أجمل الجناس
 بين هني بمعنى احسبني وهني بمعنى أعطني هبة •

٢ - الالتفات في قوله « فاستجاب لهم ربهم » فقد التفت من
 الغيبة الى التكلم لاطهار كمال الاعتناء بصدد الاستجابة وتشريف
 الداعين وتسوية الرجال والنساء وشركة النساء مع الرجال في العمل
 والجزاء عليه بعد أن كانت المرأة مغموطة الحق في الجاهلية •

روي أن أم سلمة قالت : يا رسول الله ، إني أسمع الله تعالى
 يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت •

﴿لَا يَغْرَنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
 مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
 خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ
 ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
 ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

اللفظة :

(النزول) بضمين وبضم فسكون : ما يقام للنازل أو طعام
الضيف ، قال أبو الشعواء الضبي :

وكنّا إذا الجبار بالجيش ضافنا

جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

(رابطوا) أقاموا في الشجر ، والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء
خيولهم مترصدين مستعدين للغزو .

ورباط الخيل حبسها . قال :

فينا رباط جياذ الخيل معلمه

وفي كليب رباط الذل والعار

الاعراب :

(لا يفرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) جملة مستأنفة مسوقة
لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاغترار ، وهو في الحقيقة نهي
لأصحابه وأتباعه عن الاغترار بما يروونه من تبسط الكافرين والظالمين
العتاة في الارض ، واستبحارهم في القوة والعمران ، على نحو ما هو
مشاهد اليوم . ولا الناهية ويفرنك فعل مضارع مبني على الفتح في
محل جزم بلا والكاف مفعول به وتقلب فاعل والذين اسم موصول
مضاف اليه وجملة كفروا صلة وفي البلاد جار ومجرور متعلقان بتقلب
لأنه مصدر (متاع قليل ثم مأواهم جهنم) متاع خبر لمبتدأ محذوف
وقليل صفة أي : هو متاع ضئيل لا يؤبه له ، وهو مهما تطاول آيل
الى الزوال والجملة مستأنفة . ثم حرف عطف للتراخي ومأواهم مبتدأ
وجهنم خبر (وبش المهاد) الواو حالية وبش فعل ماض جامد لإنشاء
الذم والمهاد فاعل بش والمخصوص بالذم محذوف أي : جهنم ،
والجملة نصب على الحال . (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات) لكن
مخففة مهلة لمجرد الاستدراك والذين مبتدأ وجملة اتقوا ربهم صلة
الموصول ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجنات
مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين وجملة لكن مستأنفة (تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها) الجملة صفة لجنات ومن تحتها جار
ومجرور متعلقان بتجري والانهار فاعل وخالدين حال وفيها جار
ومجرور متعلقان بخالدين (نزلاً من عند الله) نزلاً حال من جنات ،
وإن جعلته مصدراً فهو مفعول مطلق لفعل محذوف ، ومن عند الله
جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة « نزلاً » (وما عند الله خير
للابرار) الواو استئنافية أو حالية وما اسم موصول مبتدأ وعند الله
ظرف متعلق بمحذوف صلة ما وخير خبر وللابرار جار ومجرور
متعلقان بخير والجملة مستأنفة أو حالية (وإن من أهل الكتاب لمن
يؤمن بالله) الواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومن أهل الكتاب
جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ولن اللام المزحلقة ومن
اسم موصول اسم إن المؤخر وجملة يؤمن بالله صلة الموصول وبالله
جار ومجرور متعلقان بيؤمن (وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين
لله) الواو حرف عطف وما اسم موصول معطوف على الله وجملة أنزل
إليكم صلة وما أنزل إليهم عطف أيضاً وخاشعين حال من الضمير في
يؤمن والله جار ومجرور متعلقان بخاشعين (لا يشترون بآيات الله ثناً
قليلاً) جملة لا يشترون حالية وبآيات الله جار ومجرور متعلقان
بیشترون وثناً مفعول به وقليل صفة (أولئك لهم أجرهم عند ربهم)
الجملة مستأنفة واسم الإشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر وعند ربهم ظرف
متعلق بمحذوف حال أي مستقراً عند ربهم والجملة خبر « أولئك »
(إن الله سريع الحساب) جملة مستأنفة وإن واسمها وخبرها (يا أيها
الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (اصبروا وصابروا ورابطوا) أفعال
دعاء (واتقوا الله) عطف أيضاً (لعلكم تفلحون) لعل واسمها ،
والجملة خبرها وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

جاء ختام سورة آل عمران حسناً جداً ، وكما جاء ختام سورة البقرة مشتملاً على الدعاء جاء ختام سورة آل عمران مشتملاً على عدد من الوصايا النافعة، وهذا هو حسن الختام، ليبقى راسخاً في الأسراع، وهذا هو حسن البيان .

سُورَةُ النِّسَاءِ مَلَانِيَرُ وَأَيَانَهَا سِنْدُوسَبْعُونَ وَمِائَةً

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

اللفظة :

(تساءلون) فعل مضارع ، وأصله تتساءلون ، فحذفت إحدى التاءين ، أي يسأل بعضكم بعضاً .

(الأرحام) جمع رحم وهي القرابة .

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) يا أيها : تقدم اعرابها كثيراً ، والناس بدل من «أي» واتقوا ربكم فعل وفاعل ومفعول به (الذي خلقكم من نفس واحدة) الذي صفة لـ «ربكم» وجملة خلقكم صلة

الموصول ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم وواحدة صفة والجملة مستأنفة مسوقة لبحث بدء الخلق والتكوين (وخلق منها زوجها) الواو حرف عطف وخلق فعل ماض ومنها جار ومجرور متعلقان بخلق وزوجها مفعول به (وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً) الواو عاطفة وبث فعل ماض ومنها جار ومجرور متعلقان ببث ورجالاً مفعول به وكثيراً صفة ونساءً عطف على « رجالاً » (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) الواو عاطفة واتقوا الله فعل أمر والذي صفة وجملة تساءلون صلة وبه جار ومجرور متعلقان بتساءلون والأرحام عطف على الله وفي هذا العطف تنويه بمنزلة القرابة ووجوب البر بها ومراعاتها (إن الله كان عليكم رقيباً) الجملة تعليلية لا محل لها وإن واسمها ، وجملة كان وما في حيزها خبر إن وكان فعل ماض ناقص وعليكم جار ومجرور متعلقان بـ « رقيباً » واسم كان مستتر ورقباً خبرها .

البلاغة :

في الآية الآفة فن براعة الاستهلال فقد استهل السورة بالإشارة الى بدء الخلق والتكوين ، وألمع الى دور المرأة المهم ، وأوصى بصلة الرحم . وقد حفل الشعر العربي بذكر صلة الرحم ومنزلتها عند الله ، وحسبنا أن تشير الى قصيدة معن بن أوس التي مطلعها :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بطمي وهو ليس له حلم

وهي قصيدة رائعة يكاد لا يخلو منها كتاب أدبي فليرجع اليها من يشاء .

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝﴾

اللفظة :

(اليتامى) الذين مات آباؤهم فاقردوا عنهم ، واليتيم الانفراد .
ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة، وقيل: اليتيم في الأناسي من قبل الآباء،
وفي البهائم من قبل الأمهات . واليتامى جمع الجمع، فقد جمع اليتيم على
يتيم كآسرى ، ثم جمع يتيم على يتامى كآسرى على أسارى . ويجوز
أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس
فيقال : يتائم ثم يتامى على القلب .

(الحوب) يضم الحاء وفتحها : الذنب العظيم ، وهو مصدر
حاب حوباً وحاباً .

الاعراب :

(وَاَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ) الواو يصح أن تكون استئنافية ،
فتكون الجملة مستأنفة مسوقة للشروع في كيفية الالتقاء وطرقه ، وقدم
اليتامى لكمال العناية بأمرهم . ويصح أن تكون عاطفة على ما تقدم ،
فيكون السرد متلاحقاً . وَاَتُوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو
فاعل واليتامى مفعول به أول وأموالهم مفعول به ثان (ولا تبدلوا
الخيث بالطيب) عطف على ما تقدم ولا ناهية وتبدلوا فعل مضارع
مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والواو فاعل والخيث مفعول
به والباء حرف جر والطيب وهو المتروك مجرور بها وهما متعلقان

يتبدلوا (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) الواو عاطفة ولا فاهية وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا وأموالهم مفعول به والى أموالكم جار ومجرور متعلقان بحذوف حال أي مضمومة الى أموالكم (إنه كان حوباً كبيراً) ان واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها ولهذا كسرت همزة إن .

البلاغة :

في هذه الآية مواطن من البلاغة بالغة حد الإعجاز فليخصها فيما يلي :

١ - المجاز المرسل في قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم » لأن الله سبحانه لا يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموالهم ، فهذا غير معقول بل الواقع أن الله يأمر بإعطاء الاموال من بلغوا سن الرشد ، بعد أن كانوا يتامى : فكلمة اليتامى هنا مجاز مرسل ، لأنها استعملت في الراشدين . والعلاقة اعتبار ما كانوا عليه .

٢ - الاستعارة المكنية بأكل أموال اليتامى . فقد شبه أموالهم بطعام يؤكل ، ثم استعار لها ما هو من أبرز خصائص الطعام وهو الأكل ، وفي هذه الاستعارة سران من أدق الأسرار :

آ - إن طريق البلاغة النهي عن الأدنى تنبيهاً على الأعلى إذا كان المنهي عنه درجات ، فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير اليه حتى يلزم فيه الغني عنه عن طريق الأولى ، فلا بد من سر يوضح فائدة تخصيص الأعلى بالنهي ، في هذه الآية ،

وذلك ما يفهم من كلمة « الى أموالكم » ، والسر في ذلك أن أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الأكل فخصص بالمنهي تشبيهاً على من يقع فيه .

ب - والسر الثاني في تخصيص الأكل لأن العرب كانت تتذمم بالإكثار من الأكل ، وتعدّ من البطنة المساوية للبهيمية ، فكان أكل مال اليتيم - في حال استغنائه عنه وكثرة المال لديه - شر من أكله وهو مملق شديد الحاجة اليه ، وإن اشتركا في أكل ما هو محرم ، وكافا منتظمين في قرن واحد ، ومعلوم أن المنهي عنه كلما كان أوغل في القبح وأفرط في الدمامة كانت النفس بطبيعة الحال أفر عنه .

٣ - الطباق بين الخبيث وهو الحرام من المال والطيب وهو الحلال المستساغ .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا بِمَنَاطِبِكُمْ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ ﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً ﴿٥﴾ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٦﴾ ﴾

اللفظة :

(تقسطوا) مضارع أقسط الرباعي ، ومعناه عدل ، والثلاثي معناه جار .

(تعولوا) من قولهم : عال الميزان إذا مال ، وميزان فلان عائل ،
وعال الحاكم في حكمه إذا جار . وذكر أبو بكر بن العربي أن عال
تأتي لسبعة معان :

الأول : عال أي مال .

والثاني : زاد ، والثالث : جار ، والرابع : افتقر . والخامس :
أثقل ، والسادس : قام بثوثة العيال ، ومنه قوله : وايدأ يمن تعول .
والسابع : عال : أي غلب ، ومنه عيل صبري . وقد وردت عال لمعان
غير السبعة غير التي ذكرها ابن العربي منها : عال : اشتد وتفاقم ،
حكاه الجوهري ، وعال الرجل في الأرض إذا ضرب فيها ، حكاه
الهروي . وعال إذا أعجز ، حكاه الأحمر . فهذه ثلاثة معان غير
السبعة . والرابعة عال : أي كثر عياله . فجملة معاني عال أحد عشر
معنى ، وسيأتي مزيد من بحث هذه المادة في باب الفوائد .

(الصدقات) المهور ، مفرداً صدقة : بفتح الصاد وضم الدال .
والمهر له أسماء كثيرة أيضاً ، منها صدقة بفتح الحين ، وبفتح فسكون ،
وصداق : بكسر الصاد وفتحها .

(نطة) مصدر نطه كذا أي أعطاه إياه هبة له عن طيب نفس .

(هتياً مرفئاً) صفتان من هتئو الطعام أو الشراب إذا كان سائغاً
لا تنغيص فيه . وقيل : الهنيء ما يلذه الأكل ، والمريء : ما يحسد
عاقبته . وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة : المرء لمروء
الطعام فيه ، أي انسياغه .

الاعراب :

(وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) الواو استثنائية وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وأن حرف مصدري ونصب ولا نافية وتقسطوا فعل مضارع منصوب بأن والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول به وفي اليتامى جار ومجرور متعلقان بتقسطوا وسيأتي في باب الفوائد المراد بذلك (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) الفاء رابطة للجواب وأنكحوا فعل أمر والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة طاب لا محل لها لأنها صلة ولكم جار ومجرور متعلقان بطاب ومن النساء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ضمير الفاعل ومثنى وثلاث ورباع أحوال . وأعربها أبو علي الفارسي بدلا من « ما » وسيأتي مزيد من القول فيها في باب الفوائد (فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة) الفاء استثنائية وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وأن لا تعدلوا : المصدر المؤول مفعول به ، فواحدة الفاء رابطة لجواب الشرط وواحدة مفعول به لفعل محذوف أي : فالزموا واحدة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (أو ما ملكت أيمانكم) أو حرف عطف وهي للتخيير أي من الإماء اللواتي في حوزتكم ، لما في ذلك من اليسر والسهولة . وما اسم موصول معطوف على « واحدة » وجملة ملكت أيمانكم لا محل لها (ذلك أدنى أن لا تعولوا) اسم الإشارة مبتدأ وأدنى خبره والجملة استثنائية وأن لا تعولوا : المصدر المؤول منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأدنى ، أي : أقرب من العدل وعدم الجور . وللفقهاء تعليقات طريفة في الجمع بين الإماء

والجرائر في السهولة واليسر ، تجد منها شيئاً في باب الفوائد (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) الواو عاطفة وآتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنساء مفعول به وصدقاتهن مفعول به ثان ونحلة نصب على المصدر ، لأن النحلة والإيتاء مترادفان بمعنى الإعطاء ، فكأنه قيل : وانطوا النساء صدقاتهن نحلة ، أي أعطوهن مهورهن عن طيبة نفس . ويجوز نصبها على الحال من المخاطبين بعد تأويلها بالمشق ، أي آتوهن صدقاتهن فاحلين طيبين النفوس بالإعطاء ، أو على الحال من « صدقاتهن » أي : متحولة معطاة عن طيبة نفس . وقيل : نحلة من الله أي عطية من عنده وتفضلاً منه عليهن . وقيل النحلة : الملة والدين . والمعنى : آتوهن مهورهن ديانة ، فتعرب عندئذ مفعولاً لأجله . وإنما أوردنا هذه الأوجه لأنها متعادلة الرجحان (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً) الفاء استئنافية وإن شرطية وطبن فعل ماض مبني على السكون ونون النسوة فاعل وهو في محل جزم فعل الشرط ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعن شيء جار ومجرور متعلقان بطبن ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء ونفساً تمييز (فكلوه هنيئاً مريئاً) الفاء رابطة لجواب الشرط وكلوه فعل أمر ومفعول به وهنيئاً مريئاً صفتان لمصدر محذوف أي : أكلاً هنيئاً مريئاً ، أو حال من الضمير أي : كلوه وهو هنيء ومريء .

البلاغة :

في هذه الآية فن التخييل ، فقد قال : فانكحوا ما طاب لكم ،

ولم يقل « من » كما هو المتبادر في استعمال « من » للعاقل و « ما »

لغير العاقل تغليباً ، لأن « ما » تأتي لصفات من يعقل ، وقد وصفهن بالطيب ، فصح استعمال « ما » ، وهذا سر بديع تقيس عليه ما يرد منه ، فتدبره والله يعصمك .

الفوائد :

١ - يحدث التاريخ في تعليل نزول هذه الآية أنه كان الرجل يجد اليتيمة الموسومة بالجمال والمال ويكون وليها فيتزوجها ضناً بها عن غيره ، فريما اجتمعت عنده عشر منهن ، فيخاف لضعفهن وفقد من يفضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن ، فقليل لهم : إن خفتم أن لا تقسطوا - أي تعدلوا - في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم . فجاءت الآية محذرة من التورط ، وأمرأ بالاحتياط ، وفي غيرهن مندوحة الى الرابع .

٢ - (مشى وثلاث ورباع) صفات معدولة عن أعداد مكررة ، ولذلك منعت من الصرف ، أي : اثنتين اثنتين ، وثلاثاً ثلاثاً ، وأربعاً أربعاً . ومن طريف ما تمسك به بعض الذين ضلت عنهم أسرار العربية الشريفة من جواز التزوج بتسعة : أنهم قالوا لأن اثنتين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم مات عن تسعة . وهذا كما ترى ناشئ عن جهل بأسرار العربية المبينة ، لألك اذا قلت : جاء القوم مشى وثلاث ورباع ، معناه أنهم جاءوا اثنتين اثنتين وثلاثة وثلاثة وأربعة أربعة ، فتنصب ذلك كله على الحال . والحال هي التي تبين هيئة الفاعل أو المفعول به . فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم ، أي : لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه أبان ما أباحه من

النكاح وأما النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك من خواصه التي
تفرد بها .

هذا وقد كثر كلام أهل العربية حول العدد المعدول هل هو من
الواحد الى العشرة ؟ أو هو ما فُطِقَ به القرآن الكريم فقط ! قال قوم :
إنه ينتهي الى رباع ، وقال آخرون : الى سداس ، وقيل : الى عشار .
وقد جاء لأبي الطيب المتنبى قوله :

أحَادٌ أم سداس في أحاد لَيْسَ لَنَا المنوطة بالتَّنَادِ ؟

قالوا : إن أبا الطيب لحن في هذا البيت عدة لحنات ، فقال :
أحاد وسداس ، ولم يسمع في الفصح إلا مشن وثلاث ورباع ،
والخلاف في خماس وسداس الى عشار . ومنها أنه صغر ليلة على «ليلة» ،
وإنما تصغر على «ليلة» . ومنها أنه صغرها ، والتصغير دليل القلة ،
فكانها قصيرة ، ثم قال : « المنوطة بالتناد » ولا شيء يكون أطول
منها حينئذ ، فناقض آخر كلامه أوله . ولنا أن فدافع عن أبي الطيب
في زعمهم عليه التناقض ، لأن التصغير يأتي في كلامهم أحياناً للتعظيم
كقول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهة تصغر منها الأنامل

فأبو الطيب قد صغر الليل هنا للتعظيم ، لأنه استطالها حتى
جعلها منوطة بالتناد . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة :
يا « حميراء » ويحتمل أنها صغرت لدقتها وخفائها . ومستعظم الأمور
من مستصغر الشرر . وأما قوله : أحاد وسداس ، فإنه استعمل الجزء
وهو واحد وست مفردين أي أنه لم يردّها « أحاد » مكررة ولا ستاً

مكررة كما هو مدلول العدد المعدول ، بل أراد الأفراد واستعمل فيه المعدول الدال على التكثير تجوّزاً من اسم إطلاق الكل وهو أحاد وسداس في الجزء وهو واحدة واحدة وست ست . وهذا الاستعمال مجاز ، والتجوّز ليس بلحن . هذا وقد ورد عشار في شعر الكميت ابن زيد وهو حجة :

فلم يسترثوك حتى رميت فوق الرجال خصالاً عشاراً

لماذا منعت من الصرف ؟

أما المذاهب المنقولة في علة منع الصرف فهي أربعة :

- ١ - قول سيبويه والخليل وأبي عمرو ، وهو العدل والوصف .
- ٢ - قول الفراء وهو أنها منعت للعدل والتعريف بنية الألف واللام ، ومنع ظهور الألف واللام كونها في نية الإضافة .
- ٣ - قول الزجاج وهو أنها معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، وأنه عدل عن التأنيث .
- ٤ - ما نقله أبو الحسن عن بعض النحويين ، وهو أن العلة المانعة من الصرف هي تكرار العدل فيه ، لأنه عدل عن لفظ اثنين ، وعدل عن معناه ، وذلك أنه لا يستعمل في موضع تستعمل فيه الأعداد غير المعدولة ، تقول : جاءني اثنان وثلاثة ، ولا يجوز : جاءني مشى وثلاث ، حتى يتقدم قبله جمع ، لأن هذا الباب جعل بياناً لترتيب الفعل . فإذا قال : جاءني القوم مشى أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين .

فأما الأعداد غير المعدولة فإنما الغرض منها الإخبار عن مقدار المعدود دون غيره . ولا بن هشام فصل رائع في مغني اللبيب كتبه حول هذه الآية في الباب السادس من كتابه : « في التحذير من أمور اشتهرت بين المعريين والصواب خلافتها » فارجع إليه إن شئت .

(هنيئاً مريئاً) يعربان وصفاً للمصدر وحال .

فأما قول أبي الطيب المتنبي :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمي وضحى وعيئدا

فيتحتم إعرابها حالاً ، لأنه ليس هناك ما يدل على المصدر الذي يصح أن يوصف بهما . والعيد فاعل هنيئاً لأنها صفة مشبهة .

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٦٠﴾ وَابْتَلُوا الْبَنِينَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٦١﴾ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦٢﴾

اللفة :

(السفهاء) المبدّورن الذين ينفقون أموالهم فيما لا ينبغي إتقاه ، أو فيما لا طائل تحته •

(قياماً) مصدر قام ، أي تقومون بها وتنتعشون • ولو ضيّعتموها لضعتم ، فكأنها قيامكم واتعاشكم •

(آنستم) أبصرتم واستوضحتم •

الاعراب :

(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) كلام مستأنف مسوق لبيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى • ولا فاهية وتؤتوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والسفهاء مفعول به وأموالكم مفعول به ثان والتي اسم موصول في محل نصب صلة لأموالكم وجملة جعل الله لكم صلة الموصول وقياماً مفعول به ثان لجعل التي بمعنى صيّر والمفعول الاول محذوف والتقدير التي صيّرنا لكم قياماً ، ولكم جار ومجرور متعلقان بـ « قياماً » ، وإن كانت جعل بمعنى خلق فقياماً حال من العائد المحذوف أي : جعلها في حال كونها قياماً (وارضقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً) وارضقوهم الواو حرف عطف وارضقوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وفيها جار ومجرور متعلقان بارضقوهم واكسوهم عطف على ارضقوهم وقولوا عطف على وارضقوهم أيضاً ولهم جار ومجرور متعلقان بقولوا وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (وابتلوا اليتامى

حتى اذا بلغوا النكاح) الواو عاطفة والكلام معطوف وفيه تعيين وقت تسليم أموال اليتامى اليهم واليتامى مفعول به للفعل ابتلوا وحتى حرف غاية وجر ، جعل البلوغ وإيناس الرشد غاية للايتاء . وقيل : حتى ابتدائية ، ولكنها تفيد الغاية ، وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كقوله :

فما زالت القتل تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة بلغوا النكاح في محل جر بالإضافة (فإن أنستم منهم رشداً) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن شرطية وأنستم فعل ماض في محل جزم فعل الشكط وجملة فإن أنستم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنهم جار ومجرور متعلقان بأنستم ورشداً مفعول به (فادفعوا اليهم أموالهم) الفاء رابطة وادفعوا فعل أمر والواو فاعل واليهم جار ومجرور متعلقان بادفعوا وأموالهم مفعول به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) الواو استئنافية ولا فاهية وتأكلوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول وإسرافاً وبداراً مصدران في موضع الحال أي مسرفين ومبادرين أو هما في موضع المفعول لأجله أي لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ، وأن يكبروا مصدر مؤول مفعول به للمصدر أو مفعول لأجله والمفعول به محذوف ، ولا بد من تقدير مضاف عندئذ أي : مخافة أن يكبروا ، والجملة مستأنفة . وإنما جعلنا الواو استئنافية وظاهر الكلام يوحي أنها معطوفة لأن المعنى يصبح ادفعوا ولا تأكلوها ، وهذا قاسد لأن الشرط وجوابه مترتبان على بلوغ النكاح فيلزم منه ترتبه على ما ترتب عليه وذلك ممتنع (ومن كان غنياً فليستعفف) الواو استئنافية ومن اسم

شرط جازم مبتدأ وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وغنياً خبرها وجملة فعل الشرط وجوابه خبر للمبتدأ من فليستعفف الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ، ويستعفف مجزوم بها (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) عطف على ما تقدم وقد سبق إعرابها وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بياكل والآية تقسيم لحال الوصي بين أن يكون غنياً وبين أن يكون فقيراً ، فالغني يقتنع بما أفاء الله عليه والفقير يأكل بالمعروف محتاطاً جهده حرصاً على مال اليتيم وجملة فليأكل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة دفعتم إليهم أموالهم في محل جر بالإضافة والفاء رابطة لجواب الشرط وأشهدوا فعل أمر وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليهم جار ومجرور متعلقان بأشهدوا (وكفى بالله حسيباً) الواو استئنافية وكفى فعل ماض وبالله الباء حرف جر زائد والله فاعل كفى مجرور لفظاً بالباء وحسيباً تمييز .

البلاغة :

في هذه الآية نوع طريف من أنواع البيان يطلق عليه اسم « قوة اللفظ لقوة المعنى » ، وذلك في قوله « فليستعفف » فإن « استعفف » أبلغ من « عف » لأنه يطلب زيادة العفة من نفسه هضماً لها وحملًا على النزاهة التي يجب أن تكون رائد أبناء المجتمع . ومن المعلوم أن اللفظ إذا كان على وزن من الاوزان ، ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه ، فلا يد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ،

لأن الألفاظ دالة على المعاني ، فاذا زيد في الألفاظ أوجبت الزيادة زيادة في المعاني ، وهذا النوع لا يستعمل إلا في المبالغة . فمن ذلك قولهم : أعشب المكان ، فاذا رأوا كثرة العشب قالوا : اعشوشب . ومنه : قدر واقتدر ، فسعني اقتدر أقوى من معنى قدر ، فلذلك قال تعالى : « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » . وقد تطلع أبو نواس الى هذه النكتة فقال :

فعفوت عني عفو مقتدر حلت له نقم فألفاها

أي : عفوت عني عفو متمكن من القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته .

الفوائد :

(كهي) فعل ماض على الأصح تزداد الباء في فاعله ، كما في هذه الآية . وقد تزداد في المفعول به كقول أبي الطيب المتنبّي :

كهي بجسني نحولاً أني رجل

لو : خاطبتي إياك لم ترني

وقلّ أن يجيء فاعل كهي مجرداً من الباء كقول سحيم :

عميرة ودّع ان تجهّزت غاديا كهي الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ولا تزداد الباء في فاعل كهي أو مفعولها إذا كانت بمعنى أجزاء أو أغنى كقوله :

قليل " منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

ولا كفى التى بمعنى وقى من الوقاية ، كقوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » . هذا وقد اتقّدوا على أبي الطيب زيادتها في فاعل كفى بمعنى أجزأ أو أغنى إذ قال :

كفى ثعلا فخراً بأفك منهم ودهر لأن أمسيت من أهله أهل

وقد أفاض النقاد في شرح هذا البيت ، فارجع إليه في ديوانه .

التشدد في أمر اليتيم :

وقد تشدّدت الشريعة الإسلامية في أمر اليتيم ومعاملته بما هو معروف ، على أنها جعلت للوصي حقاً لقيامه على أمواله ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً قال له : إن في حجري يتيماً أفأكل من ماله ؟ قال : بالمعروف ، غير متأثّل مالا ولا واق مالك بماله . فقال : أفأضربه ؟ قال : مما كنت ضارباً منه ولدك .

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾

الاعراب :

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) كلام مستأنف

مسوق لتفنيده ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصفار .
 وللرجال جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصيب مبتدأ
 مؤخر ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب وجملة ترك
 الوالدان صلة الموصول والأقربون عطف على الوالدان (وللنساء
 نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) عطف على ما تقدم (مما قل منه
 أو كثر نصيباً مفروضاً) الجار والمجرور بدل من « مما » السابقة
 والجملة صلة الموصول ومنه جار ومجرور متعلقان بقل ، أو كثر عطف
 على قل ونصيباً مفروضاً يجوز أن يعرب مفعولاً مطلقاً لأنه واقع
 موقعه إذ التقدير عطاء ، ويجوز أن يعرب حالا من فاعل « قل » أي :
 ما تركه قليلاً أو كثيراً . واختار الزمخشري نصبه على الاختصاص
 بفعل محذوف بمعنى أعني نصيباً ، ولا داعي لذلك .

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ
 فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا
 مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
 ﴿١٠١﴾

الاعراب :

(وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين) الواو
 استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة حضر
 القسمة في محل جر بالاضافة والقسمة مفعول به وأولو القربى فاعل

مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم واليتامى والمساكين عطف على أولو القربى (فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً) الفاء رابطة لجواب إذا وارزقوهم فعل أمر وفاعل ومنعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنه جار ومجرور متعلقان بقولوا وقولوا عطف على ارزقوهم ولهم جار ومجرور متعلقان بقولوا وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً) الواو حرف عطف واللام لام الأمر ويخش فعل مضارع مجزوم باللام والذين اسم موصول فاعل ولو شرطية وتركوا فعل وفاعل ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بتركوا وذرية مفعول به وضعافاً صفة (خافوا عليهم) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليهم جار ومجرور متعلقان بخافوا ومفعول خافوا محذوف تقديره الضياع والهيام ، وسيأتي مزيد منه في باب البلاغة (فليتقوا الله) الفاء تعليلية لأن التقوى مسببة عن الخوف الذي هو الخشية واللام لام الأمر ويتقوا فعل مضارع مجزوم باللام والواو فاعل والله مفعول به (وليقولوا قولاً سديداً) الجملة عطف على فليتقوا وقولاً مفعول مطلق وسديداً صفة .

البلاغة :

في الآية فن الايجاز بالحذف ، وهو هنا في حذف مفعول خافوا ، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب ، ولتفتن في تصوير الخوف من المصير المحتوم الذي يؤول اليه أمر الضعاف في هذه الحياة . ولك أن تقدره بمثل الضياع والهيام والتشرد في مسارب الحياة ومسالكها المتشعبة ، من دون كافل يكفلهم ، أو مدبر يدير شئونهم . وقد رمق الشاعر سماء هذا المعنى بقوله الممتع في الاعتذار عن الخوف والتخلف متعللاً بيناته :

لقد زاد الحياة إليّ حباً بناتي إنيهنّ من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رققاً غير صاف
وأن يعرين إنكسي الجواري فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولاهنّ قد سوّيت مهري وفي الرحمن للضعفاء كاف

هذا ولحذف المفعول به من الكلام لطائف وتعاجيب ، كقولنا :
فلان يحلّ ويعقد ، ويبرم وينقض ، ويضر وينفع . والأصل في ذلك
على إثبات المعنى المقصود في النفس للشيء على الإطلاق .

الفوائد :

قول صاحب المغني ومناقشته :

اختلف في « لو » هذه اختلافاً كثيراً . وسنورد قول صاحب
المغني في إعراب هذه الآية ، ثم نناقشه . ولا يخلو ذلك من متعة
وفائدة . قال : « القسم الثاني من أقسام « لو » أن تكون حرف شرط
في المستقبل إلا أنها لا تجزم ، كقوله توبة بن الحمير في ليلي الأخيلية :

ولو أن ليلي الأخيلية سلّمت عليّ ودوني جندل و صفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا

إليها صدى من جانب الأرض صائح

وقوله تعالى : « وليخش الذين ... » الآية . أي : وليخش
الذين إن شاربوا وقاربوا أن يتركوا . وإنما أولنا الترك بمشارفة

الترك ، لأن الخطاب للأوصياء ، وإنما يتوجه اليهم قبل الترك ، لأنهم بعده أموات « هذا ما قاله في المغني . والتأويل المذكور لا يتقيد بكون الخطاب للأوصياء بل هو جار ، ولو قلنا : إنه للورثة أو للجالسين عند المريض أيضاً ، حينئذ فذكر الأوصياء ليس للاحتراز بل هو اقتصار على أحد المعاني . وقد أشار صاحب الكشف الى أنه لا بد من حمل « تركوا » على المشاركة لا لما ذكره صاحب المغني ولكن ليصح وقوع خافوا جزاء ، وذلك لكون الخوف منتفياً بعد الموت ، فلا يتأتى خوف بعد الترك . فإن قلت : ما معنى وقوع « لو تركوا » وجوابه صلة للذين ؟ قلت : معناه : وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شاربوا أن يتركوا خلفهم ذرية ، وذلك عند احتضارهم ، خافوا عليهم الضياع بعدهم ، لذهاب كافلهم وكاسبهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠٨ ﴾

الاعراب :

(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) كلام مستأنف مسوق للنهي عن ظلم اليتامى من الأولياء والأوصياء . وإن واسمها ، وجملة يأكلون صلة الموصول وأموال اليتامى مفعول به وظلماً حال مؤولة أي ظالمين . ولك أن تعربها مفعولاً لأجله وشروط النصب متوفرة . ولك أن تعربها مفعولاً مطلقاً لبيان نوع الأكل أي : أكل ظلم (إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) إنما كافة ومكفوفة لا عمل لها ويأكلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو

فاعل والجملة خبر إن الأولى وفي بطونهم جار ومجرور متعلقان
بياكلون أو يمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « فاراً » ثم
تقدمت . وفاراً مفعول به وسيصلون عطف على يأكلون وسعيراً
مفعول به .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على تجسيد بديع يتجلى في فنين من
فنون البيان :

١ - الاسهاب في قولهم « في بطونهم » فقد ذكر البطون ، لأن
الاكل لا يستقر إلا فيها ، تجسيذاً لبشاعة الجرم المقترف بأكل مال
اليتيم ، ومثله « قد نبت البغضاء من أفواههم » أي تشدقوا بها ،
وقالوها بملء أفواههم .

٢ - المجاز المرسل في أكل النار ، والعلاقة هي المسببية : فالنار
لا تؤكل ، وإنما يؤكل مسببها ، والآيل إليها ، وهو مال اليتيم .

٣ - جاء « يأكلون » بالمضارع دون سين الاستقبال، وسيصلون
بالسين ، لأنه لما كان لفظ « فاراً » مطلقاً قيّد في قوله « سعيراً »
إذ هو الجمر المتقدم .

٤ - التعريض : فقد عرض بذكر البطون لخستهم واتضاع
أمرهم ، وهو أن أنفسهم والعرب تنضم من ذلك ، ألا ترى الحطية
كيف اكتفى من هجائه بهذا القدر يلمع اليه ، وذلك بقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد وإفك أنت الطاعم الكاسي

أي : المطعوم والمكسوف .

﴿ يُوْصِيْكُمْ اللّٰهُ فِيْ اَوْلَادِكُمْ لِلَّذِيْ كَانَ مِنْكُمْ حَظٌّ الْاُنْثٰى فَاِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اِثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِابْنَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ اَبَوَاهُ فَلِلْاُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ اِخْوَةٌ فَلِلْاُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيْ بِهَا اَوْ دَيْنٍ ؕ اَبَاؤُكُمْ وَاَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُوْنَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴿١١﴾ ﴾

الاعراب :

(يوصيكم الله في أولادكم) كلام مستأنف مسوق للشروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله : للرجال نصيب . ويوصيكم فعل مضارع والكاف مفعوله المقدم والله فاعله المؤخر وفي أولادكم جار ومجرور متعلقان يوصيكم (للذكر مثل حظ الأنثيين) جملة مستأنفة مسوقة لتبيين الوصية . وللذكر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومثل صفة لمبتدأ محذوف مؤخر ، أي : حظ مثل

.. فالجملة كالموضحة للأولى فهي في محل نصب مقول يوصيكم لأنه
 بمعنى القول وإيثار الذكر بهذه المزية لأنه القائم على الإعالة ، ولأن
 الأتني ستصرف بحكم المهمة الموكولة اليها الى تدبير شئون البيت
 ورعاية الأبناء وكفالتهم فاستلزم ذلك توفير حظّه من الميراث (فإن كنّ
 نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) الفاء تفريعية والجملة بعدها
 لا محل لها لأنها بمثابة الاستثنائية والتعليلية وإن شرطية وكنّ فعل
 ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والنون اسمها والنساء خبرها
 وفوق ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة لنساء أي زائدات على اثنتين ،
 ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان ، فلهن الفاء رابطة لجواب الشرط
 ولهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وثلثا مبتدأ مؤخر
 وعلامة رفعه الألف لأنه مشني وما اسم موصول في محل جر بالإضافة
 وجملة ترك صلة الموصول وجملة فلهن ثلثا : في محل جزم جواب
 الشرط (وإن كانت واحدة فلها النصف) الواو عاطفة وإن شرطية
 وكانت فعل ماض ناقص والتاء تاء التأنيث الساكنة وهو في محل جزم
 فعل الشرط واسمها مستتر تقديره هي أي المولودة وواحدة خبر كانت
 والفاء رابطة للجواب ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم
 والنصف مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط (ولأبويه
 لكلّ واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) الواو عاطفة
 منسوقة على ما تقدم للشروع في إرث الأصول ، ولأبويه جار ومجرور
 متعلقان بمحذوف خبر مقدم ولكل واحد جار ومجرور ، يوحى ظاهر
 الكلام أنهما بدل بإعادة الجار ، وهذا ما نص عليه أكثر المعربين وعلى
 رأسهم الزمخشري ، ودعم هذه البدلية بقوله : « إنه لو قيل ولأبويه
 السدس لكان الظاهر اشتراكهما فيه ، ولو قيل : ولأبويه السدسان ،
 لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها . فإن قلت :

فهلا قيل : ولكل واحد من أبويه السدس ؟ وأي فائدة في ذكر الأبوين أولاً ثم في الإبدال منهما ؟ قلت : لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيد وتقوية كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير « هذا ما قاله الزمخشري ونقله بحروفه جميع المعربين والمفسرين ، ولكن هناك نقداً لهذا الأعراب تراه في باب الفوائد . ومنها جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لواحد والسدس مبتدأ مؤخر وما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة ترك صلة الموصول وإن شرطية وكان له ولد : كان وخبرها المقدم واسمها المؤخر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فكل واحد وجملة الشرط مستأنفة (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ولكن فعل مضارع ناقص مجزوم وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وولد اسمها المؤخر وورثه عطف على لم يكن والهاء مفعول به وأبواه فاعل (فلأمه الثالث) الفاء رابطة لجواب الشرط ولأمه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والثالث مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) عطف على ما تقدم (من بعد وصية يوصي بها أو دين) اضطرب كلام المعربين والمفسرين في تعليق هذا الجار والمجرور ، فقد علقهما الزمخشري بما تقدم من قسمة الموارث لا بما يليه وحده ، يريد الزمخشري أن يقول : إلهما متعلقان بقوله : يوصيكم الله ، وما يعده . وفي هذا التعليق ارتباك ملحوظ ، ولهذا عدل أبو حيان عنه إلى تعليقهما بفعل محذوف ، أي يستحقون ذلك من بعد وصية . وفيه تسامح عاجز وهروب من التعليق ، نريد أن نتفاداهما في القرآن الكريم وعلقهما أبو البقاء بمحذوف حال من السدس ، تقديره : مستحقاً من بعد وصية ، وهو أشد من الأولين

ارتباكاً ، فالأولى أن نعلقهما - كما أرى - بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي قسمة هذه الأنصباء كائنة من بعد وصية . وجملة يوصي - بالبناء للمعلوم والمجهول - وقرىء بهما - صفة لوصية ، وأو حرف عطف لإباحة الشئنين ودين عطف على وصية (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم قطعاً) الجملة معترضة بين قوله : من بعد وصية ، وقوله : فريضة من الله . وآباؤكم مبتدأ وأبناؤكم عطف على « آباؤكم » . وجملة لا تدرون خير ، أيهم : اسم استفهام مبتدأ وأقرب خبره والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون لأنها علقت بالاستفهام ، ولكم جار ومجرور متعلقان بأقرب و قطعاً تمييز . ويجوز أن تعرب أي - كما يقول سيبويه - موصولة مبنية على الضم وهي مفعول تدرون وأقرب خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هم أقرب ، أما مفعول تدرون الثاني فهو محذوف ، وكلا الوجهين سائغ ومقبول (فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً) فريضة مفعول مطلق لفعل محذوف يفهم من الجملة السابقة من الوصية ، هكذا أعربوه . وفيه أن الفريضة ليست مصدراً ولكنها فعيلة بمعنى مفعولة ، فالأولى جعلها حالا مؤكدة ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريضة ، وإن واسمها ، وجملة كان عليماً حكيماً خبرها ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

الفوائد :

قلنا : إن العرب بين جميعاً تضافروا على إعراب « لكل واحد » بدلاً بإعادة الجار ويرد على هذا الإعراب نظر لا بد من مراعاته ، وذلك أنه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء ، وهما كعين واحدة،

ويكون أصل الكلام : والسدس لأبويه لكل واحد منهما • ومقتضى
الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس ، كما قال : « فإن
كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك » فاقترضى اشتراكهما فيه فيقتضي
البذل لو قدر إهدار الأول افراد كل واحد منهما بالسدس وعدم
التشريك ، وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البذل لأنه يلزم في هذا
النوع أن يكون مؤدى المبدل والبذل واحداً ، وإنما فائدته التأكيد
بمجموع الاسمين لا غير بلا زيادة معنى ، فإذا تحقق ما بينهما من
التباين تعذرت البدلية المذكورة ، ولا يصح أن يكون من يدل
التقسيم أيضاً على هذا الاعراب ، وإلا لزم زيادة معنى في البذل فالوجه
إذن أن يقدر مبتدأ محذوف ، كأنه قيل : ولأبويه الثلث ، ثم لما ذكر
نصيبهما مجملًا فصله بقوله : ولكل واحد منهما السدس ، وساغ
حذف المبتدأ لدلالة التفصيل عليه ضرورة ، إذ يلزم من استحقاق كل
واحد منهما للسدس استحقاقهما معاً للثلث ، والله أعلم • ولا يستقيم
أيضاً على هذا الوجه جعله من بدل التقسيم ألا تراك لو قلت : الدار
كلها لثلاثة : لزيد ولعمر ولخالد ، كان هذا بدلاً وتقسيماً صحيحاً ،
لأنك لو حذف المبدل منه فقلت : الدار لزيد ولعمر ولخالد ، ولم
تزد في البذل زيادة استقام ، فلو قلت : الدار لثلاثة : لزيد ثلثها ولعمر
ثلثها ولخالد ثلثها ، لم يستقم بدل تقسيم ، إذ لو حذف المبدل منه
أصار الكلام : الدار لزيد ثلثها ولعمر ثلثها ولخالد ثلثها ، فهذا كلام
مستأنف لأنك زدت فيه معنى تمييز ما لكل واحد منهم ، وذلك
لا يعطيه المبدل ، ولا سبيل في بدل الشيء من الشيء إلى زيادة معنى •
ولهذا كان لا بد من إعراب لكل واحد خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنه
قيل : ولأبويه الثلث ، أي لكل منهما السدس • وهذا من الدقة
بمكان •

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ
كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
الْثُلُثُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

اللفظة :

(كلاله) : مصدر كلّ فلان إذا لم يكن ولداً أو والدأ . أي :
كلّ عن بلوغ القراية المماسه . قال الطّرمّاح يصف الثور :
يهزّ سلاحاً لم يرثه كلاله يشكّ به منها غموض المغابن
وقد تكلم علماء الفقه والتفسير كثيراً عن الكلاله ، وسيأتي مزيد
من القول في هذه السورة عن هذه اللفظة .

الاعراب :

(ولكم نصف ما ترك أزواجكم) الواو حرف عطف ولكم جار

ومجرور متعلقان بمحذوف، خبر مقدم ونصف مبتدأ مؤخر وما اسم موصول مضاف إليه وجملة ترك صلة الموصول وأزواجكم فاعل (إن لم يكن لهن ولد) إن شرطية ولم حرف نهي وقلب وجزم ويكون فعل مضارع مجزوم يلم وهو فعل الشرط أيضاً ولهن خبر يكن المقدم وولد اسمها المؤخر وجملة الشرط في محل نصب على الحال وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله (فإن كان لهن ولد) الفاء عاطفة وإن شرطية، وكان وخبرها المقدم واسمها المؤخر والجملة معطوفة (فلکم الربع مما تركن) الفاء رابطة ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والربع مبتدأ مؤخر ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة تركن صلة الموصول والجملة المقترنة بالفاء جواب الشرط (من يعد وصية يوصين بها أو دين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ووصية مضاف إليه وجملة يوصين صفة لوصية وبها جار ومجرور متعلقان بيوصين وأو حرف عطف ودين عطف على وصية (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية يوصون بها أو دين) تقدم إعراب ذلك كله فعرّج عليه (وإن كان رجل يورث كلالة) الواو عاطفة وإن شرطية وكان يجوز فيها النقصان والتمام فإذا كانت ناقصة فرجل اسمها وجملة يورث بالبناء للمجهول خبرها وكلالة حال، وإن كانت تامة فرجل فاعل وجملة يورث صفة وكلالة حال، ويجوز إعراب كلالة مفعولاً لأجله، ويكون معناها القرابة، أو نعت لمصدر محذوف إذا كان معناها الورثة، أي: يورث وراثته كلالة. وأجاز بعضهم أن تكون مفعولاً به ثانياً، ولا أراه مستساغاً (أو امرأة وله أخ أو أخت) أو حرف عطف وامرأة عطف على رجل وله الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأخ مبتدأ مؤخر وأو حرف عطف وأخت عطف على أخ (فلكل

واحد منها السدس) الفاء رابطة ولكل جار ومجرور متعلقان
 بسحذو فخير مقدم وواحد مضاف اليه ومنهما جار ومجرور متعلقان
 بسحذوف صفة لواحد والسدس مبتدأ مؤخر والجملة المقترنة بالفاء
 في محل جزم جواب الشرط (فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في
 الثلث) الفاء استئنافية وإن شرطية وكانوا فعل ماض ناقص في محل
 جزم فعل الشرط والواو اسم كان وأكثر خبرها ومن ذلك جار ومجرور
 متعلقان بأكثر والفاء رابطة وهم مبتدأ وشركاء خبر وفي الثلث جار
 ومجرور متعلقان بشركاء (من بعد وصية يوصى بها أو دين) تقدم
 اعرابه فجدد به عهداً (غير مضار وصية من الله) غير مضار حال من
 ضمير يوصى ووصية مفعول مطلق مؤكد ليوصيكم ومن الله جار
 ومجرور متعلقان بسحذوف صفة لوصية (والله عليم حكيم) الواو
 استئنافية والله مبتدأ وليم حكيم خبراه .

الفوائد :

١ - مناقشة طريفة :

قال الشلوين حكي لي أن نحويًا سئل عن اعراب « كلاله » من
 قوله تعالى : (وإن كان رجل يورث كلاله) فقال : أخبروني :
 ما الكلاله ؟ فقالوا له : الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن
 فما سفل . فقال : فهي إذن تميز . وتوجيه قوله أن يكون الأصل :
 وإن كان رجل يرثه كلاله ، ثم حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول ،
 فارتفع الضمير واستتر ، ثم جيء بكلالة تمييزاً .

رد ابن هشام :

وقد رد ابن هشام على هذا النحوي بقوله : « ولقد أصاب هذا النحوي في سؤاله وأخطأ في جوابه ، فان التمييز بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف لأجله وتراجع عما بنيت الجملة عليه من طي ذكر الفاعل فيها ، ولهذا لا يوجد في كلامهم مثل : ضرب أخوك رجلاً ، واستطرد ابن هشام كعادته الى أن قال . والصواب في الآية أن « كلاله » بتقدير مضاف ، أي ذا كلاله ، وهو إما حال من ضمير يورث ف « كان » ناقصة ويورث خبر أو تامة فيورث صفة . وإما خبر فيورث صفة . ومن فسر « كلاله » بالميت الذي لم يترك ولداً ولا والداً فهي أيضاً حال أو خبر ، ولكن لا تحتاج الى تقدير حذف مضاف . ومن فسرهما بالقرابة فهي مفعول لأجله .

٢ - عادة العرب إذا ردّت بين اسمين بأو أن تعيد الضمير اليهما جميعاً ، تقول : من كان له أخ أو أخت فليصلهما ، أو الى أحدهما أيهما شئت تقول : من كان له أخ أو أخت فليصله وإن شئت فليصلها .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك حدود الله) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما تقدم من تشريع هو من حدود الله لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها . وتلك مبتدأ وحدود الله خبر (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع الله ورسوله فعل الشرط ويدخله جواب الشرط والهاء مفعول به وجنات منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة وجملة الشرط والجواب في محل رفع خبر . (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) جملة تجري صفة لجنات ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والأنهار فاعل وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (وذلك الفوز العظيم) الواو حالية أو استئنافية وذلك مبتدأ والفوز خير والعظيم صفة (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) تقدم اعرابها فمرج عليه .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن " غريب يطلق عليه اسم (جمع المختلفة والمؤتلفة) . وحده بأنه عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين أو مذمومين أو اثنين أحدهما ممدوح والآخر مذموم ، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بما لا ينقص من الآخر ، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية ، فقد جمع ضمير الخالدين في الجنة لأن كل من دخل الجنة كان خالداً فيها أبداً أو لتفاوت درجات الخالدين . أما أهل النار فيبينهم الخالدون وغير

الخالدين من عصاة المؤمنين ، فساغ الجمع هناك ولم يسغ هنا . لأن الخالدين في النار فرقة واحدة أما الخالدون في الجنان فهم طبقات بحسب تفاوت درجاتهم . وهذا من أسمى مراتب البيان . ومن أمثلته البديعة في الشعر قول الخنساء وقد أرادت مساواة أخيها صخر في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد ، فقالت :

جاري أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا على وكر
حتى إذا نزت القلوب وقصد لزت هناك العذر بالعدر
وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك : لا أدري
برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر

فقد ساوت بينهما في الجرأة وخوض غمار الحرب والإسراع في العدو والسباق في البيت الأول والحضر بضم الحاء السباق والعدو ، والملاءة بضم الميم : الرّيطة وهي كل ثوب رقيق .

ثم ساوت في البيت الثاني بينهما في جعلهما بمثابة صقرين سريعين ، وفي البيت الثالث أرادت أن تصف الحرب وكيف لز بعض عذر اللحم على بعضها الآخر ، مما يدل على المساواة في العدو ، وتساءل الناس في البيت الرابع أيهما الوالد وأيهما الولد لشدة تشابههما ، ثم انتهت في البيت الخامس الى ترجيح الوالد يريق صفحة وجهه ، أي أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيه سبقاً ، وفي البيت السادس قالت إن الولد كان قادراً على مساواة الوالد لولا ما التزمه من الأدب مع برّ أبيه ومعرفته بحقه ، فغض من عنائه ، وخفض من جناح فضله ليؤثر

أباه بالفضل على نفسه • ومثله لنصر الله بن أحمد البصري المعروف
بالخبز أرزي ، وكان أمياً يخبز خبز الأرز بالبصرة ، وينشد أشعار
الغزل ، فمن ذلك قوله :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكأنا هلالين عند النظر
فلم أدر من حَيرتني فيهما هلال السما من هلال البشر
ولولا التَّورّد في الوجنتين وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر
فقد سوى بينهما أولاً ثم رجع ففضل الحبيب على الهلال

٢ - بين الأفراد والجمع :

ووثب أبو السعود العمادي مفتي القسطنطينية في تفسيره الى
أوج الذكاء عندما قرر بإلهام موفق أن نكتة الافراد في قوله « خالداً »
فيها الإيذان بأن الدخول في دار العقاب بصفة الافراد أشد في
استجلاب الوحشة ، أما مجالس الجنة فهي بين الأخلاء والأحباء
والاجتماع أدعى الى تبديد الوحشة •

﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً
مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ
أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَتَاهُمَا مِنْكُمْ فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا

وَأَصْلَحَ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴿

الاعراب :

(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم) كلام مستأنف مسوق للشروع في أحكام الزانية . والواو استئنافية واللاتي اسم موصول وجملة يأتين الفاحشة صلة الموصول ومن نسائكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، ولذلك جاز أن يخبر بالأمر عن المبتدأ بقوله : استشهدوا ، ولك أن تجعل الخبر محذوفاً أي : فيما يتلى عليكم حكم اللاتي . وعليهن جار ومجرور متعلقان باستشهدوا وأربعة مفعول به ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت) الفاء استئنافية وإن شرطية وشهدوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وأمسكوهن فعل أمر والواو فاعل والهاء مفعول به وفي البيوت جار ومجرور متعلقان بأمسكوهن والجملة في محل جزم جواب الشرط (حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلاً) حتى حرف غاية وجر ويتوفاهن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء مفعول به والموت فاعل وأن المضمرة وما في حيزها مصدر مؤول في محل جر بحتى والجار والمجرور متعلقان بأمسكوهن وأو حرف عطف ويجعل فعل مضارع معطوف على « يتوفاهن » والله فاعل ولهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « سيلاً » وتقدمت ، وسيلاً مفعول به (والاذان يأتياها منكم فأذوهما) الواو حرف عطف

واللذان مبتدأ وأراد بهما الزاني والزانية ، وجملة يأتيانها صلة والضمير يعود على الفاحشة ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة وآذوهما فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة خبر وقد تقدم ظيره . ومعنى الإيذاء السب والتوبيخ والضرب (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) فإن الفاء استئنافية وإن شرطية وتابا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وأصلحا عطف على « تابا » والفاء رابطة وجملة أعرضوا عنهما في محل جزم جواب الشرط (إن الله كان تواباً رحيماً) إن واسمها وجملة كان واسمها المستتر وخبرها في محل جزم جواب الشرط ، ورحيماً خبر كان الثاني .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْعِزَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾

اللفظة :

(أعتدنا) أحضرنا وهيأنا ، وهو عتيد أي حاضر مهياً ، وأصلها أعددنا ، أبدلت الدال الأولى تاء .

الاعراب :

(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) كلام مستأنف للشروع في بحث التوبة وشروطها ، وإنما كافة ومكفوفة والتوبة مبتدأ وعلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة يعملون صلة الموصول والسوء مفعول به وبجهالة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة كونهم جاهلين سفهاء (ثم يتوبون من قريب) ثم حرف عطف للاشعار بأن التوبة جاءت متأخرة ولكنها قبلت على كل حال قبل وقت الاحتضار ومعاناة الموت ، ويتوبون عطف على يعملون ومن قريب جار ومجرور متعلقان بـ يتوبون (فأولئك يتوب الله عليهم) الفاء استئنافية وأولئك اسم إشارة مبتدأ وجملة يتوب الله عليهم خبر (وكان الله عليماً حكيماً) الواو استئنافية وكان واسمها وخبرها ، وحكيماً خبر ثان (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الواو عاطفة وليس واسمها ، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها وجملة يعملون السيئات صلة (حتى إذا حضر أحدهم الموت) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة حضر أحدهم الموت في محل جر بالاضافة وأحدهم مفعول به مقدم والموت فاعل مؤخر ولم تجر « حتى » « إذا » لأن أدوات الشرط لا يعمل فيها ما قبلها ولكن الجملة الشرطية كلها في محل جر بحتى والجار والمجرور متعلقان بـ يعملون (قال إني تبت الآن) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير نجازم وإن واسمها ، وجملة تبت خبرها والآن ظرف متعلق بـ تبت والجملة في محل نصب مقول القول (ولا الذين يموتون وهم كفار) الواو عاطفة ولا نافية والذين عطف على الذين يعملون وجملة يموتون صلة والواو حالية وهم مبتدأ

وكفار خير والجملة نصب على الحال (أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً)
الجملة مستأنفة ولك أن تجعلها مفسرة وعلى كل حال لا محل لها واسم
الإشارة مبتدأ وجملة أعتدنا خبر ولهم جار ومجرور متعلقان بأعتدنا
وعذاباً مفعول به وأليماً صفة .

الفوائد :

١ - شغلت هذه الآية العلماء والمربين والمفسرين وسنلخص لك
بعض آرائهم في قوله « بجهالة » :

أ - إنها كل معصية يفعلها العبد بجهالة وإن كانت على سبيل
العبد لأنه يدعو إليها الجهل ، ويزينها للعبد .

ب - إن معنى « بجهالة » أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة
كما يعلم الشيء ضرورة .

ح - إن معنى « بجهالة » أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص
فيفعلونها إما بتأويل خاطيء وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها

وضعف الرّماني هذا القول بأنه خلاف ما أجمع عليه المفسرون ،
ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة .

٢ - هذا ولا مندوحة لنا عن الإشارة الى الخلاف الذي شجر
بين أهل السنة والاعتزال حول قوله : « على الله » فقد قال الزمخشري :
« يعني إنما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء » وهو يجري في
ذلك على سنن المعتزلة . وقد فتّد أهل السنة هذا القول بأنه قياس
الخالق على الحق ، وأنه لإطلاق يتقيد عنه لسان العاقل ، الى آخر
تلك المناظرة الفريدة .

٣ - وقال أبو حيَّان : « وارتفاع التوبة على الابتداء والخبر هو « على الله » و « للذين » متعلق بما تعلق به « على الله » والتقدير : إنما التوبة مستقرة على فضل الله وإحسانه للذين .. »

٤ - وقال أبو البقاء : في هذا الوجه يكون « للذين يعملون السوء » حالاً من الضمير في قوله « على الله » والعامل فيها الظرف والاستقرار ، أي : ثابتة للذين ، وأجاز أبو البقاء أن يكون الخبر « للذين » ويتعلق « على الله » بمحذوف ويكون حالاً من محذوف أيضاً والتقدير : إنما التوبة إذا كانت أو إذ كانت على الله للذين ، وكان تامة وصاحب الحال ضمير الفاعل لكان . وإنما أوردنا هذه الأقوال للتدريب على ما راض علماءنا أنفسهم على فهم كتاب الله تعالى ، وما أوردناه كاف .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ آبَتِهِنَّ وَلَا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ
مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

اللفظة :

(تعضلوهن) مضارع عضل على فلان أي ضيق عليه أمره وحال بينه وبين ما يريد . والعَضْل الحبس والتضييق ، وعضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه ، فيكون استعمال ذلك مجازاً . ومن رائع الشعر قول أوس :

تري الارض منا بالقضاء مريضة
معضلة منا بجمع عرمم

وردّ النابغة هذا المعنى فقال يصف جيشاً :

لجب" يظلل" به القضاء معضلاً

يبدع الإكمام كأنهن صحاري

والمراد به هنا في الآية : لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم
بإمساكنهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات . وكان الرجل اذا
تزوج امرأة ، ولم تكن من حاجته ، حبسها مع سوء العشرة والقهر ،
لتفتدي منه بمالها وتختلع ، فقال تعالى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن » . هذا وقد تقدم الكلام عن وقوع العين والضاد
فاء وعيناً للكلمة ، وما ترمز اليه حيثئذ من معاني القوة والشدة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (لا يحل لكم أن
ترثوا النساء كرهًا) كلام مستأنف مسوق لإنصاف المرأة مما كانت
تسام به من ظلم وافتئات ، ولا نافية ويحل فعل مضارع مرفوع ولكم
جار ومجرور متعلقان بيحل وأن ترثوا النساء المصدر المؤول فاعل
يحل والنساء مفعول به وكرهًا بضم الكاف وفتحها ، وهما قراءتان ،
حال أي : كارهات (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)
الواو عاطفة ولا نافية وتعضلوهن عطف على ترثوا أي : ولا أن
تعضلوهن ولتذهبوا اللام للتعليل وتذهبوا فعل مضارع منصوب بأن

مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بتعضلوهن وبيعض جار ومجرور متعلقان بتذهبوا وما اسم موصول مضاف إليه وجملة آتيتموهن صلة الموصول (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) إن كان الاستثناء منقطعاً كان المصدر المؤول واجب النصب على الاستثناء ، وإن كان متصلاً بما قبله كان الاستثناء من أعم الأحوال ، فيعرب حالاً . وأعربه أبو حيان مستثنى من أعم الظروف أو العلل ، فهو منصوب عنده على الظرفية الزمانية ، أو على أنه مفعول لأجله ، كأنه قيل : ولا تعضلوهن في وقت من الأوقات إلا وقت أن يأتين ، أو لا تعضلوهن لعل من العلل إلا أن يأتين ، وهما سائغان . ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب بأن وبفاحشة جار ومجرور متعلقان بيأتين ومبينة بفتح الياء وكسرهما قراءتان (وعاشروهن بالمعروف) الواو عاطفة وعاشروهن فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : محسنين ومجملين في القول والعمل (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) الفاء استئنافية وإن شرطية وكرهتموهن فعل ماض في محل جزم فعل الشرط فعسى الفاء رابطة وعسى هنا تامة وهي فعل جامد وأن وما بعدها فاعل ، ويجعل فعل مضارع معطوف بالواو على تكرهوا منصوب مثله والواو فاعله وفيه جار ومجرور متعلقان بجعل ، فهو بمثابة المفعول الثاني لجعل ، وخيراً مفعولها الأول وكثيراً صفة .

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا تَأْخُذُونَهُ بِهِنَّ وَإِنَّمَا مِيزَانٌ عَدْلٌ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴿

اللفظة :

(القنطار) تقدم القول فيه ، والمراد به هنا المال العظيم ، من قنطرت الشيء إذا رفعته ، ومنه القنطرة : لأنها بناء مشيد ، قال :

كقنطرة الرومي أقسم ربّها لتكتنن حتى تشاد بقرمد

(البهتان) أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه ، لأنه يبهت عند ذلك ، أي : يتحير . ومن الآيات التي استعمل فيها لفظ بهت ، وعبرت تعبيراً قسياً قوله :

وما هي إلا أن أراها قجاعة فابتهت حتى ما أكاد أجيب

. وجميع الأفعال التي قاؤها باء وعينها هاء تتعلق بشعور قسائي ، وقد أحصينا الكثير منها فلم يشذ واحد منها على هذا التحديد الفجيب ، فمن ذلك بهج به وابتهج أي سره ذلك ، وهو أمر يتعلق بصميم النفس قال النابغة :

كمضيئة صدقيّة غواصّها بهج متى يرها يهمل ويسجد

وبهره غلبه ، وبهراً دعاء عليه بالغلبة . قال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

وبهرج في كلامه أي خالطه بما يسوء النفس . والكلام في هذا يطول .

الاعراب :

(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) الواو استئنافية وإن شرطية وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل واستبدال زوج مفعول به ومكان زوج ظرف مكان متعلق باستبدال (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) الواو حالية وآتيتم فعل وفاعل والجملة نصب على الحال وإحداهن مفعول به أول وقنطاراً مفعول به ثان فلا الفاء رابطة ولا فاهية وتأخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ومنه جار ومجرور متعلقان بتأخذوا وشيئاً مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط (تأخذونه بهتافاً وإثماً مييناً) الهمزة للاستفهام والتوبيخ والإنكار والجملة استئنافية وتأخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبهتافاً حال أو مفعول لأجله وإثماً عطف على بهتافاً ومييناً صفة (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) الواو حرف عطف وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وتأخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو حالية وقد حرف تحقيق وأفضى بعضكم فعل وفاعل وإلى بعض جار ومجرور متعلقان بأفضى وأخذن عطف على أفضى والنون فاعل وميثاقاً مفعول به وغليظاً صفة .

البلاغة :

الكنية في الإفضاء إلى الشيء لأنه عبارة عن المباشرة له والذي عنى الإفضاء في هذا الموضع هو الجماع عند الشافعي ، وهو قول ابن عباس أو الخلوة وإن لم يجمع كما هو اختيار أبي حنيفة والفراء .

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ

كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ الَّذِينَ أَرَضَعَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ
نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ الَّتِي فِي جُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ
بَيْنَهُنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبَائِكُمُ
الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

اللفظة :

- (الربائب) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره .
- (الحجور) جمع حجر بفتح الحاء وكسرهما مقدم الثوب ، والمراد به هنا لازم الكون في الحجور وهو الكون في تربيتهم .
- (الحلائل) جمع حليلة وهي الزوجة ، قال الفرزدق :
وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق

الاعراب :

- (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم . والواو

استثنائية ولا ناهية وتنكحوا فعل مضارع مجزوم بلا وما اسم موصول مفعول به ، وهي واقعة على النوع كالتي في قوله : « ما طاب لكم من من النساء » أي : ولا تنكحوا النوع الذي نكح آباؤكم ، وقال قوم : ما مصدرية والتقدير لا تنكحوا نكاح آبائكم ، أي : مثل نكاح آبائكم الفاسد فهي مع مدخولها مفعول مطلق ، ولا بأس بذلك ونكح آباؤكم فعل وفاعل ومن النساء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) إلا أداة استثناء وما مستثنى منقطع لأن الماضي لا يستثنى من المستقبل ، ويجوز أن يكون متصلاً . وسيرد مزيد عنه في باب البلاغة . وجملة قد سلف صلة وإن واسمها ، وجملة كان فاحشة خبر إن وجملة إنه تعليلية لا محل لها ، ومقتاً عطف على فاحشة وساء فعل ماض لإنشاء الذم والفاعل مبهم مستتر يفسره التمييز وهو « سبيلاً » والجملة إما مستأنفة وإما عطف على خبر كان محكية بقول مضر (حرمت عليكم أمهاتكم) حرم فعل ماض مبني للمجهول والتاء تاء التأنيث الساكنة وعليكم جار ومجرور متعلقان بحرمت وأمهاتكم نائب فاعل (وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) عطف على أمهاتكم ، فهي داخلة في نطاق التحريم (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) عطف أيضاً (وأخواتكم من الرضاعة) عطف أيضاً والجار والمجرور نصب على الحال من أخواتكم (وأمهات نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) عطف أيضاً وفي حجوركم متعلقان بمحذوف صلة ومن نسائكم متعلقان بمحذوف حال من ربائكم (اللاتي دخلتم بهن) اسم الموصول صفة لنسائكم وجملة دخلتم بهن صلة والباء للتعدية أي : دخلتم الخلوة بهن (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الفاء استثنائية ولم تكونوا فعل الشرط وجملة دخلتم بهن خبر كان

والفاء رابطة ولا فافية للجنس وجناح اسمها وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) عطف على ما تقدم والذين صفة أبنائكم ومن أصلابكم الجار والمجرور صلة الموصول (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) المصدر الأول عطف أيضاً ، وبين ظرف متعلق بتجمعوا والأختين مضاف إليه وإلا أداة استثناء وما مستثنى منقطع أو متصل ، وقد تقدم إعرابها (إن الله كان عفواً رحيماً) إن واسمها ، وكان واسمها ، وخبرها والجملة خبر إن ، وجملة إن الله استئنافية .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن المبالغة بقوله : « إلا ما قد سلف » وذلك أن المنهي عنه وهو نكاح ما نكح الآباء من النساء أمر مستنكر عند أكثر الخلق ، وقد بلغ حداً من البشاعة والاستهجان أنه كان مقفلاً قبل ورود الشرع به ، جدير بأن يمثل المنهي عنه .

٢ - الكناية في قوله : « دخلتم بهن » فهي كناية عن الجماع كما تقدم أو الخلوة .

٣ - حسن النسق في ترتيب العطف ، وهو ظاهر .

الفوائد :

- ١ - (الأمهات) جمع أم فالهاء زائدة في الجمع فرقاً بين العقلاء وغيرهم . يقال في العقلاء أمهات وفي غيرهم أمات . وقد يتقارضان .
- ٢ - أخت وبنت أصلهما أخو وبهو حذفت واوهما وعوض عنها التاء .

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ ۖ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾
 اللفظة :

(المحصنات) اللواتي أحسن فزوجهن بالتزويج . وهي بفتح الصاد كما في قراءة الجمهور ، ما عدا الكسائي الذي قرأها بالكسر . فهي اسم مفعول على قراءة الجمهور . واسم فاعل في قراءة الكسائي في جميع القرآن ، أما في هذه الآية فقد تبع فيها الكسائي الجمهور .

(مسافحين) : جمع مسافح وهو الزاني ، من السفح أي صب المني . وكان الفاجر يقول للفاجرة : سافحيني وماذيني ، من المذي .

الاعراب :

(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) عطف على ما تقدم من المحرمات ، ومن النساء : جار ومجرور متعلقان بسحذوف حال وإلا : أداة استثناء وما مستثنى متصل ، وقيل : منقطع باعتبار أن المستثنى منه نكاح الزوجات ، والمستثنى وطء المتزوجات ، ففيه رائحة الانقطاع ، ولا داعي لهذا التكلف . وجيلة ملكت أيمانكم صلة الموصول أي :

اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الكفر فهن حلال للفزاة ، وإن كنَّ
محصنات • وعن أبي سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
جيشه يوم حنين إلى أوطاس ، فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين •
فكرهوا غشيانهن ، فأقر الله هذه الآية • وقد افتن شعراؤنا بهذا
المعنى فقال الفرزدق :

و ذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يني بها لم تطلق

(كتاب الله عليكم) كتاب مصدر مؤكد أي : كتب الله ذلك عليكم
كتاباً وفرضه فرضاً • وعليكم جار ومجرور متعلقان بالمصدر ، وسيأتي
مزيد بسط لذلك في باب الفوائد (وأحل لكم ما وراء ذلكم) الواو
عاطفة وأحل فعل ماض مبني للبعجول وقرىء بالبناء للمعلوم وهو
معطوف على الفعل الذي نصب المصدر ولكم جار ومجرور متعلقان
بأحل وما اسم موصول نائب فاعل أو مفعول به ووراء ظرف متعلق
بمحذوف صلة الموصول واسم الإشارة مضاف إليه (أن تبتغوا بأموالكم
محصنين غير مسافحين) المصدر المؤول من أن وما في حيزها في محل
نصب مفعول لأجله أي إرادة أن تبتغوا النساء والمفعول به محذوف
للعلم به ، ومحصنين حال أولى وغير مسافحين حال ثانية (فما استمتعتم
به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) الفاء استئنافية وما اسم موصول
أو اسم شرط جازم وهي مبتدأ على كل حال واستمتعتم صلة إن كانت
ما موصول وفعل الشرط إن كانت شرطية وبه جار ومجرور متعلقان
باستمتعتم ومنهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال فآتوهن : الفاء
رابطة على كل حال ، وآتوهن : الجسلة خبر ما الموصولة أو في محل
جزم جواب الشرط ويكون فعل الشرط وجوابه خبر ما الشرطية
وأجورهن مفعول به ثان والمفعول الأول هو الهاء في آتوهن وفريضة

حال من أجورهن أو اسم مصدر مؤكد كما قال بعضهم ولا داعي لذلك (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) الواو عاطفة أو استئنافية ولا نافية للجنس وجناح اسمها المبني على الفتح وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا . وفيما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجلة تراضيتن لا محل لها صلة وبه جار ومجرور متعلقان بتراضيتن ومن بعد الفريضة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (إن الله كان عليماً حكيماً) الجملة تعليل لما ورد من أحكام وبقيّة الاعراب تقدمت قائله .

البلاغة :

١ - في قوله : « مسافحين » استعارة تصريحية لكثرة الزنا ، تشبيهاً بصب الماء في الأنهار والعيون بتدفق وسرعة .

٢ - وفي قوله : « فآتوهن أجورهن » استعارة تصريحية أيضاً فقد استعار لفظ الأجور للسهر ، والأجور جمع أجر ، وهو ما يتقاضاه المرء على عمل .

الفوائد :

أعرب الكسائي : « كتاب الله عليكم » نصباً على الإغراء كأنه قال : عليكم كتاب الله ، فقدم المفعول به على اسم الفعل وهو عليكم . ثم قال : وذلك جائز ، وقد ورد به السماع والقياس . فالسماع قول الراجز :

أيها المائع دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

والمراد دونك دلوي أي خذه ، وأما القياس فإن الظرف أي عليكم : تاب عن الفعل تقديره : الزموا كتاب الله ، ولو ظهر الفعل جاز تقديم معموله ، فكذلك معموله . والصواب ما ذهبنا إليه ، ولكننا أشرنا إليه لقبس الذكاء المشرق منه ، وتقنيده يضيق عنه المجال .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أُتِيَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٥)

اللفظة :

(الطول) بفتح الطاء : الفضل والزيادة والاستطاعة والنيل ، يقال : طلته أي نلته ، قال الفرزدق :

إن الفرزدق صخرة عادية طالت فليس تنالها الأوعالا

أي طالت الأوعالا فـ « الأوعالا » مفعول طالت . وأمر طائل أي يعتد به قال :

لقد زادني حباً لنفسي أني بغيض" إلى كل امرئ متناول

ومنه الطثول في الجسم بضم الطاء ، لأنه زيادة فيه والطول بكسر الطاء وفتح الواو هو جبل تشدّ به قوائم الدابة ، قال طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكالطثول المرخى وثنياه في اليد

(الأخدان) الأخلاء في السرّ ، جمع خدن بكسر الخاء ، وقال أبو زيد : الأخدان : الأصدقاء على الفاحشة ، والواحد خدن وخدين .

(العنت) : المشقة في الأصل ، وأصله الاول انكسار العظم بعد الجبر ، فاستعير لكل مشقة . والمراد به هنا الزنا .

الاعراب :

(ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات)
كلام مستأنف مسوق لتتمة هذه الأحكام المشروعة ، وقد كثرت الأعراب وأحكام المفسرين والمعربين في هذه الآية ، وسنختار ما هو أقرب إلى المنطق منها . فمن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ولم يستطع في محل جزم فعل الشرط ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وطولا مفعول يستطع والمصدر المؤول من أن وينكح مفعول طولا لأنه مصدر والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال يبلغ بها نكاح الحرّة فلينكح أمة . ويجوز إعراب المصدر المؤول نصبا على نزع الخافض ، أي : طولا إلى أن ينكح المحصنات . وهذا أقرب ما نراه مستساغاً

من الأعراب التي تخط بها النحاة والمربون (فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) الفاء رابطة لجواب الشرط وما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف لفعل محذوف ، أي : فلينكح أمة ما ملكت أيمانكم وجملة ملكت أيمانكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن فتياتكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المقدر في « ما ملكت » والعائد على ما وفعل الشرط وجوابه خبر من الموصولية ، والمؤمنات صفة لفتيات (والله أعلم بإيمانكم) الواو اعتراضية والله مبتدأ وأعلم خبر وبإيمانكم جار ومجرور متعلقان بأعلم والجملة لا محل لها لأنها معترضة (بعضكم من بعض) بعضكم مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة مستأنفة مسوقة للتسوية بينكم وبينهن في الدين ، وهذا من أروع التعابير عن المساواة (فانكحوهن بإذن أهلن) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي : إذا علمتم الوجهة المستقيمة الجديرة بالاتباع فانكحوهن والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وإذن أهلن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وآتوهن أجورهن بالمعروف) عطف على فانكحوهن وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بآتوهن أجورهن ومعناه وبغير مطل وضرار • وآتى ينصب مفعولين وهما الهاء وأجورهن (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) محصنات حال من المفعول به في قوله : « فانكحوهن » و « غير مسافحات » حال ثانية ولا متخذات أخدان عطف على مسافحات (فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وأحصن فعل ماض مبني للجهول والنون نائب فاعل والجملة في محل جر بالإضافة فإن الفاء رابطة لجواب إذا ، وإن شرطية وآتين فعل ماض مبني على السكون في

محل جزم فعل الشرط والنون فاعل وبفاحشة جار ومجرور متعلقان
بأتين ، فعليهن الفاء رابطة لجواب الشرط وعليهن جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبر مقدم ونصف مبتدأ مؤخر وما اسم موصول في محل جر
بالإضافة وعلى المحصنات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول
ومن العذاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة : فإن أتين
لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة فعليهن نصف في محل
جزم جواب الشرط الجازم وهو إن (ذلك لمن خشي العنت منكم)
ذلك اسم إشارة مبتدأ ولمن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة
خشي لا محل لها لأنها صلة الموصول والعنت مفعول به ومنكم جار
ومجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة مستأنفة لا محل لها
(وأن تصبروا خير لكم) الواو استئنافية وأن وما في حيزها مصدر
مؤول مبتدأ وخير خبر للمصدر المؤول ، ولكم جار ومجرور متعلقان
بخير (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور خبر أول
ورحيم خبر ثان .

الفوائد :

اخترنا في الاعراب ما رأيناه أدنى الى المنطق وأقرب الى الصواب ،
ولكننا لزيادة الفائدة نورد ما قاله بعض العلماء في اعراب هذه الآية ،
فقد أجازوا جعل « أن ينكح » بدلا من « طولا » بدل الشيء من
الشيء ، وهما لشيء واحد ، لأن الطَّوْل هو القدرة ، والنكاح قدرة ،
وأجازوا أن يكون المصدر المؤول مفعول يستطع ، وقالوا في نصب
« طولا » إنه يجوز أن يكون مفعولا لأجله على حذف مضاف أي :
ومن لم يستطع منكم نكاح المحصنات لعدم الطول وأن يكون نصبا

على المصدرية ، والعامل فيه الاستطاعة ، والتقدير : ومن لم يستطع منكم استطاعة أن ينكح • فتدبر والعصمة لله وحده •

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) كلام مستأنف مسوق لتتمة بيان ما سبق من أحكام • ويريد الله فعل مضارع وفاعل وليبين : اللام زائدة ولكنها أعطيت حكم لام التعليل وقد أفادت زيادة اللام تأكيداً لإرادة التبيين ، والمعنى : يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم ، وأن يهديكم مناهج من كانوا قبلكم للاقتداء بما هو صالح منها لكم ومنسجم مع واقعكم • ويهديكم عطف على يبين والكاف مفعول به أول وسنن مفعول به ثان والذين مضاف إليه ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، ويجوز في « سنن » أن تكون منصوبة بنزع الخافض ، وقد تقدم بحث هدى في الفاتحة (ويتوب عليكم) عطف على « يبين » ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بـ يتوب (والله عليم حكيم) الواو استئنافية والله مبتدأ

وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان (والله يريد أن يتوب عليكم) الواو استثنائية والله مبتدأ وجملة يريد خبر وأن يتوب مصدر مؤول مفعول به وعليكم جار ومجرور متعلقان يتوب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) عطف على يريد السابقة والذين فاعل وجملة يتبعون صلة الموصول والشهوات مفعول به وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (أن تميلوا ميلاً عظيماً) أن وما بعدها مصدر مؤول مفعول يريد ، وميلاً مفعول مطلق وعظيماً صفة (يريد الله أن يخفف عنكم) تأكيد لما سبق لبسط التقرير ، والجملة مستأنفة تقدم اعرابها (وخلق الإنسان ضعيفاً) الجملة مستأنفة بمثابة التعليل للتخفيف وخلق فعل ماض مبني للمجهول والإنسان نائب فاعل وضعيفاً حال من الإنسان وهي حال مؤكدة ، أي لا يقوى على مغالبة الشهوات ومدافعة النفس الأمارة بالسوء .

الفوائد :

هذا تركيب شغل المعربين ، وتضاربت فيه أقوال المفسرين ، وقد أوردنا في باب الاعراب ما ارتأيناه وارتأاه الزمخشري من قبل ، وهو رأي الكوفيين . ولكن سيويه والبصريين يرون أن مفعول يريد محذوف وتقديره يريد الله هذا ، أي تحليل ما أحل وتحريم ما حرم ، وتشريع ما تقدم ذكره ليستقيم معنى التعليل . ولكننا نرى فيه تكلفاً لا يتفق مع أسلوب القرآن السمج ، وهناك قولان جديران بالتدوين :

١ - قول الفراء :

أما الفراء فيرى أن اللام هنا هي لام كي التي تعاقب « أن » قال

العرب تعاقب بين لام كي و « أن » فتأتي باللام التي على معنى « كي » في موضع « أن » في : أردت وأمرت فتقول : أردت أن تفعل وأردت لتفعل ، ومنه قوله تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » « وأمرت لأعدل بينكم » « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » ومنه قوله :

أريد لأنسى ذكرها فكانما تمثّل لي ليلى بكل سيل

٢ - قول الزجاج :

وقد حكى الزجاج هذا القول وقال : لو كانت اللام بمعنى « أن » دخلت عليها لام أخرى كما تقول : جئت كي تكرمني ، ثم تقول : جئت لكي تكرمني ، وأنشد :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٨ ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٢٩ ﴿

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالأموال

والأنفس ، وقد تقدم إعراب النداء كثيراً ، ولا ناهية وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وأموالكم مفعول به وبينكم ظرف متعلق بتأكلوا وبالباطل : جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والمراد بالباطل هنا ما لم تبعه الشريعة . (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) إلا أداة استثناء والمصدر المؤول في موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن التجارة ليست من جنس الأموال المأكولة بالباطل ، ولأن الاستثناء وقع على الكون ، والكون معنى لا مادة ، وخص التجارة لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها . وتجارة خير تكون واسمها مستتر تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة ، وعن تراض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، أي تجارة صادرة عن تراض ، [والتراضي معروف في كتب الفقه وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضين] . ومنكم جار والمعاملات فهو عند أبي حنيفة رضا المتبايعين وقت الإيجاب والقبول ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لتجارة (ولا تقتلوا أنفسكم) عطف على ما تقدم ، ولا ناهية وتقتلوا مضارع مجزوم بها وأنفسكم مفعول به (إن الله كان بكم رحيماً) الجملة تعليل للمنع لا محل لها وإن واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن (ومن يفعل ذلك عدواً وظلماً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويفعل فعل الشرط وذلك اسم إشارة مفعول به ، والإشارة لما تقدم من المنهيات ، وقيل عن قتل الأنفس خاصة . وعدواً وظلماً مصدران في موضع نصب على الحال أو مفعول لأجله (فسوف نصليه ناراً) الفاء رابطة لجواب الشرط وسوف حرف استقبال ونصليه فعل مضارع والهاء مفعول به أول وفاراً مفعول به ثان والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من الشرطية (وكان ذلك على الله يسيراً) الواو استئنافية وكان واسمها ، ويسيراً خبرها وعلى الله متعلقان بيسير أو بمحذوف صفة له .

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا تُتَهَوَّنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ
 مُدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ
 لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا
 اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾

الاعراب :

(إِن تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا تُتَهَوَّنَ عَنْهُ) كلام مستأنف مسوق للدعوة
 الى اجتناب الكبائر والتزام الطاعات . وإن شرطية وتجنبوا فعل الشرط
 والواو فاعل وكبائر مفعول به وما اسم موصول مضاف اليه وجملة
 تنهون عنه لا محل لها لأنها صلة وتنهون فعل مضارع مبني للسجھول
 والواو نائب فاعل وعنه جار ومجرور متعلقان بتنهون (نكفر عنكم
 سيئاتكم) نكفر جواب الشرط وعنكم جار ومجرور متعلقان بنكفر
 وسيئاتكم مفعول به (وندخلكم مدخلا كريما) وندخلكم عطف على
 نكفر والكاف مفعول به ومدخلا اسم مكان أو مصدر ميمي فهو
 مفعول به ثان على السعة أو مفعول مطلق وقيل ظرف مكان وليس
 ببعيد ، وكريما صفة (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)
 كلام مستأنف مسوق للنهي عن التمني لأن فيه تعلق البال بالدنيا
 ونسيان الآخرة ، والواو استئنافية ولا فاهية وتتمنوا فعل مضارع
 مجزوم بلا والواو فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة فضل الله

صلة وبه جار ومجرور متعلقان بفضل وبعضكم مفعول به وعلى بعض متعلقان بفضل أيضاً . وفي هذا النهي دعوة الى تجنب الحسد (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة ، ويجوز أن تكون مفسرة لما ساق النهي لأجله ، وللرجال جار ومجرور متعلقان بحذوف خبر مقدم ونصيب مبتدأ مؤخر ومسا جار ومجرور متعلقان بحذوف صفة لنصيب وجملة اكتسبوا صلة (وللنساء نصيب مما اكتسبن) عطف على الجملة السابقة (واسألوا الله من فضله) عطف على النهي . واسألوا فعل أمر مبني على حذف النون ولفظ الجلالة مفعول أول والثاني محذوف ، ومن فضله متعلقان بحذوف صفة للمفعول الثاني المحذوف ، أي : شيئاً من فضله (إن الله كان بكل شيء عليماً) إن واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن ، والجملة تعليلية لا محل لها وبكل جار ومجرور متعلقان بـ « عليماً » .

﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدَتْ

أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ نَصِيبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا

أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِتَتُ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ۚ

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝٣٤﴾

اللفة :

(النشوز) : أصل النشوز الارتفاع الى الشرور ، ونشوز المرأة : بغضها لزوجها وارتفاع نفسها عليه تكبراً ، ويقال : علوت نشراً من الارض ونشراً بسكون الشين وفتحها . ونشز الشيء عن مكانه : ارتفع ، ونشزت إليّ النفس : جاشت من الفزع ، وامرأة ناشز . ومن غريب أمر النون والشين أنهما لا تقعان فاء وعينا للكلمة إلا دلّتا على هذا المعنى أو ما يقارب به : ارتفاع عن الشيء ومباينة لأصله وعدم انسجام مع حقيقته ، ومنه نشأ الانسان أي ارتفع وظهر ، وأنشأناهن إنشاءً ، ومن أين نشأت ؟ والجواري المنشآت : السفن الماخرة عباب البحر ، ونشب العظم في الحلق علق وارتفع عليه ، وتراموا بالنشاب ونشبت الحرب ، ونشج الباكي نشجاً وهو ارتفاع البكاء وتردده في الصدر ، وأنشد الشعر إنشاداً حسناً لأن المنشد يرفع صوته ، الى آخر ما اشتملت عليه هذه المادة وهذا من عجائب ما تميزت به لغتنا الشريفة .

الاعراب :

(ولكل جعلنا موالى ما ترك الوالدان والأقربون) الكلام مستأنف مسوق لتتمة أحكام الإرث وقد تكلم العربون والمفسرون كثيراً عن هذه الآية ، وأطالوا في القول وقلبوا الكلام على شتى وجوهه فلم يصل أحد منهم الى طائل يشفي الغليل ، فهي من الكلام المعجز ، وأقرب ما رأيناها فيها هو ما يلي : الواو استئنافية ولكل جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والتنوين في كل عوض عن كلمة ، أي : لكل قوم . وجملة جعلنا صفة لقوم ومفعول جعلنا الأول محذوف أي

جعلناهم وموالي مفعول به ثان ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للسبتدأ المؤخر المحذوف أي نصيب وجملة ترك صلة الموصول والوالدان فاعل والأقربون عطف عليه . والمعنى ولكل من هؤلاء الذين جعلناهم موالى نصيب من التراث المتروك . وهذا أجود الأوجه من جهة المعنى ، ولكنه كما رأيت يحتاج الى تقديرات كثيرة . ويليه في الجودة أن يكون « لكل » مفعولاً مقدماً لجعلنا وموالي مفعول به ثان والمضاف « لكل » هو المال أي : جعلنا لكل مال موالى ، ومما ترك صفة ، وفي هذا ما فيه . وسيأتي في باب الفوائد بعض ما قاله الأئمة (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) الواو استئنافية والذين اسم موصول مبتدأ وجملة عقدت أيمانكم صلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة آتوهم خبر الذين والهاء مفعول به أول ونصيبهم مفعول به ثان . ويجوز أن تكون الواو عاطفة والذين مرفوع عطف على الوالدان والأقربون ، ويجوز أن يكون الذين منصوباً على الاشتغال أي مفعول به لفعل محذوف نحو : زيداً فاضربه ، ومنهم من أعربه معطوفاً على موالى ، واختاره أبو البقاء . وهناك أقوال كثيرة ضربنا عنها صفحاً . ومفعول عقلت محذوف أي عقدتهم والنسبة مجازية كما سيأتي في باب البلاغة (إن الله كان على كل شيء شهيداً) إن واسمها ، وجملة كان خبر إن وعلى كل شيء متعلقان بـ « شهيداً » وشهيداً خبر كان الناقصة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب زيادة استحقاق الرجال الزيادة في الميراث ما يرجع اليه في المظان المعروفة ، والرجال مبتدأ وقوامون خبره وعلى النساء جار ومجرور متعلقان بقوامون أي يقومون بتدبير شئونهم وتحصيل معاشهم ليتاح للأم أن تنصرف الى شئون بيتها أو لتبارس الأعمال التي تنسجم مع طبيعتها ، وكل امرئ

ميسّر لما خلق له ، كما جاء في الحديث • وبما فضل متعلقان بقوامون أيضاً والباء سببية جارة وما مصدرية أو موصولية ، والجملة بعدها لا محل لها على التقديرين • والله فاعل وبعضهم مفعول وعلى بعض متعلقان بفضل (وبما أتفقوا من أموالهم) عطف على ما تقدم (فالصالحات قاتلات حافظات للغيب) الفاء استئنافية بمثابة التفریع على ما تقدم ، والصالحات مبتدأ وقاتلات خبر أول وحافظات خبر ثان وللغيب متعلقان بحافظات (بما حفظ الله) الجار والمجرور متعلقان بحافظات وما مصدرية أي بسبب حفظ الله لهن إذ عصمنَّ ووقفهنَّ لحفظ غيبة الأزواج ، ويجوز جعل ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف أي بالذي حفظه الله لهن من مهر أزواجهن والنفقة عليهن والجملة بعد « ما » لا محل لها من الإعراب (واللاتي تخافون نشوزهن) الواو استئنافية واللاتي اسم موصول مبتدأ وجملة تخافون نشوزهن صلة ونشوزهن مفعول به (فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وعظوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة خبر الموصول واهجروهن عطف على عظوهن وفي المضاجع متعلقان باهجروهن واضربوهن عطف أيضاً (فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) الفاء استئنافية وإن شرطية وأظعنكم فعل ماض والنون فاعل والكاف مفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتبغوا فعل مضارع مجزوم بلا وعليهن متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « سبيلاً » وتقدم عليه وسبيلاً مفعول به • ويحتمل أن تكون « تبغوا » من البغي أي الظلم ، والمعنى : فلا تبغوا عليهن ، فيتعلق « عليهن » بمحذوف حال ، واقتصاب « سبيلاً » على هذا هو على إسقاط الخافض (إن الله كان علياً كبيراً) إن واسمها وجملة كان علياً كبيراً خبرها .

البلاغة :

١ - المجاز المرسل في قوله : « عقدت أيمانكم » سواء أريد بالإيمان اليد الجارحة أو القسم . والعلاقة هي السببية .

٢ - الكناية في قوله « في المضاجع » فقد كنى بذلك عن الجماع . وقد تقدم البحث مستوفى عن الكناية . وللعرب في الكناية عن الجماع تأثيلاً عن ذكره أساليب عديدة ، كقوله تعالى : « هن لباس لكم وأتم لباس لهن » ومن الشعر قول امرئ القيس :

وصرنا الى الحسنى ورقّ كلامنا

ورضت فذلت صعبة أي إذلال

فرياضة المرأة وإذلالها ورقة كلامها من البهر وفرط الشهوة كناية عن ذلك غاية في الجمال والتعفف . ومن طريف الكنايات المتعلقة بالمضاجع ما يروى عن عمرو بن العاص أنه زوج ولده عبد الله ، فمكثت المرأة عنده ثلاث ليال لم يذن منها وإنما كان ملتفتاً الى صلاته ، فدخل عليها عمرو بعد ثلاث فقال : كيف ترين بعلك ؟ فقالت : نعم البعل إلا أنه لم يفتش لنا كنفاً ولم يقرب لنا مضجعاً . من الكناية التي يعزّ ظيورها .

نموذج بين الإحسان والإساءة :

ومما أسىء استعماله من الكناية عن الجماع قول المتنبي :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عمّا في سراويلاتها

فقد أراد أن يكنّي عن النزاهة والعفة فوق بما يعتبر شراً من
الفجور ، وهو قوله « عما في سراويلاتها » • وقد أخذ الشريف الرضي
هذا المعنى فأبرزه في أجمل صورة ، وأعفّ نطق وأشرفه حيث قال :

أحن إلى ماتنصر الخمر والحلا وأصدف عما في ضمان المآزر

والشريف وقع في الخطأ :

على أن الشريف الرضي لم يسلم من الخطأ أيضاً فقد ظم قصيدة
يعزّي بها أبا سعد علي بن محمد بن أبي خلف عن وفاة أخيه وهو :

إن لم تكن نصلاً فعمد نصال غالته أحداث الزمان بغول

وفي هذا من سوء الكناية مالا يخفى ، فإن الوهم يسبق الى
ما يقبح ذكره • والواقع أن الشريف الرضي أراد أن يرمق ساء
الفرزدق في أبيات ثلاثة قالها وقد ماتت جارية له وهي حبلى وهي :

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث إليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أمهله لياليا

ولكن رأيت الدهر يعثر بالفتى ولا يستطيع ردّ ما كان جائيا

وهذا حسن في معناه بديع في صياغته ، فجاء الشريف ، على سوء
ذوقه ورهافة حسه ، وسقط هذه السقطة في أخذ كنياته •

الفوائد :

نرى من المفيد أن نورد وجوهاً ، منها ما أورده أبو حيان في

تفسيره البحر ، ومن هذه الوجوه أن يكون « لكل » متعلقاً بجعلنا ، والضمير في « ترك » عائد على « كل » المضاف لإنسان ، والتقدير : وجعل لكل إنسان إرثاً مما ترك ، فيتعلق « مما » بما في معنى « موالى » من معنى الفعل ، أو بمضمر يفسره المعنى ، والتقدير : يرثون مما ترك ، وتكون الجملة قد تمت عند قوله : مما ترك ، ويرتفع « الوالدان » ، كأنه قيل : ومن الوارث ؟ فقيل : هم الوالدان والأقربون ، والكلام جملتان • ومن تلك الوجوه أن يكون التقدير : وجعلنا لكل إنسان موالى ، أي ورثاً ، ثم أضمر فعل أي : يرث الموالى مما ترك الوالدان ، فيكون الفاعل لـ « ترك » « الوالدان » وكأنه لما أبهم في قوله : وجعلنا لكل إنسان موالى ، يبد أن ذلك الإنسان الذي جعل له ورثة هو الوالدان والأقربون ، فأولئك الوراث يرثون مما ترك والداهم وأقربوهم ، ويكون الوالدان والأقربون موروثين ، وعلى هذين الوجهين لا يكون في « جعلنا » مضمر محذوف ، ويكون مفعول « جعلنا » لفظ « موالى » ، والكلام جملتان • ولعل فك التلاسم أسهل من هذه الوجوه المتداخلة ، فالكلام معجز ، والقواعد جاءت تابعة للغة . فهي مها امتدت وتوسعت لا تعم ولا تشمل جميع تراكيبها •

رأى وجهه للشوكاني :

وبعد كتابة ما تقدم وقعت على رأى وجهه للشوكاني ، فأحببت أن أختتم به البحث عن هذه الآية العجيبة ، قال : « أي جعلنا لكل إنسان ورثة موالى يلون ميراثه ، « لكل » مفعول ثان قدم على الفعل لتأكيد الشمول ، وهذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها ، أي ليتبع كل أحد ما قسم الله له من الميراث ولا يتمن ما فضل الله له غيره عليه •

ولكنها مبتسرة ظاهرة التلفيق ، كأنما ضاق ذرعاً بعد ما حام حول
الحسى ، ولم يقع فيه ، وكلام الله أوسع من أن تحدّه الحدود ، أو تكتنه
مطاويه الأذهان فتأمل ..

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ
أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ *
وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
مُخَنًّا فَخُورًا ﴾ (٢٥)

اللفظة :

(الشقاق) : الخلاف . وسمي الخلاف شقاقاً لأن المخالف يفعل
ما يشقّ على صاحبه ، أو لأن كل واحد منهما قد صار في شق ، أي
جانب .

(الجنب) بضمّين : البعيد الجوار والأجنبي ويستوي فيه المذكر
واللؤث والمفرد والمثنى والجمع ، قال :

لا يجتوينا مجاور أبداً ذو رحم أو مجاور جنب

(الصاحب بالجنب) بفتح الجيم وسكون النون هو الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر ، فإنه صاحبك ، وهو بجانبك دائماً .

(ابن السيل) : المسافر والمنقطع في سفرة .

(المختال) : التّيّاه المتكبر ، وأصل ألفه ياء ، ومنه الخيل لأنها تختال في مشيتها مرحاً .

الاعراب :

(وإن ختم شقاق بينهما) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة أولي الأمر بشأن الخلاف بين الزوجين . وإن شرطية وختم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وشقاق مفعول به وبينهما مضاف إليه أضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع ، وأصله : شقاقاً بينهما ، فأضيف على حدّ قوله : « بل مكر الليل والنهار » وأصله : بل مكر في الليل والنهار ، أو على أن جعل البين شاقاً ، والليل والنهار ما كرّين ، على حدّ قولهم : نهارك صائر والضمير في بينهما للزوجين وإن لم يجر لها ذكر لجري ذكرها يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) الفاء رابطة لجواب الشرط وابعثوا فعل أمر وفاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط وحكماً مفعول به ومن أهله جار ومجرور متعلقان بسحذوف صفة ، وحكماً من أهلها عطف على ما تقدم (إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما) الجملة مستأنفة وإن شرطية ويريدا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والألف فاعل وإصلاحاً مفعول به ويوفق الله جواب الشرط والجملة لا محل لها وبينهما ظرف متعلق

بيوفق (إن الله كان عليماً خبيراً) ان واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن والجملة تعليلية لا محل لها . (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان حقوق الأبوين والأقارب والجيران وما الى ذلك . واعبدوا فعل أمر والواو فاعله والله مفعوله ولا تشركوا عطف على ما تقدم وبه متعلقان بتشركوا وشيئاً مفعول به أي شيئاً من الأشياء أو مفعول مطلق أي شيئاً من الإشراك (وبالوالدين إحساناً) الواو عاطفة وبالوالدين جار ومجرور متعلقان بفعل المصدر المحذوف وإحساناً مفعول مطلق أي أحسنوا بهما إحساناً (وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب) كلها معطوفة وبالجنب متعلقان بمحذوف حال (وابن السبيل) عطف أيضاً (وما ملكت أيمانكم) ما اسم موصول معطوف على ما تقدم وجملة ملكت أيمانكم صلة الموصول (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) إن واسمها ، وجملة لا يحب خبرها ومن اسم موصول مفعول به وجملة كان صلة واسم كان مستتر ومختالاً خبر كان الاول وفخوراً خبرها الثاني .

الفوائد :

ثم يأت في الشرع ما يفيد أن الجار هو الذي بينه وبين جاره مقدار معين ، ولا ورد في لغة العرب ما يفيد ذلك ، بل المراد بالجار في اللغة المجاور ويطلق على معان : منها الجار والمجرور والذي أجرته من أن يظلم ، والمجير والمستجير والشريك في التجارة ، وزوج المرأة وهي جارته ، وفرج المرأة ، وما قرب من المنازل ، والاسم . وروي أن رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني نزلت محلة قوم ، وإن أقربهم إليّ جواراً أشدهم لي

أذى ! فبعث النبي أبا بكر وعمر وعليّاً يصيحون على أبواب المساجد :
 ألا إن أربعين داراً جار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه •
 وقرىء ، والجار ذا القربى نصباً على الاختصاص تنبيهاً على عظم حقه •

﴿ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (٢٧)

اللفظة :

(البخل) معروف • وفيه أربع لغات : فتح الباء والخاء ، وضمهما ،
 وفتح الباء وسكون الخاء ، وضم الباء وسكون الخاء ، وهي أشهرها ،
 وبها قرأ جمهور الناس • وقرىء أيضاً باللغات الثلاث الآتية الذكر •

الاعراب :

(الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل) كلام مستأنف مسوق
 للنهي عن البخل وذمه • والذين مبتدأ خبره محذوف تقديره : جديرون
 بكل ذم وملامة • ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف أي : هم الذين •
 وقيل : هي بدل من « مَنْ كَانَ » فتدخل في نطاق ما قبلها وقيل في
 محل نصب على الذم فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره : أذم وجملة
 يخلون صلة الموصول ويأمرون الناس عطف على يخلون وبالبخل
 متعلقان بيأمرون • (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الواو عاطفة

ويكتسبون عطف على ييخلون والواو فاعله وما مفعوله وجملة آتاهم الله صلة ومن فضله متعلقان بآتاهم (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) الواو استئنافية وأعتدنا فعل وفاعل وللکافرين جار ومجرور متعلقان بأعتدنا وعذاباً مفعول به ومهيناً صفة .

البلاغة :

في قوله « للكافرين » وضع الظاهر موضع المضمر للتنويه بأن من كان هذا ديدنه فهو كافر بنعمة الله ، ومن كان كافراً بنعمته تعالى فله عذاب يسره بالميسم الذي يتسم به الكفار . وقد ألمع الى هذا الميسم شعراؤنا ، فقال بشار بن برد :

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

وللزمخشري قمر جميل في وصف البخل تقتبس منه الفقرات التالية : « ولقد رأينا ممن بثلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله ، وكسرت خزائمه ، ضجراً من ذلك ، وحسرة على وجوده » .

﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝٢٨﴾

اللفظة :

(الرِّئَاء) والرياء : الإتيان للتباهي والتفاخر .

الاعراب :

(والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) انواو عاطفة والذين عطف على الذين السابقة وجملة ينفقون صلة الموصول وأموالهم مفعول به ورثاء الناس حال مؤولة أي مرأين ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله ، أي : ليقال : ما أسخاهم ! وهو أظهر من الحال ، وقد توفرت فيه شروط النصب (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) عطف على ما تقدم وسيأتي سر تكرير لا في باب البلاغة (ومن يكن الشيطان له قريناً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويكون فعل الشرط وله متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « قريناً » وقريناً خبر يكن (فساء قريناً) الفاء رابطة لجواب الشرط ، لأن ساء هنا فعل ماض جامد لإنشاء الذم والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » وقريناً تمييز مفسر للفاعل ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره : « هو » العائد على : « الشيطان » . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

في تكرير « لا » النافية فن التكرير ، وكذلك الباء للإشعار بأن كلاهما منها منتف على حدته . فاذا قلت : لا أكرم زيداً وعمراً ، كان الكلام محتملاً هي الكرم عن المجموع ، ولا يلزم منه هي الكرم عن كل واحد منهما ، واحتمل فيه عنهما معاً . فاذا قلت : « ولا عسراً » تعين هي الكرم عنهما معاً .

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ
 اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ
 حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً ﴾

اللفظة :

(المِثْقَال) : ما يوزن به ثقيل كان أو كثيراً . ومِثْقَالُ الشَّيْءِ
 وزنه أو ميزانه ، والجمع مِثَاقِيل . والمِثْقَالُ عَرَقًا يساوي درهماً ونصف
 درهم ، وربما زاد على ذلك أو نقص شيئاً .

الأعراب :

(وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الواو استئنافية وماذا
 تقدم القول : إن لنا في إعرابها وجهين ، أحدهما : أن تجعل « ما »
 استفهامية في محل رفع مبتدأ و « ذا » موصولة هنا خاصة خبر « ما » ،
 وعندئذ يكون « عليهم » متعلقين بمحذوف صلة الموصول . وثانيهما :
 أن تجعل ماذا كلها اسماً للاستفهام مبتدأ وعليهم متعلقان بمحذوف
 خبر . والمراد بالاستفهام هنا التوبيخ والذم والإنكار . ولو شرطية
 وآمنوا فعل الشرط والجواب محذوف والتقدير فماذا يضرهم ذلك ؟
 وهو تركيب متداول تقول للمنتقم : ما ضرك لو عفوت ؟ وللعاق :
 ما يرزؤك لو كنت باراً بوالديك ؟ وقد علم أنه لا مضرّة ولا مرزاة

في العفو والبر ، ولكنه لمحض التوبيخ والذم . ويجوز أن تكون « لو » مصدرية والمصدر المؤول من « لو » والفعل منصوب بنزع الخافض أي : وماذا عليهم في إيمانهم . وبالله متعلقان بآمنوا واليوم عطف على لفظ الجلالة والآخر صفة (وأنفقوا مما رزقهم الله) عطف على آمنوا ومما متعلقان بأنفقوا وجملة رزقهم الله صلة الموصول (وكان الله بهم عليماً) الواو استئنافية وكان واسمها وبهم جار ومجرور متعلقان بعليماً وعليماً خبر كان (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) كلام مستأنف مسوق ليكون توطئة لذكر الجزاء على الحسنات والسيئات . وإن واسمها ، وجملة لا يظلم خبرها ومثقال ذرة صفة لمصدر محذوف أي : ظلماً مثقال ذرة . وقيل : ضمن « يظلم » معنى فعل يتعدى لاثنين ، فانتصب « مثقال » على أنه مفعول به ثان ، والثاني محذوف ، والتقدير : لا ينقص أو لا يبخل أحداً مثقال ذرة . والأول أسهل وأقل تكلفاً (وإن تك حسنة يضاعفها) الواو عاطفة وإن شرطية وتك فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة من مضارع كان المجزوم للتخفيف ، وقد تقدم بحثه . واسم تك يعود الى المثقال ، وأنه لأنه أضيف الى ذرة وقد تقدم بحثه . وحسنة خبر « تك » ويضاعفها جواب الشرط والهاء مفعول به (ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) ويؤت عطف على يضاعفها ومن لدنه جار ومجرور متعلقان بيؤت أو بسحذوف حال لتقدمه على الموصوف وأجراً مفعول به وعظيماً صفة .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ

شَهِيدًا ۖ يَوْمَئِذٍ يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ

الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۖ ﴾

الاعراب :

(فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) الفاء استئنافية وكيف اسم استفهام ، وهي في مثل هذا التركيب تحتل وجهين لا ثالث لهما ، وهما أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : كيف حالهم ؟ وثانيهما أن تكون حالاً من محذوف ، أي : كيف يصنعون ؟ وإذا ظرف زمان متعلق بهذا المحذوف وجملة جئنا في محل جر بالإضافة ومن كل متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهيد وتقدمت عليه ، وبشهاد متعلقان بجئنا . وهناك وجه ثالث حكاه ابن عطية عن مكّي ، وهو أن « كيف » معمولة لجئنا ، (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) الواو عاطفة وجئنا فعل وفاعل وهما عطف على جئنا الأولى ولك جار ومجرور متعلقان بجئنا وعلى هؤلاء متعلقان بـ « شهيداً » وشهيداً حال (يومئذ يودّ الذين كفروا) الظرف متعلق بيودّ وإذا ظرف مضاف إلى الظرف والظرف والتنوين عوض جملة ، والتقدير : يوم إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يودّ الذين كفروا . وجملة يودّ مستأنفة وجملة كفروا صلة (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) الواو عاطفة وعصوا الرسول عطف على كفروا ولو مصدرية بعد فعل الودادة مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول به ليود ، أي يتمنون تسوية الأرض بهم بحيث يدفنون فيها ، والأرض نائب فاعل لتسوى (ولا يكتُمون الله حديثاً) عطف على « يود » ويجوز أن تكون للاستئناف ويكتُمون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والله منصوب بنزع الخافض وحديثاً مفعول به ، أي : لا يكتُمون عن الله حديثاً . وأجاز قوم أن يكون لفظ الجلالة مفعولاً به ليكتُمون ، لأنه في رأيهم يتعدى لاثنتين .

الفوائد :

التنوين اللاحق بالظروف المضافة مثل : يومئذ وحينئذ وعندئذ ، يسمى نون التعويض ، لأنه عوض عن جملة كسا رأيت في باب الاعراب ، فيلتقي ساكنان ذال « إذ » والتنوين ، فتكسر الذال على أصل التقاء الساكنين ، وليست هذه الكسرة كسرة إعراب ، لأن « إذ » ملازمة للبناء ، وليست الاضافة في « يومئذ » ونحوها من إضافة أحد المترادفين ، بل من إضافة الأعم إلى الأخص ، كشجر أراك .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٤٣)

اللفظة :

(جنباً) معروف ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجنب ، وهذا هو المشهور في اللغة والفصح ، وبه جاء القرآن . وقد جمعوه جمع سلامة بالواو والنون رفعاً وبالياء والنون نصباً وجراً ، فقالوا : قوم جنبون ، وجمع تكسير فقالوا : قوم أجناب ، وأما تشية فقالوا : جنبان .

(الغائط) : في الأصل البطن الواسع من الأرض المطمئن . وكان الرجل إذا أراد قضاء حاجة أتى غائطاً من الأرض، فقليل لكل من أحدث: تغوط ، استحياء من ذكر الحدث .

(الصعيد) : التراب : والتيمم بالصعيد أصله التعمد ، يقال : تيممتك وتأممتك وأمتك ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب . والأصل في ذلك كله وجه الأرض الخالية من النبات والغروس والبناء المستوية ، ومنه قول ذي الرمة :

كأنه بالضحي ترمي الصعيد به دبابه في عظام الرأس خرطوم

يعني ترمي به وجه الأرض .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعراب ظائرها (لا تقربوا الصلاة وأتمسكوا) كلام مستأنف مسوق للنهي عن الصلاة في حال السكر، ولا ناهية وتقربوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والصلاة مفعول به وأتمسكوا الواو للحال وأتم مبتدأ وسكروا خبره (حتى تعلموا ما تقولون) حتى حرف غاية وجر وتعلموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وما اسم موصول مفعول به ، ويجوز أن تكون ما مصدرية والمصدر المؤول مفعول به . وأن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتقربوا (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) عطف على قوله وأتمسكوا ، فانها جملة محلها النصب على الحال من فاعل تقربوا ، كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة سكراً

ولاجنباً . وإلا أداة حصر عابري سبيل استثناء من عامة أحوال المخاضين ، فهو منصوب على الحالية ، وجمع بين الحالين للدلالة على أن هناك حالين ، كأنه قيل : لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي السفر ، وعبور السبيل عبارة عن السفر ، و « حتى تغتسلوا » مثل : « حتى تعلموا » فهي متعلقة بفعل النهي (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتم كان فعل ماض فاقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومرضى خبرها وأو حرف عطف وعلى سفر الجار والمجرور في محل نصب عطفاً على مرضى (أو جاء أحد منكم من الغائط) أو حرف عطف وجاء معطوف على ما تقدم وأحد فاعل ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد ومن الغائط متعلقان بجاء (أو لامستم النساء) عطف أيضاً فالداخلون في حكم الشرط أربعة ، وسيأتي مزيد من البيان حول هذه الأحكام في سورة المائدة ، وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة (فلم تجدوا ماء) الفاء عاطفة والجملة عطف على كنتم (فتيمموا صعيداً طيباً) الفاء رابطة لجواب الشرط وتيمموا فعل أمر والواو فاعل وصعيداً مفعول به وطيباً صفة وجملة فتيمموا في محل جزم جواب الشرط (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الفاء عاطفة وامسحوا عطف على تيمموا وبوجوهكم متعلقان بامسحوا . حكى سيبويه : مسحت رأسه وبرأسه . وأيديكم عطف على وجوهكم . وقال بعض النحاة : الباء للتبعية ، وجعلوا منه قوله تعالى : « عينا يشرب بها عباد الله » ، وقول عمر بن أبي ربيعة :

فلثمت فاهاً أخذاً بقرونها شرب التزيف يبرد ماء الحشرج

وقال آخرون : هي للاستعانة . وكل ذلك سائغ (إن الله كان عفواً غفوراً) إن واسمها ، وكان واسمها وخبرها خبر إن .

البلاغة :

١ - الكناية بقوله : من الغائط ، فقد كنّى عما يستهجن ذكره .
وبالملازمة عن الجماع ، في أحد القولين . وسيرد هذا مفصلاً في المائدة .

٢ - الالتفات في قوله : « أو جاء أحد » فقد التفت من الخطاب إلى الغيبة ، لأنه كناية عما يستحيا من ذكره ، فلم يخاطبهم به . وهذا من محاسن الكلام .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۚ ﴾ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۚ ﴾ (٤٥) الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرُ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِبِأٍ بِالسِّتِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَّوْا أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ ﴾ (٤٦)

اللمة :

(هادوا) : رجعوا ، والمراد بهم أحبار اليهود .

(الكلم) : جمع كلمة ، وتحريف الكلم بمعنى إحالته عن مواضعه وإزالته ، لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلمة غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها .

(راعنا) : قيل : هي عريية ، ومعناها انتظرتنا وارقبنا ، وقيل هي كلمة شبه عبرية أو سريانية كانوا يتسابتون بها ، وهي : راعينا وفي هذا منتهى النذالة والخسة أن تسب غيرك بلسان لا يعرفه .

(ليّا) : قتلا بالسنتهم وصرفاً للكلام عن نهجه الأصلي الى السب والشتم . وكان اليهود يقولون لأصحابهم : إنما نشتمه ولا يعرف ، ولو كان نبياً لعرف ذلك . فأطلعه تعالى على ما يججمون به وما ينم على الخبث وسوء الطوية .

الاعراب :

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتحذير المؤمنين من موالاة اليهود . والهمزة للاستفهام ولم حرف نهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية بمعنى العلم : وعُدّي يالى ، بمعنى : ألم ينته عليك اليهم ، أو بصرية بمعنى ألم تنظر اليهم فإنهم جديرون بأن تشاهدكم وتدرجهم في حيز الامور المرئية ، وجملة أوتوا صلة والواو فاعل ونصيباً مفعول به ثان ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « نصيباً » (يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) جملة يشترون مفعول به لـ « تر » إن كانت قلبية ، وحال إن كانت بصرية ، والواو فاعل والضلالة مفعول به . ومعنى اشتراء الضلالة استبدالها بعد وضوح

الآيات المبينة . وقد تقدم القول في اشتراء الضلالة . ويريدون عطف على يشترون وأن وما في حيزها مصدر مثول مفعول به ليريدون والسبيل مفعول تضلوا (والله أعلم بأعدائكم) الواو حالية والله مبتدأ وأعلم خبر وبأعدائكم متعلقان بأعلم والجملة في محل نصب حال (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) تقدم القول في كفى وزيادة الباء في فاعلها أو مفعولها ، وهنا زيدت في الفاعل ، وولياً ونصيراً تمييزان أو حالان . (من الذين هادوا يحرفون الكلم) كلام مستأنف مسوق لإيراد صورة خبيثة عن اليهود أثناء محاورتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لمبتدأ محذوف ثابت عنه صفته ، وهي جملة « يحرفون الكلم » والتقدير : من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم . وقيل : من الذين هادوا خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هم من الذين هادوا ، وجملة يحرفون حال من ضمير هادوا . وقيل « من الذين » حال من « أعدائكم » مبينة له ، وما بينهما اعتراض ، والأول أرجح . وسيرد لابن هشام رأي واضح . (عن مواضعه) متعلقان يحرفون (ويقولون : سمعنا وعصينا) جملة يقولون عطف على يحرفون وجملة سمعنا مقول القول وجملة وعصينا عطف على جملة سمعنا (واسمع غير مسمع) عطف على سمعنا منتظم في ضمن مقولهم : أي ويقولون ذلك أثناء مخاطبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وغير مسمع ، حال من المخاطب . وهذه الكلمة من الكلام الموجه لما سيأتي في باب البلاغة (وراعنا لئلا بالسنتهم وطعنا في الدين) عطف على اسمع ، ولئلا بالسنتهم نصب على الحال أو مفعول لأجله أو مفعول مطلق وطعنا عطف على « لئلا » وفي الدين متعلقان بطعنا (ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا) الواو حالية أو استئنافية والجملة حالية أو مستأنفة ولو شرطية وأن وما بعدها فاعل لفعل

محذوف أي : لو ثبت قولهم ، وجملة قالوا خبر أن وجملتا سمعنا وأطعنا من مقول قولهم (واسمع واقظرونا) عطف على المقول منتظم في ضمته . ومعنى اظظرونا أي اظظروا إلينا ، بدل راعنا المنطوية على الخسة كما تقدم في باب اللغة (لكان خيراً لهم وأقوم) اللام رابطة لجواب لو وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وخيراً خبرها ولهم متعلقان بخيراً وأقوم عطف على « خيراً » (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) الواو حالية ولكن حرف استدراك مخفف مهمل ولعنهم الله فعل ومفعول به وفاعل والفاء عاطفة ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وقليلًا صفة مفعول مطلق أي : إلا إيماناً قليلاً . ويجوز أن يكون : قليلاً منهم ، فيكون مستثنى من الواو في يؤمنون .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على فن فريد نسيه : الإبهام أو الكلام الموجه أو المحتمل للضدين ، وهو الاتيان بكلام يحتمل معنيين متضادين بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر ، وهو قوله : « واسمع غير مسمع » فهو ذو وجهين :

١- وجه يحتمل الذم : أي استمع منا مدعواً عليك بلا سمعت ، أي : أصابك الله بالصمم الموت . ولعله هو المراد هنا لما اظظروا عليه من خسة .

٢- ووجه يحتمل المدح : أي اسمع غير مسمع مكروهاً . ومن هذا الكلام الذي هو أشبه بأخذه السحر لا يملك معها البليغ أن يأخذ

أو يدع قول النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» فهو يشتمل على معنيين متضادين ، أحدهما : أن المراد به المدح ، أي : إذا لم تفعل فعلاً يستحيا منه فافعل ما شئت ، لأنك آمن من مغبته . والآخر أن المراد به الذم ، أي : إذا لم يكن لك حياء يردعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ما شئت ، لأنك بلغت أدنى دركات المهانة . وهذان معنيان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذم .

الكلام الموجه في شعر أبي الطيب المتنبي :

وهنا يحسن بنا أن ندرج فصلاً من روائع أبي الطيب المتنبي في أماديحه لكافور ، فقد كان يتعمد هذا اللون من الكلام كقوله من قصيدة فيه ، أولها :

عدوك مذموم بكل لسانٍ ولو كان من أعدائك القمرانِ
ولله سرٌّ في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهديان

ثم قال بعد ذلك :

فمالك تُعنى بالأسنة والقنا وجدك طعانٌ بغير لسان ؟

فإن هذا الكلام أشبه بالذم منه بالمدح ، لأنه يقول : لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظ وسعادة ، وهذا لا فضل لك فيه ، لأنه إذا كان حظه هو السبب في تقدمه فما قيمته ؟ وما شأنه ؟ وما أهون أمره !! وما أقل خطره !! ولأن السعادة قد تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها . وقد كان أبو الطيب يجنح الى استعمال هذا الضرب من القول في قصائده الكافوريات .

وحكى أبو الفتح بن جنّي قال : قرأت على أبي الطيب ديوانه
الى أن وصلت الى قصيدته التي أولها : أغلب فيك الشوق والشوق
أغلب ، فأتيت منها على هذا البيت وهو :

وما طربي لما رأيته بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب
فقلت له : يا أبا الطيب ، ما زدت على أن جعلته أبا زنة ! وهي كنية
القرء ، فضحك .

نماذج من الابهام :

ومن طريف الابهام ما يحكى من أن بعض الشعراء هنا الحسن
ابن سهل باتصال بنته بوران بالأمون مع من هنا من الشعراء ، فاثاب
الناس كلهم وحرمه . فكتب إليه : إن تساديت في حرمانى عملت فيك
بيتاً لا يعلم أحد أمدحتك فيه أم هجوتك ؟ فأحضره وقال له :
لا أعطيك أو تفعل . فقال :

بـارك الله للحسن ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ت ولكن بنت من ؟

فلم يعلم أراد بقوله : بنت من ؟ في العظيمة أم في الدناءة ؟
فاستحسن الحسن منه ذلك وسأله هل ابتكرت ذلك ؟ فقال : لا بل
نقلته من شعر بشار بن برد ، اتفق أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه
زيد ، فقال له الخياط : على سبيل العبث به : سأتيك به لا تدري أهو
قباء أم جبة ؟ فقال له بشار : إن فعلت ذلك لأظمن فيك بيتاً لا يعلم
أحد ممن سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ؟ فلما خاطه قال بشار :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

- فما علم أحد أن العين الصحيحة تساوي العوراء أو العكس .
- والحديث في الإبهام يطول ، وسيرد المزيد منه في هذا الكتاب العجيب .

الفوائد :

أورد ابن هشام في المغني شاهداً على الاعتراض بأكثر من جملتين ، قال بعد أن أورد الآيتين الآتيتين : إن قدر « الذين هادوا » بياقاً للذين أوتوا وتخصيصاً لهم ، إذا كان اللفظ عاماً في اليهود . والمعتراض به على هذا التقدير جملتان ، وعلى التقدير الأول ثلاث جمل ، وهي : والله أعلم . وكفى بالله ، مرتين ، وأما « يشترون » و « يريدون » فجملتان تفسير لمقدر ، إذ المعنى : ألم تر إلى قصة الذين أوتوا ، وإن عقلت « من » بـ « نصير » مثل ونصرفاه من القوم ، أو بخبر محذوف على أن « يحرفون » صفة لمبتدأ محذوف ، أي قوم يحرفون ، كقولهم : منا ظمن ومنا أقام ، أي : منا فريق ، فلا اعتراض البتة .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا قَرَرَدَهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝٤٧﴾

اللفظة :

- (نطمس وجوهاً) : نمحو تخطيط معالمها وصورها .

(على أدبارها) أي نجعلها كالأقواء ، كاللوح المنسوب الباهت حتى لا تبين ولا تتضح لرائيها .

الاعراب :

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب) تقدم إعرابه (آمِنُوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم) كلام مستأنف مسوق للتحذير مما أعدَّ لليهود بعد تحريثهم الكلم من مسخ وتشويه . وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة وبما متعلقان بآمنوا وجبلة نزلنا صلة الموصول ومصدقاً حال ولما متعلقان بمصدقاً ومعكم ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، أي : مصداقاً للذي استقر معكم (من قبل أن نطس وجوهاً فردناها على أدبارها) من قبل جار ومجرور متعلقان بآمنوا وأن نطس مصدر مؤول في محل جر بالاضافة وجوهاً مفعول به فردها : الفاء حرف عطف وزردها عطف على نطس منصوب مثله والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وعلى أدبارها جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع المفعول الثاني لزردها ، وقيل بمحذوف حال . ولا أرى داعياً لذلك الاعراب (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أو حرف عطف ونلعنهم عطف على « نطس وجوهاً » أو « زردها » وذكر الضمير وجنعه جمع العقلاء لأنه أرجعه الى أصحاب الوجوه كما سيأتي في باب البلاغة . وكما لعنا متعلقان بمحذوف مفعول مطلق . وقد تقدمت له ظائر . وما مصدرية ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل لـ « لعن » والمصدر المؤول في محل نصب مفعول مطلق أو حال وأصحاب السبت مفعول (وكان أمر الله مفعولاً) الواو استئنافية أو حالية وكان واسمها وخبرها ، والجملة لا محل لها أو في محل نصب حال .

البلاغة :

١ - في هذه الآية مجاز مرسل بذكر الوجوه وإرادة أصحابها ،
والعلاقة الكلية .

٢ - الإبهام في تنكير الوجوه ، تلطفاً بالمخاطبين ، وتهويلاً للأمر
العظيم الذي يثير الخوف ، وقد اختلفوا في معنى التهديد وما المراد به
في الآية ، هل هو حقيقة فيجعل الوجه كالقفا ، ويذهب الأنف والحاجب
والعين والأذن ، وتلك ظلمات بعضها فوق بعض ، أم المراد سلبهم
التوفيق وحرمانهم اللطف ؟ ذهب إلى الأول قوم ، وإلى الآخر آخرون ،
واقطر المطولات .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ
أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩ أَنْظِرْ كَيْفَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠﴾

اللفظة :

(يزكون أنفسهم) : يصفونها بزكاة العمل والطاعة ، وزيادة العبادة
والاخلاص .

(فتيلاً) الفتيل : السّحاة في شقّ النّواة ، وما قتله بين أصابعك من الوسخ • يقال : ما أغنى عنك فتيلاً أي : شيئاً بقدر الفتيل • وقد ضربت العرب المثل في القلة بأربعة أشياء اجتمعت في النواة ، وهي الفتيل والنقير وهو النقرة التي في ظهر النواة ، والقطير وهو القشر الرقيق فوقها ، وهذه الثلاثة واردة في القرآن الكريم ، والرابع هو المعروف وهو ما بين النواة والقمع الذي يكون في رأس الشرة كالعلاقة بينهما •

الاعراب :

(إن الله لا يغفر أن يشرك به) كلام مستأنف مسوق لبيان ما تستحيل المغفرة بدونه • وإن واسمها ، وجملة لا يغفر خبرها وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به ليغفر وبه متعلقان يشرك • وذكر الفراء في كتابه معاني القرآن أنه منصوب بنزع الخافض الذي كان يخفّضها لو كان ظاهراً ، وعلى كل حال فالجار والمجرور متعلقان بيغفر (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الواو عاطفة ويغفر معطوف على المنفي فهو مثبت ، والأحسن أن تكون استئنافية ويغفر مستأنف مرفوع دفْعاً للالتباس ، وما اسم موصول مفعول به ودون ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول وذلك مضاف إليه والاشارة للاشراك المفهوم من يشرك ولن متعلقان بيغفر وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويشرك فعل الشرط وبالله متعلقان يشرك فقد الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وافترى فعل ماض وإثماً مفعول به وعظيماً صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب

الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) كلام مستأنف مسوق للتعجب من ادعائهم أنهم أزكيا عند الله مع ما هم متلبسون به من الكفر ، حيث قال اليهود : نحن أحباء الله . والهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف هي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والى الذين متعلقان بتر وجملة يزكون أنفسهم صلة الموصول (بل الله يزكي من يشاء) بل حرف إضراب وعطف والله مبتدأ وجملة يزكي خبره ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء صلة الموصول (ولا يظلمون فتيلاً) الواو عاطفة ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهو معطوف على محذوف تقديره : فهم يثابون ولا يظلمون ، وفتيلاً نائب مفعول مطلق أي ظلماً بقدر الفتيل ، فهو مثل مثقال ذرة . ويجوز أن يعرب مفعولاً ثانياً على تضمين يظلمون معنى ينقصون . وقد تقدم هذا الإعراب في مثقال ذرة (اظفر كيف يفترون على الله الكذب) الجملة مستأنفة واظفر فعل أمر وكيف اسم استفهام في محل نصب حال أو مفعول مطلق ولعل الثاني أرجح ، ويفترون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة الاستفهام في محل نصب مفعول اظفر ، لأن اظفر متعلقة بالاستفهام ، وعلى الله متعلقان يفترون والكذب مفعول به أو مفعول مطلق لأنه مرادف العامل يفترون ، فالكذب والافتراء من واد واحد (وكفى به إثماً مبيناً) الواو استئنافية وكفى فعل وبه الباء حرف جر زائد والهاء مفعول كفى محلاً والفاعل ضمير مستتر مفسر بنكرة وهو قوله إثماً فائثاً تمييز ومبيناً صفة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحُبِّ

وَالطَّافُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
 أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ
 إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

اللفظة:

(الجبت) : الصنم ، وكل ما عبد من دون الله .

(الطاغوت) : الساحر . وقد نسجت حولها أساطير كثيرة
 تجدها في المطولات .

الاعراب:

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق
 للحديث عن كعب بن الأشرف وغيره من اليهود ، عندما قدموا مكة ،
 وشاهدوا قتلى بدر ، وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ، ومحاربة
 النبي صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم اعراب ظائره قريباً . ونصيباً
 مفعول أوتوا الثاني ومن الكتاب متعلقار بمحذوف صفة لنصيباً
 (يؤمنون بالجبت والطاغوت) جملة يؤمنون حال من « الذين » أو
 من الواو في أوتوا وإذا كانت الرؤية قلبية فمحلهما النصب على أنها

مفعول به ثانٍ لـ « تر » العلمية (ويقولون للذين كفروا) الواو حرف عطف ويقولون عطف على يؤمنون وللذين متعلقان ويقولون وجملة كفروا صلة الموصول (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) الجملة في محل نصب مقول قولهم وهؤلاء اسم إشارة مبتدأ وأهدى خبره ومن الذين جار ومجرور متعلقان بأهدى وجملة آمنوا صلة الموصول وسبيلاً تمييز (أولئك الذين لعنهم الله) جملة مستأنفة لبيان حالهم وحقيقة أمرهم . وأولئك مبتدأ والذين خبر اسم الإشارة وجملة لعنهم صلة الموصول (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) الواو استئنافية ومن شرطية مفعول به مقدم ليلعن ويلعن فعل الشرط مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، وقد سماه الجلال رحمه الله فقدر ضميراً منصوباً ، وفاته أن لفظ القرآن لا يجوز التلاعب به . والله فاعل والفاء رابطة ولن حرف نهي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب بلن والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وله جار ومجرور متعلقان بنصيراً ، ونصيراً مفعول به لتجد . وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

(أم لهم نصيب من الملك) أم عاطفة منقطعة بمعنى بل فهي عطف للإضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرها إلى ذمهم بشيء آخر ، وهو ادعائهم بأن لهم نصيباً من الملك . ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ونصيب مبتدأ مؤخر ومن الملك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب (فإذا لا يؤتون الناس نقيراً) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر ، أي : إذا جعل لهم نصيب من الملك فإذا . وإذا حرف جواب وجزاء وقد أهملت لوقوعها بعد حرف العطف على الأفصح كما سيأتي في باب الفوائد ، ولا نافية

ويؤتون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والناس مفعول به أول وتقيراً مفعول به ثانٍ (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أم حرف عطف وإضراب بمعنى بل ، وهي للشروع في الصفة الثانية من قبائحهم ، ويحسدون فعل مضارع مرفوع والناس مفعول به وعلى ما آتاهم جار ومجرور متعلقان بيحسدون وجملة آتاهم صلة والله فاعل ومن فضله متعلقان بآتاهم (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) الفاء تعليلية ، كأنها تعليل للانكار والاستقباح ، وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وآل إبراهيم مفعول به أول والكتاب مفعول به ثانٍ والحكمة عطف على الكتاب (وآتيناهم ملكاً عظيماً) عطف على ما تقدم .

الفوائد :

(إذن) أحد الأحرف التي تنصب الفعل المضارع بأنفسها ، وما عداها فيإضمار أن معها ، وهي : أن لن إذن كي . أما إذن فحرف ناصب لاختصاصه ونقله الفعل الى الاستقبال ، وهي حرف جواب وجزاء ، ولها ثلاثة أحوال :

١ - أن تدخل على الفعل في ابتداء الجواب فهذه يجب إعمالها نحو قولك : إذن أكرمك ، في جواب : أنا أزورك .

٢ - أن يكون ما قبلها واواً أو فاء ، فيجوز إعمالها وإلغاؤها باعتبارين مختلفين ، وذلك نحو قولك : زيد يقوم وإذن يذهب ، فيجوز ها هنا الرفع والنصب باعتبارين مختلفين ، وذلك أنك إن عطفت : « وإذن يذهب » على « يقوم » الذي هو الخبر ألغيت « إذن » من العمل وصار بمنزلة الخبر ، لأن ما عطف على شيء صار واقعاً موقعه ،

فكأنك قلت : « زيد إذ نذهب » فيكون قد اعتمد ما بعدها على ما قبلها لأنه خبر المبتدأ ، وإن عطفته على الجملة الأولى كانت الواو كالمستأنة وصار في ابتداء كلام فاعمل لذلك ونصب به .

٣ - وأما الحالة الثالثة فإن تقع متوسطة ، معتمداً ما بعدها على ما قبلها ، أو كان الفعل فعل حال غير مستقبل ، في جواب من قال : « أنا أزورك أنا إذن أكرمك » فترفع هنا لأن الفعل بعدها معتمد على المبتدأ الذي هو « أنا » . وكذلك لو قلت : « إن تكرمني إذن أكرمك » فتجزم لأن الفعل بعد « إذن » معتمد على حرف الشرط . وهناك تفاصيل يرجع إليها في كتب النحو .

﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلًّا نَضْجَتِ جُلُودُهُمْ
 بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

الاعراب :

(فمنهم من آمن به) الفاء استئنافية للتفريع ومنهم جار ومجرور متعلقان بسحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة آمن صلة الموصول وبه جار ومجرور متعلقان بآمن (ومنهم من صد عنه) عطف على ما تقدم (وكفى بجهنم سعيراً) الواو استئنافية وكفى فعل ماض والباء حرف زائد وجهنم مجرور بالباء لفظاً مرفوع محلاً على

أنه فاعل كفى وسعيماً تمييزاً أو حال (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً) إن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وبآياتنا متعلقان بكفروا وسوف حرف استقبال ونصليهم فعل مضارع والهاء مفعوله الأول وناراً مفعوله الثاني وجملة سوف نصليهم ناراً خبر إن وجملة إن وما في حيزها مستأنفة (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) الجملة حال من الضمير المنصوب في « نصليهم » ولك أن تجعلها صفة لـ « ناراً » ولا بد من تقدير عائد محذوف ، أي : كلما نضجت جلودهم فيها . وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق ببدلناهم وجملة نضجت جلودهم في محل جر بالاضافة اذا اعتبرت ما زائدة وإن كانت موصولة حرفياً فلا محل لها وجملة بدلناهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . وبدلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وجلوداً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وغيرها صفة لجلوداً (ليذوقوا العذاب) اللام للتعليل والجر ويذوقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والعذاب مفعوله والجار والمجرور متعلقان ببدلناهم (إن الله كان عزيزاً حكيماً) إن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان ضمير مستتر تقديره هو ، وعزيزاً خبر كان الأول وحكيماً خبرها الثاني .

البلاغة :

الاستعارة المكنية التخيلية في قوله « ليذوقوا العذاب » فقد حذف المشبة ، واستعار شيئاً من لوازمه وهو الذوق ، والمراد بالذوق هنا ديمومه ، مع ما يصحبه من الاستكراه والألم الذي لا يوصف ، ولا مزية في أن استمرار ذوق العذاب مع بقاء الأبدان حية مصونة فيه

ما فيه من استبعاد لكل ما قد يخطر على البال من توهم زوال العذاب وألمه ، فاهيك بما لحاسة الذوق من أثر في نفس المحترق بالنار .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَ لَهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾

اللفة :

(ظليل) : صفة لظل مشتقة منه لتأكيد مضمونه ، كما يقال : ليل أليل ، ويوم أيوم ، أي : دائماً لا تنسخه الشمس ، وسجسجاً لا حرّ فيه ولا برد .

الاعراب :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الواو عاطفة والجملة معطوفة على الذين كفروا لتقرير حال هؤلاء وهؤلاء ، كما سيأتي في البلاغة والذين اسم موصول مبتدأ وجملة آمنوا صلة الموصول (سندخلهم) جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) جملة « سندخلهم » خبر الذين والهاء مفعول به أول وجنات مفعول به ثان على السعة ، وقد تقدمت قائله ، أو منصوب بنزع الخافض وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وخالدين حال وفيها متعلقان بخالدين وأبداً ظرف متعلق بخالدين أيضاً (لهم فيها أزواج مطهرة) الجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وأزواج مبتدأ مؤخر ومطهرة صفة ، أي أن هذه الأزواج مطهرة من الاقدار المعروفة في الدنيا كالحيض وغيره . والجملة الاسمية صفة ثانية لجنات . (وندخلهم ظلاً ظليلاً) الجملة معطوفة ، وظلاً مفعول به ثان على السعة والمفعول الاول الهاء ، وظليلاً صفة .

البلاغة :

في عطف « الذين آمنوا » على « الذين كفروا » لف ونشر مشوش ، وقد سبقت الإشارة إليه مع ما في الكلام من مقابلة وتنظير .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

الاعراب :

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) كلام مستأنف مسوق لتقرير الأمانات بعد أن تقدم إخلال اليهود بها ونقضهم إياها . وإن واسمها ، وجملة يأمركم خبرها وأن وما في حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض أي : بأن تؤدوا ، والجار والمجرور متعلقان بيأمركم أو مفعول به ثان ليأمركم والأمانات مفعول به لتؤدوا وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع ثبوت سالم والى أهلها جار ومجرور متعلقان

بتؤدوا (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بمحذوف ، لأن ما بعد أن المصدرية لا يعمل فيما قبلها ، والتقدير يأمركم ، وجملة حكمتم في محل جر بالاضافة وبين الناس ظرف متعلق بحكمتم وأن تحكموا مصدر مؤول معطوف على أن تؤدوا ، فيكون قد فصل بين حرف العطف والمعطوف بالظرف ، وبالعدل متعلقان بتحكموا ولك أن تعلقها بمحذوف حال من فاعل تحكموا أن متلبسين بالعدل (إن الله نعتا يعظكم به) الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر . ونعما أصلها : نعم وما ، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وما نكرة تامة منصوبة على التمييز والفاعل مستتر ميمز بنكرة أو « ما » موصولة فهي فاعل نعم وجملة يعظكم به صفة للمخصوص بالمدح وهو محذوف ، والتقدير : نعم الشيء شيئاً يعظكم به ، وحذف الموصوف على حد قوله : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » ، والمعنى : قوم يحرفون الكلم ، وقد تقدم هذا قريباً ، فجدد به عهداً . وبه متعلقان بيعظكم وجملة نعما خبر إن (إن الله كان سميعاً بصيراً) إن واسمها ، وجملة كان خبرها وسيعاً خبر كان الاول وبصيراً خبره الثاني .

الفوائد :

الأمانة اسم شامل يشمل جميع الحقوق سواء أكانت لله أم للآدمي . وتفصيلاتها مدونة في المطولات . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدء الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك . وروى البغوي بسنده عن أنس قال : ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » .

٢ - نعمًا : بكسر النون إتياعًا لكسر العين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩)

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) كلام مستأنف مسوق لجميع الناس ، للأمر بطاعة الولاية وقد تقدم إعراب النداء كثيراً . وأطيعوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وأطيعوا الرسول عطف على : أطيعوا الله ، وأولي الأمر عطف أيضاً . وأولي منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ومنكم متعلقان بحذوف حال (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) الفاء استئنافية وإن شرطية وتنازعتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفي شيء متعلقان بتنازعتم فردوه : الفاء رابطة لجواب الشرط وردوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والى الله متعلقان بردوه والرسول عطف على الله والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) إن شرطية وكنتم كان الناقصة واسمها ، والفعل الماضي في محل جزم فعل الشرط ، وجملة تؤمنون في محل نصب خبر كنتم وبالله متعلقان بتؤمنون واليوم عطف على الله والآخر

صفة والجملة الشرطية مستأنفة وجواب الشرط محذوف أي فردوه
(ذلك خير وأحسن تأويلاً) الجملة مستأنفة واسم الإشارة مبتدأ وخبر
خير وأحسن عطف على خير وتأويلاً تمييز والإشارة للرد .

الفوائد :

في هذه الآية إلماع إلى الأدلة الفقهية الأربعة فقوله : « أطيعوا الله »
إشارة إلى الكتاب ، وقوله : « وأطيعوا الرسول » إشارة إلى السنة ،
وقوله : « وأولي الأمر » إشارة إلى الإجماع ، وقوله : « فإن تنازعتم »
إشارة إلى القياس .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا
بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

الاعراب :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) كلام
مستأنف مسوق لبيان مكان التعجب من حال هؤلاء الذين ادعوا
لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل على رسول الله ، وهو
القرآن ، وما أنزل على من قبله من الأنبياء ، فجاءوا بما يناقض هذه

الدعوى ، ويطيح بها من أساسها ، وهو إرادتهم التحاكم الى الطاغوت ، فجمعوا بين النقيضين ، وألّفوا بين الضدّين . والهمزة للاستفهام التعجبي . ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والمخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الذين متعلقان بتر ، وقد علق فعل الرؤية إن كانت قلبية وجملة يزعمون صلة الموصول وأنهم : أن واسمها ، وجملة آمنوا خبرها وقد سدّت أن واسمها سدّ مفعولي يزعمون وبسا جار ومجرور متعلقان بآمنوا وأنزل فعل ماض مبني للمجهول والجملة صلة وإليك متعلقان بأنزل (وما أنزل من قبلك) الواو عاطفة وما عطف على ما الأولى وجملة أنزل صلة ومن قبلك متعلقان بأنزل أو بسحذوف حال (يريدون أن يتحاكسوا الى الطاغوت) جملة يريدون حالية وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريدون والى الطاغوت متعلقان بيتحاكسوا (وقد أمروا أن يكفروا به) الواو حالية وقد حرف تحقيق وأمروا فعل ماض مبني للمجهول والواو فائب فاعل وأن يكفروا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض وبه متعلقان يكفروا (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) الواو عاطفة ويريد الشيطان عطف على يريدون وأن يضلهم مصدر مؤول مفعول يريد وضلالاً مفعول مطلق وبعيداً صفة .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ

الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ

مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۖ هُمْ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا

إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٧﴾

الاعراب :

(وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) كلام مستأنف مسوق لتكملة مادة التعجب من حالهم . والواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وهو رأيت وجملة قيل في محل جر بالإضافة ولهم متعلقان بيقيل وجملة تعالوا مقول القول والى ما أنزل الله متعلقان بتعالوا وجملة أنزل الله صلة الموصول والى الرسول عطف على قوله : الى ما أنزل الله (رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) رأيت فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والمنافقين مفعول به وجملة يصدون حالية إن كانت الرؤية بصرية أو مفعول به ثان إن كانت الرؤية قلبية وعنك متعلقان يصدون وصدوداً مفعول مطلق (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) الفاء استئنافية وكيف اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال أي فكيف يصنعون ؟ أو فكيف تراهم ؟ ويجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي : فكيف صنعهم أو حالهم ؟ وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف وجملة أصابتهم في محل جر بالاضافة ومصيبة فاعل وبما متعلقان بأصابتهم ويجوز في ما أن تكون مصدرية ، أو موصولية وجملة قدمت أيديهم لا محل لها ، وأيديهم فاعل (ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا أحسناً وتوفيقاً) ثم جامعوك

عطف على أصابتهم ولا أرى مساعاً لصنع بعضهم في عطفها على جملة يصدون كما يرى البيضاوي وجملة يحلفون بالله حالية وإن نافية وأردنا فعل وفاعل وإلا أداة حصر وإحساناً مفعول به وتوفيقاً عطف على إحساناً (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) الجملة مستأنفة مسوقة لزيادة التنبيه على قهقهم . وأولئك مبتدأ والذين خبر اسم الإشارة وجملة يعلم الله صلة الموصول وما اسم موصول مفعول به وفي قلوبهم متعلقان بسحذوف صلة الموصول (فأعرض عنهم وعظمهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) الفاء الفصيحة وهي التي أفصحت عن شرط مقدر أي : إذا كانت حالهم كذلك فأعرض عنهم ولا تقبل لهم عذراً ، وأعرض فعل أمر وفاعله أنت وعنهم جار ومجرور متعلقان بأعرض والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط محذوف غير جازم وعظمهم عطف على أعرض وقل لهم : عطف على أعرض ولهم متعلقان بقل ، وفي أنفسهم في متعلق هذا الجار والمجرور ثلاثة أوجه متساوية في الصحة والجودة :

١ - إنها متعلقان بليغاً لأن أمره بتهديدهم بلغ صميم قلوبهم .
وسياق التهديد في قوله : فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ،
« ثم جاءوك » يشهد له .

٢ - أنها متعلقان بقل ، ومعناه : قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على الشرّ قولاً بليغاً . ويلائمه من السياق قوله : « أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم » من دواخل الغي ونوازع الضلال .

٣ - إنها متعلقان بمحذوف حال أي حالة كون المقول سراً لا يتجاوز نفوسهم ولا يتعدّاها ، وتشهد له سيرة النبي صلى الله عليه

وسلم ، ويتلاءم مع حرص النبي على الستر والملاينة ، رجاء أن يثوبوا
إلى الرشد ويخلدوا إلى الصواب . وقولاً مفعول مطلق بليغاً صفة أو
حال كوناً خالياً بهم . والنصيحة في السر أنفع منها في العلانية .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا

نَفْسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا

رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

الاعراب :

(وما أرسلنا من رسول) الواو استئنافية وما نافية وأرسلنا فعل
وفاعل ومن حرف جر زائد ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على
أنه مفعول أرسلنا (إلا ليطاع بإذن الله) إلا أداة حصر واللام للتعليل
ويطاع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور
استثناء مفرغ من أعم العلل أي : وما أرسلنا من رسول لشيء من
الاشياء إلا للطاعة ، فهو مفعول لأجله ولكنه لم يستوف شروط النصب .
ويأذن الله يجوز في هذا الجار والمجرور أن يتعلق بمحذوف حال ، وقيل :
بأرسلنا ، وقيل ييطاع . والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان (ولو أنهم
إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الواو استئنافية ولو شرطية وأن واسمها
وما في حيزها مصدر مؤول فاعل لفعل محذوف ، أي لو ثبت مجيئهم
وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بجاءوك وجملة ظلموا أنفسهم في محل جر
بالإضافة وجملة جاءوك في محل رفع خبر أن (فاستغفروا الله واستغفر

لهم الرسول) الفاء عاطفة وجملة استغفروا معطوفة على جاءوك ولفظ الجلالة مفعول به واستغفر لهم الرسول عطف على ما تقدم (لوجدوا الله تواباً رحيماً) اللام واقعة في جواب لو ووجدوا الله فعل وفاعل ومفعول به أول والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وتواباً مفعول به ثان ورحيماً صفة لتواباً أو بدل منه .

البلاغة :

في الآية التفات بقوله : « واستغفر لهم الرسول » وسياق الكلام يقتضي أن يقول : واستغفرت لهم ، ولكنه عدل عن ذلك للتنويه بالرسول ، وليدل عليه دلالة مؤثرة في قلوبهم ، ولاشتماله على ذكر صفة مناسبة ، وهي الاستغفار لمن تعاضمت ذنوبهم وتعددت آثامهم .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّوْا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥)

اللفظة :

(شجر) اختلط مختلفاً متداخلاً متشابكاً ، ومنه سمي الشجر لتداخل أغصانه وتشابكها ، قال طرفة بن العبد :

وهم الحكام أرباب الهدى وسعاة الناس في الأمر الشجر

أي المختلف المتشابك . ومنه : تشاجر الرماح أي اختلافها .

الاعراب :

(فلا وربك لا يؤمنون) الفاء استئنافية ولا مزيدة لتأكيد القسم والواو حرف قسم وجر والجار والمجرور متعلقان بسحذوف تقديره أقسم ، ولا يؤمنون : لا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة لا يؤمنون لا محل لها لأنها جواب القسم (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) حتى حرف غاية وجر ويحكموك فعل مضارع منصوب بأن مفسرة بعد حتى والواو فاعل والكاف مفعول به والجار والمجرور متعلقان بيؤمنون وفيما جار ومجرور متعلقان بيحكموك وجملة شجر صلة الموصول وبينهم ظرف مكان متعلق بشجر (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت) ثم حرف عطف للتراخي ولا نافية ويجدوا عطف على يحكموك وفي أنفسهم جار ومجرور متعلقان بيجدوا فهو بمثابة المفعول الثاني وحرجاً مفعول به أول ليجدوا ومما متعلقان بسحذوف صفة لحرجاً وجملة قضيت صلة الموصول (ويسلموا تسلياً) عطف على يجدوا وتسلياً مفعول مطلق .

البلاغة :

في هذه الآية مبالغات عديدة ، بلغت أسى مراتب البيان ، والغاية منها زيادة الوعيد والتهديد مما ترتعد له الفرائص وترتعف منه الأئمة ، وسنلخص إليها بالتفصيل :

١ - فقد أقسم سبحانه أولاً بنفسه مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون ، والإيمان رأس مال الصالحين من عباد الله حتى تحصل لهم غاية من أشرف الغايات وهي اللجوء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيه فيما نشب بينهم من خلاف .

٢ - ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت » ، فضمّ الى التحكم أمراً آخر وهو عدم وجود أي حرج في صدورهم ، فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافياً بل لا بد أن يكون نابعاً من صدورهم ، صادراً عن رضا واطمئنان وطيب نفس . وهذا أجمل تصوير للعلاقة التي يجب أن ترسخ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبين الرئيس والمرءوس ، والثقة التي تتأصل في قلوب الشعب لقائدهم وولي أمرهم ، ما دام موقفاً ، سائراً في جوار الاستقامة السليمة .

٣ - ثم لم يكتف سبحانه ، بهذا كله ، بل ضمّ إليه قوله : ويسلموا أي يذعنوا إذعائاً تاماً وينقادوا ظاهراً وباطناً لا انقياداً أعمى ولكنه انقياد الواصل المطمئن الى سلامة موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ - وضمّ الى « يسلموا » المصدر المؤكد فقال : « تسليماً » وهكذا لا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه والتسليم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد ولا تشوبه شائبة ، فسبحان قائل هذا الكلام ! واستمع الى تنمة هذا الفصل في الآية التالية .

الفوائد :

ما ذكرناه في إعراب قوله تعالى : « فلا وربك » هو المختار في رأينا ، ونرى تيمناً للفائدة أن نورد بعض ما قيل فيه ، فاعلم أنه كثرت زيادة « لا » مع القسم في القرآن الكريم حيث يكون بالفعل مثل : « فلا

أقسم بمواقع النجوم » « لا أقسم بهذا البلد » « لا أقسم بيوم القيامة » وغيرها . والفائدة منها تأكيد تعظيم القسم به ، ومعلوم أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له فكأنه يقول : إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم كلا إعظام ، يعني بذلك أنها بمثابة من التعظيم والفخمية تستأهل أكثر من ذلك ، وتستوجب ما فوقه ، ومن أمثله في الشعر قوله :

فلا وأبيك ابنة العامر ي لا يدعي القوم أني أفر

وسياأتي المزيد من بحثه في مواضعه القادمة من هذا الكتاب العجيب ، وهناك أقوال للعلماء في هذا التركيب تثبت أنها لا تخلو من وجهة منها :

١ - أن « لا » رد لكلام تقديره : فلا يفعلون ، أو : ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، ثم استأنف القسم بقوله : وربك لا يؤمنون . فعلى هذا يكون الوقف على « لا » تاماً ، وقد ارتضاه الطبري ، وقاهيك به .

٢ - والثاني أن « لا » الأولى قدمت على القسم اهتماماً بالنفي ، ثم كررت تأكيداً .

٣ - والثالث أن « لا » الثانية زائدة ، والقسم معترض بين حرف النفي والمنفي ، وكان التقدير فلا يؤمنون وربك فتكون الوجوه فيها أربعة .

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا

لَهُمْ وَأَشَدُّ تَلَابُثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَاتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾
وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴿

الاعراب :

(ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم) كلام مستأنف مسوق لتوبيخ الذين يتقاعسون عن الاستجابة للرسول وطاعته . والواو استئنافية ولو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبتت كتابتنا ، وقد تقدمت له ظائر ، وأن واسمها ، وجملة كتبنا خبرها وعليهم متعلقان بكتبنا وأن مصدرية واقتلوا فعل أمر والواو فاعل والمصدر المؤول مفعول كتبنا ، وقيل : أن مفسرة ، لأن كتبنا فيه معنى القول دون حروفه . وأتفسمكم مفعول به (أو اخرجوا من دياركم) عطف على اقتلوا أنفسكم ، ومن دياركم متعلقان باخرجوا (ما فعلوه إلا قليل منهم) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والضمير في « فعلوه » يعود الى أحد الأمرين أو للمكتوب عليهم ، وإلا أداة حصر وقليل بدل من الواو في « فعلوه » لأنه استثناء من كلام قام غير موجب ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لقليل ، وقرىء بالنصب على الاستثناء منهم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم إعراب هذا التركيب قبل قليل . وما اسم موصول مفعول به وجملة يوعظون به صلة الموصول (لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً) اللام واقعة في جواب لو وكان واسمها المستتر ، وخيراً خبرها . وأشدّ عطف على « خيراً » وتثبيتاً تمييز (وإذن لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً)

الواو عاطفة وإذن حرف جواب وجزاء مهمل لأنه وقع بعد أحد العاطفين ،
وهما الواو والنساء ، وهو جواب لسؤال مقدّر ، كأنه قيل : وماذا
يكون لهم بعد التشيت ؟ فقيل : وإذن لو ثبتوا ولآتيناهم واللام جواب
لو المقدرة وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن لدنا جار ومجرور
متعلقان بآتيناهم وأجراً مفعول به وعظيماً صفة (ولهديناهم صراطاً
مستقيماً) عطف أيضاً وصراطاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض ،
وقد تقدمت الإشارة الى ذلك في الفاتحة ، ومستقيماً صفة .

الفوائد :

صورة من روائع البطولة العربية الاسلامية :

روى التاريخ أن الزبير بن العوّام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج كانوا يسقيان بها النخل ،
وهي مسيل الماء ، فقال : اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك ، فغضب
حاطب وقال : لأن كان ابن عمتك ؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر
واستوف حقلك ثم ارسله الى جارك . كان قد أشار على الزبير برأي
فيه السعة له ولخصمه ، فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوعب للزبير حقه في صريح الحكم .

ثم خرجا فمرّا على المقداد فقال له : لمن كان القضاء ؟ فقال
الأنصاري : قضى لابن عمته ، ولوى شدة . فاستغل يهودي الموقف
فقال : يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم !
وايم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال :

اقتلوا أنفسكم ، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً حتى رضي عنا . فقال
ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر : لو أمرنا محمد أن تقتل نفوسنا
لقتلناها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده
إن من أمتي الإيمان أثبت في نفوسهم من الجبال الرواسي .

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ
رَفِيقًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠ ﴾

الاعراب :

(ومن يطع الله والرسول) كلام مستأنف مسوق لبيان فضل
طاعة الله ورسوله . ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ويطع الله فعل
الشرط والرسول عطف على الله (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الفاء رابطة لجواب
الشرط وأولئك مبتدأ ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والذين
اسم موصول مضاف اليه والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب
الشرط وجملة أنعم الله عليهم صلة الموصول ومن النبيين جار ومجرور
متعلقان بمحذوف حال وما بعده عطف على النبيين (وحسن أولئك
رفيقاً) الواو عاطفة وحسن فعل ماض تضمن معنى المدح والتعجب
وأولئك اسم إشارة فاعل ورفيقاً تمييز أو حال على رأي الاخفش .
والرفيق يستوي فيه الواحد والجمع ومثله الصديق والخليط (ذاك

الفضل من الله وكفى بالله علماً) اسم الإشارة مبتدأ والفضل بدل منه
ومن الله متعلقان بمحذوف خبر ، ويجوز أن يكون الفضل هو الخبر
ومن الله متعلقان بمحذوف حال وجملة الإشارة استئنافية وكفى فعل
ماض والباء حرف جر زائد والله فاعل محلاً مجرور لفظاً وعلماً تمييز
أو حال ، وقد تقدم اعرابه . وجملة كفى استئنافية .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا
﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ
إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ ﴿٧٢﴾

اللفظة :

(الحِذْر) بكسر الحاء وسكون الذال أو بفتحين : التقيظ
والاحتراز من الامر المخوف .

(ثبات) بضم الثاء : الجماعة من الفرسان ، ويقال ثبوت
أيضاً ، ووزنها في الأصل فعلة كحطمة ، وإنما حذفت منها لامها وعوض
عنها تاء التأنيث المربوطة . وهل هو واو أو ياء قولان ، وفي كتب اللغة
الثبات : جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ، وقيل :
فوق الاثنين . والسرية أقلها مائة وغايتها أربعمائة ، ويليه المنسر من
أربعمائة الى ثمانمائة ، ويليه الجيش من ثمانمائة الى أربعة آلاف ،

ويليه الجحفل وهو ما زاد على ذلك . قال زهير يصف جباة كراماً
ويسدحهم :

وقد أغدو على ثبة كرام نشاوى واجدين لما نشاء
لهم راح" وراووق ومسك تَعَلَّ به جلودهم وماء
أَمْشَى بين قتلى قد أصيبت نفوسهم ولم تَقْطُر دماء
يجرّون البرودَ وقد تمشّت حَمِيًّا الكأس فيهم والغناء

(اقرؤا) أمر من اقرأ وهو الفزع ، يقال : قرأ إليه قرأ من باب
ضرب وقعد . وقد قرأ الأعمش : اقرؤا بضم الفاء في الموضعين .

(يبطن) بتشديد الطاء زيادة التثاقل والإبطاء والتخلف عن
الجهاد . يقال : بطأ بالتشديد وأبطأ .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فاقروا ثبات أو اقرؤا
جميعاً) كلام مستأنف مسوق لتحذير عسكر الرسول صلى الله عليه
وسلم من المخاطر التي قد يستهدفون لها إذا لم يأخذوا حذرهم . وقد
تقدم اعراب النداء ، وخذوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه
من الافعال الخمسة والواو فاعل وحذرکم مفعول به والفاء عاطفة
واقروا عطف على خذوا أي : بادروهم قبل أن يبادروكم ولا تتخاذلوا
فتلقوا بأيديكم الى التهلكة . وثبات حال وعلامة نصبه الكسرة لأنه
جسع مؤنث سالم أو اقرؤوا عطف على اقرؤوا الاول وجميعاً حال
(وإن منكم لمن ليبطئن) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق

لخطاب المبطلين والمنافقين الذين تشاقلوا وتخلفوا عن الجهاد . وإن حرف مشبه بالفعل ومنكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم لمن اللام المرحلقة وفائدتها التأكيد ومن اسم موصول في محل نصب اسمها المؤخر وليبطن اللام جواب قسم محذوف وتقدير الكلام : وإن منكم لمن أقسم ليبطن ، والقسم وجوابه صلة الموصول ويبطن هنا يجوز أن يكون لازماً ويجوز أن يكون متعدياً والمفعول محذوف أي : ليبطن غيره أي يشبطه ويبعث في نفسه الجبن والهلع ، وهؤلاء شر من الأعداء ، وفي جعلهم منهم تعميم اقتضاء الظاهر ، والواقع أنهم عدو لكم . ولاحظ أن صلة الموصول نفسها هي جواب القسم ، وكلتاها لا محل لها من الأعراب (فإن أصابتكم مصيبة قال : قد أنعم الله علي) الفاء استئنافية وإن شرطية وأصابتكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ومصيبة فاعل وجملة قال في محل جزم جواب الشرط وجملة قد أنعم الله علي في محل نصب مقول القول (إذ لم أكن معهم شهيداً) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بأنعم ولم حرف هي وقلب وجزم وأكن فعل مضارع ناقص واسمها مستتر تقديره أنا ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وشهيداً خبر أكن .

البلاغة :

١ - الطباق بين ثبات وجميعاً . أي انهذوا للعدو وتصدوا له سرايا متعاقبة أو كواكب مجتمعة ، فالتباطؤ ديدن المنافقين .

٢ - المجاز المرسل في خذوا حذرکم ، والعلاقة هي السببية ، لأن الحذر - وإن كان لا ينفع القدر - هو الآلة التي يقي بها الإنسان نفسه ، ويعصم روحه .

٣ - الخبر الإنكاري في قوله : « وإن منكم لمن ليبطئن » .
 فقد جاء التأكيد بإن و بلام التأكيد التي يسميها النحاة المرحلة ونون
 التوكيد الثقيلة ، وفي استعمال الفعل المضعف ، وزيادة الحروف زيادة
 في المعنى . وفي مجموع هذه المؤكدات تخويف رهيب لمن ثبط نفسه
 أو ثبط غيره . وقد نزلت هذه الآيات في المنافق عبد الله بن أبي الذي
 ثبط المؤمنين في غزوة أحد . وقد تشبث الشعراء بأهداب هذه المعاني
 فقال أبو تمام في مدح الثبات على الحرب والقتل في الجهاد يرثي محبدا
 ابن حميد الطوسي من قصيدة فريدة :

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
 ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما
 هو الكفر يوم الأروع أو دونه الكفر
 فأثبت في مستنقع الموت رجله
 وقال لها : من تحت أخمصك الحشر
 تردى ثياب الموت حمراً فما دجا
 لها الليل إلا وهي من سندس خضر

إلى آخر تلك القصيدة الرائعة .

﴿ وَلَئِنْ أَصْبَحَ فَأَنْتَ مُسْكِرٌ ﴾

مَوَدَّةً يَلْبِثَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ
 أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

الاعراب :

(ولئن أصابكم فضل من الله) الواو عاطفة على قوله : « فإن أصابكم مصيبة » وإنما قدمت الشرطية الأولى لأن مضمونها أوفق لمقتضدهم ، ولأن أثر قناعتهم أكثر ظهوراً ، وأشد تأثيراً . واللام موطئة للقسم وإن شرطية وأصابكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به وفضل فاعل ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ليقولن) لأن لم تكن بينكم وبينه مودة (اللام جواب القسم ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم لتقدمه ، وكان مخففة من الثقيلة وسيأتي حكمها في باب الفوائد ، واسمها ضمير الشأن وجملة لم تكن خبرها ، وجملة كأن وما في حيزها اعتراضية بين القول ومقوله ، واختار أبو البقاء أن تكون حالية ، وتبع في ذلك قول الراغب الذي قال : « وذلك مستقبح ، فإنه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى » وهذا غريب جداً لأنه يطيح بأقوال النحاة جميعاً ، قال الرازي بصدده : « هو اعتراض في غاية الحسن لأن من أحب إنساناً فرح عند فرحه وحزن عند حزنه ، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة » وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر تكن المقدم وبينهم عطف

عليه ومودة اسم تكن المؤخر (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً)
الجملة مقول القول « ليقولن » يا حرف نداء والمنادى محذوف ، أو
هي لمجرد التنبيه ، والاول أولى • وليت حرف مشبه بالفعل والنون
للوفاة والياء اسمها وجملة كنت خبر ليت وكان واسمها ، ومعهم ظرف
مكان متعلق بسحذوف خبر كنت ، فأفوز الفاء هي السببية وأفوز فعل
مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء وفوزاً مفعول مطلق وعظيماً
صفة (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) الفاء
هي الفصيحة أي إذا علمتم هذا كله فليقاتل ، واللام لام الأمر ويقاقل
فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفي سبيل الله متعلقان بيقاقل والذين
اسم موصول فاعل يقاتل وجملة يشرون الحياة الدنيا صلة الموصول
وبالآخرة متعلقان يشرون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب
شرط غير جازم (ومن يقاتل في سبيل الله) الواو استئنافية ومن اسم
شرط جازم مبتدأ ويقاقل فعل الشرط وفي سبيل الله متعلقان بيقاقل
(فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) الفاء عاطفة ويقتل بالبناء
للمجهول معطوف على يقاتل ونائب الفاعل مستتر تقديره هو أو يغلب
أو حرف عطف ويغلب بالبناء للفاعل معطوف أيضاً والفاعل مستتر
تقديره هو فسوف الفاء رابطة لجواب الشرط ونؤتيه فعل مضارع
وفاعله مستتر والهاء مفعول به أول وأجراً مفعول به ثان وعظيماً صفة •
والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر «من» •

البلاغة :

شراء الحياة الدنيا بالآخرة استعارة مكنية ، تقدمت الإشارة إليها
بحروفها • وفعل شري يحتمل الشراء والبيع ، فلا يقال : كيف دخلت
الباء على الآخرة •

الفوائد :

إذا خففت « كَان » المشبهة بالفعل بقي عملها ويكون اسمها ضمير الشأن محذوفاً وجوباً وخبرها جملة ، فإن كانت الجملة المخبر بها موجبة ذات فعل متصرف فصلت عن كَان بـ « قد » ، كقولك : لا يهولنك اصطلاء لظى الحرب فمحذورها كَان قد ألم . أو منفية فصلت بـ « لم » كقوله :

كَأَن لَّمْ يَكُن بَيْنَ الْمُحْجُونَ إِلَى الصَّفَا

أَنيس ولم يسمر بككة سامر

وذلك للفرق بينها وبين أن المصدرية الداخلة عليها كاف التشبيه وإن لم تكن الجملة كذلك فلا حاجة إلى الفصل بشيء ، وهذا هو المشهور في الاستعمال .

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ

أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

اللفظة :

(القرية) بفتح القاف وكسرهما : اسم جامع لمعان شتى ، فهي الضيعة والمصر الجامع وجمع الناس والمدينة . والجمع قرى بضم القاف وقرى بكسر القاف والراء ، والنسبة اليها قروي وقريني . وكل قرية ذكرت في القرآن فالظلم ينسب اليها بطريق المجاز ، وستأتي أمثلتها في حينها . وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم الي أهلها على الحقيقة ، لأن المراد بها مكة ، فوقرت عن نسبة الظلم اليها تشريفاً لها .

الاعراب :

(ومالككم لاتقاتلون في سبيل الله) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للحث على الجهاد بطريق الاستفهام . وما اسم استفهام معناه الأمر والإنكار في محل رفع مبتدأ ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره وجملة لا تقاتلون في سبيل الله حالية (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) عطف على الله ، ولا بد من تقدير مضاف أي : لا تقاتلون في سبيل تخلص المستضعفين ، ومن الرجال متعلقان بمحذوف حال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير ، والنساء والولدان هم الذين حبسهم المشركون عن الهجرة ، ومنهم ابن عباس قال : كنت أنا وأمي منهم (الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) الذين اسم موصول صفة وجملة يقولون صلة الموصول وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأخرجنا فعل دعاء ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجملة في محل

نصب مقول القول ، ومن هذه جار ومجرور متعلقان بأخرجنا والقرية بدل من اسم الإشارة والظالم نعت سببي وأهلها فاعل الظالم لأنه اسم فاعل (واجعل لنا من لدنك ولياً) عطف على أخرجنا ولنا في محل نصب مفعول اجعل ومن لدنك في محل نصب حال وولياً مفعول به ثان (واجعل لنا من لدنك نصيراً) عطف على ماتقدم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) كلام مستأنف مسوق للترغيب في القتال والذين: مبتدأ وجلة آمنوا صلة وجلة يقاتلون خبره وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيقاتلون (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) عطف على الجلة السابقة وقد تقدم إعرابها (فقاتلوا أولياء الشيطان) الفاء الفصيحة وقاتلوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وأولياء الشيطان مفعول به (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) إن واسمها ، وجلة كان خبرها وضعيفاً خبر كان وجلة ان وما بعدها تعليلية لا محل لها .

الفوائد :

النعت قسمان :

١ - حقيقي : وهو ما يبين صفة من صفات متبوعه ، ويجب أن يطابق متبوعه في الأعراب والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتشكيك .

٢ - سببي : وهو ما يبين صفة من صفات ما له تعلق بمتبوعه وارتباط به ، كما في الآية . ويطابق منعوته في الأعراب والتعريف والتشكيك فقط ، ويراعى في تأنيثه وتذكيره ما بعده ، ويلزم الإفراد دائماً . ففي الآية طابق « الظالم » « القرية » في الجر والتعريف ،

وروعي في التذكير ما بعده ، وهو الأهل ، وبقي مفرداً ، وإن كان معنى
الأهل جمعاً . ولو أثبت في غير القرآن ، فقل : الظالمة أهلها ، لجاز
لا لتأنيث الموصوف بل لأن الأهل يذكر ويؤنث .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ تَخْشِيَةَ
اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٧)

الاعراب :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ) كلام مستأنف مسوق لإثارة العجب في نفس الرسول صلى الله
عليه وسلم من إحجامهم عن القتال بعد إظهارهم الرغبة فيه ومباشرتهم
فيه فعلاً ، كما ينبىء عنه الأمر بكف الأيدي بعد بسطها عليهم .
والهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف نهي وقلب وجزم وتر فعل
مضارع مجزوم بلم والى الذين متعلقان بـ « تر » وجملة قيل صلة
الموصول ولهم متعلقان بقيل وجملة كفوا مقول القول وأيديكم مفعول
كفوا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على جملة كفوا ، أي لا تقاتلوا

الكفار ما داموا بمكة (فلما كتب عليهم القتال) الفاء عاطفة ولما حرف وجود لوجود كما قال سيبويه ، أو ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط كما قال أبو علي الفارسي . وجملة كتب عليهم القتال لا محل لها من الإعراب لوقوعها بعد موصول حرفي أو في محل جر بالإضافة (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) إذا حرف على الأصح يسيها النحاة الفجائية خلافاً لمن زعم أنها ظرف مكان أو زمان ، لا يليها إلا الفعل و لا تقع في الابتداء ، ولا تكون الجملة الاسمية بعدها إلا حالاً ، وتختص بالجملة الاسمية أو منسوخة بإن ، نحو : خرجت فإذا إن المطر نازل ، وسيأتي بحث مسهب شيق عنها في باب الفوائد لم نسبق إليه . وفريق مبتدأ ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لأنه وصف بقوله « منهم » وجملة يخشون الناس خبر فريق والناس مفعول به وكخشية الله الكاف اسم بمعنى مثل في محل نصب حال أو هي حرف جر وهي مع مجرورها في محل نصب على الحالية أو المفعولية المطلقة وجملة فريق منهم الخ في محل نصب على الحال والجملة الفجائية لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أو أشد خشية) أو حرف عطف وأشد خشية عطف على كخشية الله فهي حال أو مفعول مطلق وخشية تمييز ، واختار بعض المعربين أن تعرب حالاً من قوله « خشية » لأنها صفة لنكرة وتقدمت عليها فانتصبت وهو محض تكلف لا داعي له ، وسيأتي بحث طريف عن ذلك في باب الفوائد ، نلفت إليه الأقطار لنفاسته (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) الواو استئنافية أو عاطفة وقالوا فعل وفاعل والجملة استئنافية أو معطوفة على جملة يخشون وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولم السلام حرف جر وما اسم استفهام حذف ألفها لوقوعها بعد حرف الجر والجار والمجرور متعلقان بكتبت والقتال مفعول به والجملة في محل نصب مقول القول

(لولا أخرتنا الى أجل قريب) لولا حرف تحضيض مثل هـ لا وأخرتنا فعل وفاعل ومفعول به والجملة مندرجة في مقولهم (قل متاع الدنيا قليل) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية ومتاع الدنيا مبتدأ وقليل خبر والجملة في محل نصب مقول القول (والآخرة خير لمن اتقى) الواو استئنافية أو حالية والآخرة مبتدأ وخير خبر والجملة مستأنفة أو حالية ولمن اتقى اللام حرف جر ومن اسم موصول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان بخير ، واتقى فعل ماض وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول (ولا تظلمون فتيلاً) الواو عاطفة ولا نافية وتظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفتيلاً صفة لمفعول مطلق محذوف وقد نابت عنه .

الفوائد :

١ - اختلفت آراء النحاة في «إذا الفجائية» فقال بعضهم هي ظرف مكان أو زمان . وتبعهم العربون والمفسرون ، فحاضوا في متاهات لانهاية لها ، ولم ينتهوا الى طائل . وقال بعضهم ، وعلى رأسهم الأخفش : هي حرف دائماً ، ويرجحه قولك : « إن خرجت فإذا إن المطر قازل » ، بكسر همزة « إن » لأن « إن » بالكسر لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وأما بالفتح فيعمل ما بعدها فيما تملها ، إذ ليس لها الصدر . أما جعلها ظرفاً للمكان أو الزمان فيقتضي الدخول في تعسفات لا طائل تحتها ، وقد آثرنا في كتابنا أن لا نجزم برأي من عندنا إلا اذا رأينا من سبقنا ذهب اليه ، نقول هذا لأن بعض المتنطعين تجنى علينا فادعى علينا الغلط . هذا وقد اشتهرت هذه المسألة في النحو وحدثت مناقشة طريفة بسببها بين سيويه والكسائي ، تجدها كاملة في مغني اللبيب ، وفات

هؤلاء المتناقشين وقوع ما بعدها مبتدأ وخبراً مرفوعين في القرآن
كما فعل ابن يعيش وغيره من النحاة ، فارجع الى بحث إذا الفجائية في
المغني والمطولات تسمع العجب العجائب .

٢ - مر تظير هذه الآية في الاعراب قوله تعالى : « فاذكروا الله
كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » . ومن طريف الانبحاث المتعلقة في
الاسم الواقع بعد اسم التفضيل يصح فيه النصب والجبر تقول : « زيد
أكرم أباً » بالنصب ، فيكون « زيد » من الأبناء وأنت تفضل أباه ،
وتقول : « زيد أكرم أبٍ » بالجبر فيكون زيد من الآباء وأنت تفضله .
وتقول : « زيد أفضل إخوته » وهو وهم لأن أفعل التفضيل لا يضاف
إلا لما هو داخل فيه ، وزيد غير داخل في إخوته ، إذ لو سئلت عنه
لعددتهم دونه فيكون المثال بمثابة : زيد أفضل النساء ، وهذا باطل
والصواب أن يقال : أفضل الإخوة ، أو : أفضل بني أبيه .

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ
سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ لَا يَكَادُونِ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾
اللفظة :

(بروج) : البروج في كلام العرب الحصون والقلاع .

(مشيدة) : اختلف أهل العربية في معنى المشيدة فقال بعض أهل البصرة منهم : المشيدة الطويلة ، قال : وأما المشيد بالتخفيف فانه المزين ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن . وقال آخرون منهم نحو ذلك القول ، غير أنه قال : المشيد بالتخفيف المعمول بالشيء ، والشيء الجص . وقال بعض أهل الكوفة : المشيد والمشيّد أصلهما واحد ، غير أن ما شدد منه فإنما يشدد لنفسه ، والفعل منه في جمع ، مثل قولهم : هذه ثياب مصبغة وغنم مذبحة ، فشدد لأنها جمع ، يفرق فيها الفعل ، ومثله قصور مشيدة ، لأن القصور كثيرة ، تردد فيها التشييد ، ولذلك قيل : بروج مشيدة ، ومنه قوله تعالى « وغلقت الأبواب »

الاعراب :

(أينما تكونوا يدرككم الموت) كلام مستأنف مسوق لخطاب اليهود والمنافقين ، وبيان أن الدنيا حقيرة لا ديمومة لها . وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر تكونوا المقدم إذا كانت فاقصة أو بجواب الشرط إذا كانت تامة وتكونوا فعل الشرط والواو فاعل أو اسم تكونوا ويدرككم الموت جواب الشرط (ولو كنتم في بروج مشيدة) الواو حالية ولو شرطية وكان واسمها ، وفي بروج متعلقان بمحذوف خبر كنتم ومشيدة صفة لبروج وجملة جواب الشرط محذوفة دل عليها ما قبلها (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) الواو استئنافية وإن شرطية وتصبهم فعل الشرط والهاء مفعول به وحسنة فاعل ويقولوا جواب الشرط وهذه مبتدأ ومن عند الله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) عطف

على ما تقدم (قل كل من عند الله) الجملة استئنافية مسوقة لشجب افتئاتهم ، وقل فعل أمر وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر والجملة الاسمية مقول القول (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) الفاء استئنافية وما اسم استفهام مبتدأ ولهؤلاء متعلقان بمحذوف خبر والقوم بدل وجملة لا يكادون في محل نصب على الحال والواو اسم يكادون وجملة يفقهون في محل نصب خبر يكادون والواو فاعل وحديثاً مفعول به .

الفوائد :

(أينما) أين اسم من أسماء الأمكنة مبهم يقع على الجهات الست وكل مكان يستفهم عنه ، وتنقل الى الجزاء ، فيقال : أين تكن أكن . والأكثر في استعمالها أن تكون مضمومة اليها « ما » كما في الآية ، وليس ذلك بلام فيها ، بل أنت مخير فيها ، قال ابن همام السلولي :

أين تصرف بها العداة تجداً نصرف العيس نحوها للتلاقي

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٧١)

الاعراب :

(ما أصابك من حسنة فمن الله) كلام مستأنف مسوق لبيان الجواب عن كلامهم والرد عليهم . وسيأتي معنى الجمع بين إضافة

السيئة الى العبد واطافة الأشياء كلها لله بما يروي الغليل في باب البلاغة . وما اسم شرط جازم مبتدأ وأصابك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ومن حسنة متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة لجواب الشرط ومن الله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فهي من الله وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) عطف على ما تقدم (وأرسلناك للناس رسولا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مكانة الرسول والتنويه بهته الكبيرة السامية ، وأرسلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وللناس متعلقان بأرسلناك أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة فتقدمت ، ورسولا حال (وكفى بالله شهيدا) الواو عاطفة أو استئنافية والباء حرف جر زائد والله فاعل كفى محلا والجبر بالباء لفظاً ، وشهيداً تمييز أو حال ، وقد تقدم إعراب ذلك .

البلاغة :

المجاز المرسل في إضافة السيئة الى العبد ، والعلاقة هي السببية ، لأن النفس هي التي توبق صاحبها وتورطه في ارتكاب الذنوب ، ولا منافاة بين كونها مخلوقة وكونها مورطة ، فينتظم ذلك كله بقوله : « قل كل من عند الله » . وللمعتزلة كلام طويل في هذا الصدد يرجع اليه في المطولات ، حيث يشتجر الخلاف بين أهل السنة والاعتزال .

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ط وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ

غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

اللفظة :

(يَتَّى) : يَتَّى الأمر : زوره وسواه وقضاه بليل . والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتديره بالليل ، يقال : هذا أمر بُيِّتَ بليل . وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها . والمعنى في الآية أنهم قالوا وقدرُوا أمراً غير الذي أعطوك من الطاعة ، وكل عسلٍ عسل ليلاً فقد بيت ، ومن ذلك بيت للعدو وهو الوقوع بهم ، ومنه قول عبيدة بن همام :

أتوني فلم أرض ما يَتَّىوا وكانوا أتوني بشيء نكَّرُ
لأنكح أيتهم منذراً وهل ينكح العبدَ حرَّ لحر

يعني بقوله : فلم أرض ما يَتَّىوا ليلاً ، أي ما أبرموه ليلاً . ومعنى قوله حر لحر : حر ولدته الكرام ، كما تقول : هو كريم لكرام وحر لأحرار ، واللام فيه للنسب وحر ينسب إلى آباء وأحرار . وهذا مما لا تجده في كتاب فاحظه .

الاعراب :

(من يطع الرسول فقد أطاع الله) كلام مستأنف مسوق لبيان

أن طاعة الرسول هي من طاعة الله وبيان أحكام رسالته . ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويطع الرسول فعل الشرط والفاء رابطة وقد حرف تحقيق وجملة فقد أطاع الله في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيزاً) الواو حرف عطف ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتولى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وما فافية وأرسلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ « حفيزاً » ، وحفيزاً حال وجواب الشرط محذوف تقديره : فلا تأبهن له ، وفعل الشرط وجوابه المحذوف في محل رفع خبر « من » وجملة ما أرسلناك تعليلية لا محل لها (ويقولون طاعة) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع وفاعل وطاعة خبر لمبتدأ محذوف تقديره : أمرنا وشأننا والجملة مقول القول وجملة يقولون مستأنفة مسوقة لبيان معاملتهم للرسول بعد بيان وجوب طاعته (فإذا برزوا من عندك) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة برزوا في محل جر بالاصافة ومن عندك متعلقار ببرزوا أي خرجوا من عندك (يبت طائفة منهم غير الذي تقول) جملة يبت طائفة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنهم متعلقان بسحذوف صفة لطائفة وغير مفعول به والذي مضاف إليه وجملة تقول لا محل لها لأنها صلة الموصول (والله يكتب ما يبيتون) الواو استئنافية أو حالية والله مبتدأ وجملة يكتب خبر وما اسم موصول مفعول به وجملة يبيتون لا محل لها لأنها صلة الموصول (فأعرض عنهم وتوكل على الله) الفاء الفصيحة وأعرض فعل أمر وعنهم متعلقان بأعرض وتوكل عطف على أعرض وعلى الله متعلقان بتوكل (وكفى بالله وكيلاً) تقدم اعراب نظائرها .

الفوائد :

تذكير الفعل في : « بيت طائفة » لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ،
إذ هي بمعنى الفريق والفوج ، فهي اسم جمع أو اسم جنس .
وأحكام تذكير الفعل وتأنيثه مع الفاعل مبسومة في كتب النحو
فارجع إليها والله الموفق .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۚ
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعَنَّ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾

اللفظة :

(يتدبرون) : يتأملون وتدبر الشيء تأمله وظهر في مغابته
وما ينجم عنه ويؤول إليه .

(أذاعوا) : هو بمعنى الفعل المجرد « ذاع » ، يقال : ذاع الشيء
يذيع ، ويقال : أذاع الشيء أيضاً ، فيتعدى تعديته . ويجوز أن يكون

من باب التضمين ، وقد ضمّن أذاع معنى نحدث ، فيتعدى بنفسه وبالباء . وكأنما هذه الكلمة تعبير صحيح عن الإذاعة التي تذيع الأخبار في أوقات معينة . والإذاعة : الإشاعة ، قال :

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

واختار الزمخشري أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة . وهو أبلغ من أذاعوه ، ليكون التأديب أبلغ ، والنهي أشمل . وفي ذلك تعليم وتنبيه على وجوب كتمان أخبار الجيوش وتحركاتها ، وما أعظم المفسدة في لهج الناس بكل ما يطرق أسماعهم من أخبار وأراجيف ، خاصة في زماننا ، بعد أن طرق العدو المخدول البلاد العربية ، طهرها الله من دنسه ، وصانها عن رجسه .

(يستنبطونه) : يستخرجون تديره بفطنتهم ومعرفتهم التامة بأمور الحرب ومكايدها . وهو في الأصل بمعنى استخراج الماء أول ما يحفر الأرض ، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني . وفي اجتساع النون والباء فاء وعيناً للكلمة سرّ عجيب ، إذ تدل على الظهور والوضوح ، فالنبأ هو الخبر يظهر للناس فيتناقلونه ويتداولونه فيما بينهم . وسيل نأبئ أي : ظاهر طارئ ، ونبّ التيس نبياً صاح عند الهياج ، وفي صياحه ظهور له ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوفد أهل الكوفة حين شكوا سعداً : « يكلسني بعضكم ولا تنبّوا عندي نيب التيوس » . ومن هذه الكلمة اشتق الانبوب ، والجمع أنابيب ، قال :

أو من مشعشة ورهاء نشوتها أو من أنابيب تفساح ورمكان

ونبت : ظهر ، يقال : ظهر النبات والنبت في الأرض .

ونبس : نطق ، تقول : كلمته فعبس وما نبس •

ونبش الارض عما تحتها نبشاً ، قال :

مهلاً بني عما مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً

وتقدم القول في النبط ، وقد اشتقوا منه الانباط قال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بَقِيلَةَ : أعرب أتم أم نبط ؟ فقال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا • وقال أبو العلاء المعري :

أين امرؤ القيس والعداري إذ مال من تحته الغيظ

استنبط العرب في الموامي بعدك واستعرب النبط

وهذا من غريب أمر هذه اللغة الشريفة •

الاعراب :

(أفلا يتدبرون القرآن) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على مقدّر ، أي : أيعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه ؟ ولا نافية ويتدبرون فعل مضارع وفاعل والقرآن مفعوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) الواو حالية ولو شرطية وكان الناقصة واسمها المستتر أي القرآن ، ومن عند غير الله متعلقان بمحذوف خبر ، واللام واقعة في جواب لو ووجدوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم وفيه متعلقان بوجدوا واختلافاً مفعول به وكثيراً صفة (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) كلام مستأنف مسوق لوصف المنافقين الذين يذيعون الأراجيف تشييطاً

للناس ، وإشاعة للخوف في النفوس . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءهم أمر في محل جر بالإضافة ، ومن الأمن متعلقان بمحذوف صفة لأمر والخوف عطف على الأمن وجملة أذاعوا به لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم) الواو حالية ولو شرطية وردّوه فعل وفاعل ومفعول به الى الرسول متعلقان بردّوه ، وإلى أولي الأمر عطف على « الى الرسول » ومنهم متعلقان بمحذوف حال (لعلهم الذين يستنبطونه منهم) اللام واقعة في جواب لو وعلمه الذين فعل ومفعول به وفاعل وجملة يستنبطونه لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة لعلهم الذين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومنهم متعلقان بمحذوف حال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ، وفضل الله مبتدأ خبره محذوف وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل ، واللام واقعة في جواب لولا وجملة اتبعتم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والشيطان مفعول به وإلا أداة استثناء وقليل مستثنى من فاعل اتبعتم ، أي : إلا قليلا منكم ، أو من فاعل أذاعوا به ، أي : أظهروا ذلك الأمر إلا قليلا منهم . وسيأتي مزيد من معناه وأعرابه في باب الفوائد .

الفوائد :

أفاض المفسرون والمعربون في البحث حول هذا الاستثناء ، ولو شئنا التقصي لضاق بنا المجال ، وزاد في خطر الإفاضة اشتجار الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال، ولسنا نحب أن نمر بذلك دون الإشارة إليه،

ويتشخص مما أوردوه أن قوله : « إلا قليلاً » فيه أوجه ، اخترنا ما رأيناه أقرب الى المعنى ، وأدنى الى المنطق ، ولا بأس بإيراد بعض ما قالوه :

١ - إنه مستثنى من فاعل « اتبعتم » أي : إن فريقاً قليلاً منكم لم يتبع الشيطان ، ويكون قد أراد بالفضل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، كقس بن ساعدة الإيادي وعمر بن قائل وورقة بن نوفل وغيرهم ممن آمنوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ - إن المراد من لم يبلغه التكليف ، فالاستثناء على هذا القول منقطع .

٣ - إنه مستثنى من فاعل أذاعوا ، أي : أظهروا ذلك الأمر إلا قليلاً منهم .

٤ - إنه مستثنى من فاعل لعلمه الذين يستنبطونه .

٥ - إنه مستثنى من فاعل لوجدوا .

٦ - إنه مستثنى من العموم ، والمراد بالقليل أمة محمد .

ما يقوله أبو جعفر الطبري :

وقال أبو جعفر الطبري : « وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال : « عني باستثناء القليل من الاذاعة » وقال بعد كلام طويل : « وإنما قلنا إن ذلك أولى بالصواب لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد الأقوال التي ذكرنا ، وغير جائز أن يكون من قوله

« لا تبعتم الشيطان » ، لأن من تفضل الله عليه بفضلته ورحمته فغير جائز أن يكون من أتباع الشيطان .

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ

تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾

الاعراب :

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) الفاء الفصيحة ، أي : إذا كان الأمر كذلك من عدم طاعة المنافقين وتشييطهم الآخرين عن القتال فقاتل أنت وحدك ، غير عابئ بما جنحوا إليه . ويجوز أن تكون الفاء للاستئناف المقرر لما قبله ، وقاتل فعل امر وفي سبيل الله متعلقان بقاتل ، وجملة لا تكلف إلا نفسك بالبناء للمجهول حالية ، أي : حالة كونك مسئولاً عن نفسك وحدها فإن الله هو ناصرك ومعينك ، وتفسك مفعول به ثان لتكلف ، ويجوز أن تكون مستأنفة لإخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يكلفه غير نفسه (وحرّض المؤمنين) عطف على قاتل والمؤمنين مفعول به (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) جملة الرجاء حالية ، أي : انهد وحدك الى قتالهم ، والحال قد كف بأسهم عنك . وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء التي يسميها النحاة أفعال المقاربة تغليباً ، والله اسمها ، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها خبرها ، وبأس مفعول به ، والذين كفروا مضاف إليه وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً)

الواو حالة أو استئنافية ، والله مبتدأ وأشد خبر ، وبأساً تمييز ، وأشد تنكيلاً عطف على ما تقدم .

﴿ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴾

اللفظة :

(الكِفْل) بكسر الكاف وسكون الفاء : الضعف والنصيب والحظ ، وفي المصباح الكفل وزان حصل : الضعف من الأجر والإثم . وقال علماء اللغة : استعمال الكفل في الشر أكثر من استعمال النصيب فيه ، وإن كان كل منهما قد يستعمل في الخير ، كما قال تعالى : « يُوْتِكُمْ كُفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ » . ولقلة استعمال النصيب في الشر وكثرة استعمال الكفل فيه غاير بينهما في الآية الآتية : حيث أتى بالكفل مع السيئة ، وبالنصيب مع الحسنة .

(مقيت) بضم الميم أي : حفيظ شهيد ، وهو مشتق من القوت ، لأنه يمسك النفس ويحفظها . قال الزبير بن عبد المطلب :

وذئ ضغن قهيت السوء عنه وكنت على إساءته مقيتا

الاعراب :

(مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) جملة مستأنفة

مسوقة لبيان أن له صلى الله عليه وسلم يداً طائلة في تحريض المؤمنين على القتال والجهاد ، وغني عن القول : إن الشفاعة هي الوساعة في إيصال الشخص الى منفعة دنيوية أو أخروية ، وأي منفعة أسمى وأجل وأعظم من التحريض على الجهاد ، لأن فيه الفوز في الدنيا والآخرة . ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويشفع فعل مضارع فعل الشرط ، وشفاعة مفعول مطلق وحسنة صفة ، ويكون جواب الشرط وله خبر يكن الناقصة المقدم ونصيب اسمها المؤخر ، ومنها متعلقان بمحذوف صفة لنصيب وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) عطف على ما تقدم مماثل له في الاعراب (وكان الله على كل شيء مقيتاً) الواو استئنافية أو حالية ، وكان واسمها ، وعلى كل شيء متعلقان بمقيتاً ، ومقيتاً خبر كان .

﴿ وَإِذَا حُيِّنَ بِحِجَّةٍ لَّخَبْرًا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ٨٦ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ٨٧ ﴿

اللفظة :

(حسيباً) : الحسيب في هذا الموضع فعيل من الحساب الذي هو الإحصاء ، يقال منه : حاسبت فلاناً على كذا وكذا . ومن العجيب أن يهم بعض المفسرين والمعرين فيقول : إن معنى الحسيب هو الكافي ، يقال منه : حسبني الشيء بمعنى كفاني ، من قولهم حسبي كذا وكذا .

الاعراب :

(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) كلام مستأنف مسوق للترغيب في التحية ، وأصل التحية الدعاء بالحياة وضولها ، ثم استعملت في كل دعاء . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وهو : « حيّوا » وجملة حييتم في محل جر بالإضافة وبتحية متعلقان بحييتم ، والفاء رابطة وجملة حيوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وبأحسن متعلقان بحيوا ومنها متعلقان بأحسن ، واو حرف عطف وردوها عطف على « حيّوا » (إن الله كان على كل شيء حسيباً) الجملة تعليلية لا محل لها ، وإن واسمها ، وجملة كان واسمها وخبرها خبر إن (الله لا إله إلا هو) الجملة مستأنفة والله مبتدأ ولا النافية للجنس وإله اسمها وإلا أداة حصر و « هو » بدل من محل لا واسمها ، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة ، والجملة خبر الله (ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) اللام جواب لقسم محذوف ، ويجمعنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والى يوم القيامة متعلقان بيجمعنكم ، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم المحذوف ولا نافية للجنس وريب اسم « لا » المبني على الفتح ، وفيه متعلقان بسجدوف خبر ، والجملة في محل نصب على الحال (ومن أصدق من الله حديثاً) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام مبتدأ وأصدق خبر ، ومن الله متعلقان بأصدق وحديثاً تمييز .

﴿ فَاَلْكَرُ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ

أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

اللفة :

(أركسهم) ردّهم في حكم المشركين • والركس : رد الشيء مقلوبا ، ومنه قول عبد الله بن رواحة :

أركسوا في فئة مظلّمة كسواد الليل يتلوها فتنّ

الاعراب :

(فما لكم في المنافقين فئتين) الفاء استئنافية ، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، ولكم متعلقان بمحذوف خبر ما ، وفي المنافقين متعلقان بفئتين ، فإنها في قوة مالكم تفرقون في أمور المنافقين ، فحذف المضاف وأبقى المضاف إليه مقامه ، ويجوز أن يتعلقا بمحذوف على أنه حال ، لأنه كان في الأصل صفة لفئتين أي : فئتين متفرقتين في المنافقين ، وفئتين حال من الكاف في « لكم » • والكوفيون يقولون : إن انتصاب « فئتين » على أنه خبر لكان مضمرة ، والتقدير : فما لكم في المنافقين كنتم فئتين • وهذا القول غريب ، ولكنه جيد ورجحه ابن جرير (والله أركسهم بما كسبوا) الواو حالية ، والله مبتدأ ، وجملة أركسهم خبر ، وبما متعلقان بأركسهم ، و« ما » يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية ، وجملة كسبوا لا محل لها على كل حال ، والجملة في محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول تريدون ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة أضل الله لا محل لها لأنها صلة ، والجملة مستأنفة مسوقة للإنكار على المختلفين (ومن يضل الله فلن تجد له سيلا)

الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويضلل فعل الشرط مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين والله فاعل ، والفاء رابطة للجواب ولن حرف نهي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب بلن ، وله متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « سبيلاً » وسبيلاً مفعول به ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من •

الفوائد :

ما يقوله التاريخ :

روي أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتوائهم المدينة • فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة ، حتى لحقوا بالمشركين ، فاختلف المسلمون فيهم ، فقال بعضهم : هم كفار ، وقال بعضهم : هم مسلمون •

وفي رواية ثانية : إنهم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا ، وقيل : هم قوم أظهروا الاسلام ، وقعدوا عن الهجرة •

قال القرطبي : « والمراد بالمنافقين هنا عبد الله بن أبيّ وأصحابه الذين خذلوا الرسول يوم أحد ، ورجعوا بعسكرهم بعد أن خرجوا » • واختلف المسلمون في أمرهم ، فقال فريق : اقتلهم يا رسول الله ، للأماراة الدالة على كفرهم • وقال فريق : لا تقتلهم لنطقهم بالشهادتين • والعتاب في الحقيقة للفريق الثاني القائل : « لا تقتلهم » •

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٨٩﴾

الاعراب :

(ودثوا لو تكفرون كما كفروا) كلام مستأنف مشوق لمتابعة وصفهم . وودوا فعل وفاعل ، ولو مصدرية وهي والفعل بعدها مصدر منصوب لأنه مفعول ودوا ، أي ودوا كفركم . وكما كفروا نعت لمصدر محذوف ، أي : ودوا كفركم مثل كفركم ، أو حال (فتكونون سواء) الفاء عاطفة ، وتكونون معطوف على تكفرون ، والواو اسمها وسواء خبرها (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) الفاء الفصيحة ، أي : إذا كانت هذه حالهم — وهي ودادة كفركم — فلا توالوهم . ولا فاهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، ومنهم متعلقان بتتخذوا على أنه مفعول به أول ، وأولياء مفعول به ثان ، وحتى حرف غاية وجر ، ويهاجروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بتتخذوا ، وفي سبيل الله متعلقان بيهاجروا (فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) الفاء عاطفة وإن شرطية ، وتولّوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وخذوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، واقتلوهم عطف على خذوهم ، وحيث

ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم ، وجملة وجد تسوهم في محل جر بالاضافة (ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) الواو عاطفة ، ولا فاهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل ، ومنهم مفعول تتخذوا الأول ، وولياً مفعول تتخذوا الثاني ، ولا نصيراً عطف على « ولياً » .

الفوائد :

مناقشة طريفة :

قال الزمخشري في صدد تفسيره لهذه الآية : « ولو نصب على جواب التمني لجاز ، والمعنى : ودوا كفركم ، فكونكم معهم شرعاً واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء » .

تعقيب أبي حيان :

وتعقبه أبو حيان فقال : وكون التمني بلفظ الفعل ويكون له جواب فيه نظر ، وإنما المنقول أن الفعل ينتصب في جواب التمني إذا كان بالحرف نحو : ليت ، ولو إذا أشربت معنى التمني ، أما إذا كان بالفعل فيحتاج الى سماع من العرب ، بل لو جاء لم تتحقق فيه الجوابية ، لأن « وَدَّ » التي تدل على معنى التمني إنما متعلقها المصادر لا الذوات ، فإذا نصب الفعل بعد الفاء لم يتعين أن تكون فاء جواب ، لاحتمال أن يكون من باب عطف المصدر المقدر على المصدر الملفوظ به ، فيكون من باب :

ولبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشفوف

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
 أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَّاءُ
 إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ﴿٩٠﴾

اللفظة :

(حصرت) : من الحصر ، وهو الضيق والانتقاص • وحصر الصدر حصراً من باب تعب • وحصر القارئ : منع من القراءة ، فهو حصر • والحصور الذي لا يشتهي النساء ، وحصر الأرض وجهها ، والحصير : الحبس •

(السَّلَم) : الصلح والاستلام •

الاعراب :

(إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) إِلَّا أداة استثناء ، والذين مستثنى من الضمير في خذوهم واقتلوهم ، وجلة يصلون إلى قوم ، أي : يمتنون إليهم بنسبة ، لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإلى قوم متعلقان ب يصلون ، وبينكم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وبينهم ظرف معطوف على الظرف قبله ، وميثاق

مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جر صفة لقوم وجملة الاستثناء حالية (أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أو حرف عطف على يصلون، داخل في حيز الصلة، وقيل: هو عطف على صفة قوم، والوجه الأول أظهر، وجملة «حصرت صدورهم» حالية بتقدير: وقد، أو من غير تقديرها، وسيأتي مزيد بيان عنها في باب الفوائد. وأن يقاتلوكم مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض، أي: عن مقاتلتكم، وانجار والمجرور متعلقان بحصرت. ولك أن تجعل المصدر المؤول منفعولاً لأجله. أو يقاتلوا قومهم عطف على يقاتلوكم، وقومهم مفعول به (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لاستثناء الطائفة الأخيرة من حكم الأخذ والقتل، وادخالهم في زمرة المعاهدين. ولو شرطية وشاء الله فعل وفاعل، واللام رابطة لجواب الشرط وجملة لسلطهم عليكم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) الفاء عاطفة ولقاتلوكم عطف على سلطكم، فهو بمثابة التوكيد للجواب، أو بمثابة البدل من الأول. وسيأتي بحث عن هذه اللام في باب الفوائد. فإن: الفاء استئنافية وإن شرطية، واعتزلوكم فعل وفاعل ومفعول به في محل جزم فعل الشرط، والفاء عاطفة ولم يقاتلوكم عطف على اعتزلوكم (وألقوا إليكم السلم) عطف أيضاً (فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) الفاء رابطة للجواب وما نافية، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وجعل فعل ماض ينصب مفعولين، والله فاعل، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به أول، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وسيلاً مفعول به ثانٍ.

الفوائد:

تحدث ابن هشام عن هذه الآية فأتى بالمتع حيث قال: قوله:

« أو جاءوكم حصرت صدورهم » فذهب الجمهور الى أن « حصرت صدورهم » جملة خبرية ، ثم اختلفوا ، فقال جماعة منهم الأخفش : هي حال من فاعل « جاء » على إضمار « قد » ، واعلم أن إضمار « قد » واجب عند البصريين ، فيقولون : إن الجملة الماضية إذا وقعت حالا لا بد من اقترانها بقدر ظاهرة أو مقدره . وأما الأخفش فلا يرى وجوبها مع الماضي إذا وقع حالا ، فيقول : إن الجملة الماضية تقع حالا وتقرن بـ « قد » إن وجدت ، فإن لم توجد فلا تحتاج الى تقديره . ويؤيده قراءة الحسن : « حصرة صدورهم » أي : حال كونها حصرة ، أي : ضيقة . وقال آخرون : هي صفة فلا تحتاج الى إضمار « قد » . ثم اختلف هؤلاء ، فقليل : الموصوف منصوب محذوف ، أي : قوماً حصرت صدورهم ، ورأوا أن إضمار الاسم أسهل من إضمار حرف . وقيل : مخفوض مذكور ، وهم « قوم » المتقدم ذكرهم ، فلا إضمار البتة ، وما بينهما اعتراض . ويؤيده أنه قرئ بأسقاط « أو » ، وعلى ذلك يكون « جاءوكم » صفة لقوم ويكون « حصرت » صفة ثانية . وقيل : بدل اشتمال من « جاءوكم » ، لأن المجيء مشتمل على الحصر ، وفيه بُعد ، لأن الحصر صفة الجائين .

قال أبو العباس المبرد : الجملة انشائية ، ومعناها الدعاء ، مثل غلت أيديهم ، فهي مستأنفة . ورد أن الدعاء عليهم بضيق قلوبهم عن قتال قومهم لا يتجه . وأجيب بأن المراد الدعاء عليهم بسلب أهلية القتال بالمرّة تحقيراً لهم .

مناقشة حول اللام في « ولقاتلوكم » :

سمى ابن عطية هذه اللام لام المحاذاة والازدواج ، لأنها بمثابة

الأولى • ولو لم تكن الأولى كنت تقول : لقاتلوكم ، وقال أبو حيّان تعقيباً على ذلك : « وتسمية هذه اللام لام المحاذاة والازدواج تسمية غريبة ، ولم أرَ ذلك إلا في عبارة هذا الرجل وعبارة مكّي قبله » .

تعقيب على هذه المناقشة :

قلت : ولا طائل تحت هذه المناقشة التي تضل الطالب ، ولا تجدي شيئاً • ولقد أشرت الى هذا في باب الاعراب ، فهي ليست أكثر من توكيد للجواب ، فهي من باب التكرير والإبدال • وإنما أوردناها للاستئناس ، وليكون الطالب في منجاة من الاغترار بالتسمية الموهمة عندما يقع عليها في إعرابهم •

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ
مَّارِدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا۟ إِلَيْكُمُ
ٱلسَّلَٰمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ نَخَذُوهُمۡ وَأُقَتِّلُوهُمۡ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمُ
جَعَلْنَا لَكُمۡ عَلَيْهِمۡ سُلْطٰنًا مّبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾

اللفظة :

(أركسوا فيها) : انقلبوا فيها شر منقلب • وقد مر ذكره •

(ثقفتوهم) : ثقّف الشيء ثقفاً من باب تعب : أخذه ، وثقفت

الرجل في الحرب : أدركته ، وثقفته : ظفرت به ، وثققت الحديث : فهمته بسرعة . والتثقيف في الأصل : تقويم المعوج من الرماح والقصب وتسويته . وقد نجم عن هذا المعنى : تثقيف الغلام أي : تهذيبه وتقويم سلوكه ، ثم صار الثقف يعني الحذر وسرعة الفهم . وتجدد المعنى أخيراً في عصرنا فأصبح خاصاً بالعلم والثقافة في المعرفة ، وعلى هذا الأساس فلاحظ تطور اللغة في كل قطر عربي ، كما رأى أبناء كل جيل في كل بلد من بلاد الناس كيف ارتقت لغتهم بارتقائهم ، وتردّت بترديهم .

التطور الحي في اللغة :

وهكذا ما من حدث اجتماعي أو نهضة علمية أو سياسية الا صاحبها تطور في اللغة أو المعاني أو في كليهما معاً ، نعني في إحداث ألفاظ جديدة لبعض المعاني ، أو احداث معان جديدة لبعض الألفاظ ، أو في ذلك كله . وما من أحد ألمّ بتاريخ العرب وآدابهم يجهل ما أحدث الاسلام مثلاً من ثورة لغوية الى جانب الثورة الدينية والاجتماعية والفكرية . وستأتي معنا نماذج حية من هذا التطور الحي في هذا الكتاب العجيب . ومن هذا المنطلق تتبين ضرورة هذا الكتاب لناشئنا المتطورة ، لترى على ضوءه أسرار ما تجمع ، وتبصر على وجهه معنى الحركة في عقل الماضين ، وبذلك يستمر العقل اللغوي في منحى الحركة المتطورة بدلاً من ركوده في سكون مادة كانت يوماً من مقذوفات العقل اللغوي المتحرك .

الاعراب :

(ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) كلام مستأنف مسوق

لتقرير حال قوم آخرين من المنافقين غير من سبق الإلماع اليهم . والسين للاستقبال الاستمراري ، وسيأتي بحث طريف عنها في باب الفوائد . وتجدون فعل مضارع وفاعله ، وآخرين مفعول به وجملة يريدون صفة لآخرين ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول ليريدون (ويأمنوا قومهم) عطف على ما تقدم (كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط ، وقد تقدم اعرابه . وجملة ردوا الى الفتنة في محل جر بالاضافة ، أو لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي، والواو نائب فاعل وجملة أركسوا فيها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وفيها متعلقان بأركسوا (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، ولم حرف تقي وقلب وجزم ويعتزلوكم فعل مضارع مجزوم بلم وهو في محل جزم فعل الشرط ، ويلقوا اليكم السلم عطف عليه (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم) الفاء رابطة للجواب ، وجملة خذوهم في محل جزم جواب الشرط ، واقتلوهم : عطف على خذوهم ، وحيث ظرف مكان مبني على الضم متعلق باقتلوهم ، وجملة ثقتموهم في محل جر بالاضافة (وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) الواو عاطفة ، وأولئك اسم اشارة مبتدأ . وجملة جعلنا خبر ، لكم جار ومجرور في محل نصب مفعول به أول وعليهم متعلقان بمحذوف حال ، وسلطاناً مفعول به ثان ، ومبيناً صفة .

الفوائد :

بحث هام عن السين :

السين حرف يدخل على الفعل المضارع فيخلصه الى الاستقبال

والاستمرار ، وأتى بالسین هنا إشارة الى أن عبثهم بالمؤمنین هذا أمر مستمر ، وإن كان قد مضى ، وذلك أن رجالاً من الكفار كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا لأجل أن لا يقاتلوهم ، وإذا أتوا لقومهم كفروا . فأتى المولى سبحانه وتعالى بالسین إشارة الى أن حالتهم هذه هي ديدن مستمر لهم ، وأنهم لم يتركوه ، وإن كان ذلك قد وقع فيما مضى . وزعم ابن هشام أن الاستمرار إنما استفيد من المضارع ، كما تقول : فلان يقري الضيف ، ويصنع الجميل . تريد أن ذلك دأبه . والسین مفيدة للاستقبال ، إذ الاستمرار لا يكون إلا في المستقبل . وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ، ولم أر من فهم وجه ذلك . ووجه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه ، لأنه إخبار على إخبار ، والمتعلق واحد .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا

خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنْ

قَدْ
اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾

اللفظة :

(الدية) : هي في الأصل مصدر ، ثم أطلقت على المال المأخوذ في القتل . يقال : وَدَى يَدِي دِيَةً ، ، كوشى يشي شيةً ووشياً فحذفت فاء الكلمة .

الاعراب :

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) كلام مستأنف مسوق لتقرير أحكام القتل . والواو استئنافية وما نافية وهي هنا بمعنى النهي المقتضي للتحريم ، وكان فعل ماض ناقص والمؤمن متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، وأن يقتل مؤمناً مصدر مؤول اسم كان المؤخر ، وإلا أداة حصر ، وخطأ يجوز فيه أن يكون حالاً مؤولةً بالمشتق أي : مخطئاً ، أو منصوب بنزع الخافض أي : إلا بخطأ ، أو مفعول مطلق على الوصف ، أي : قتلاً خطأ ، أو مفعولاً لأجله ، وقدمه الزمخشري على غيره من الوجوه ، قال : « فإن قلت بهم انتصب خطأ ؟ قلت : بأنه مفعول له ، أي : ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ وحده » . وعندني أن الأوجه متساوية ، وسيرد في باب الفوائد مزيد من البحث فيه . (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، وقتل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ومؤمناً مفعول به وخطأ تقدم القول في إعرابه ، فتحرير الفاء رابطة

لجواب الشرط ، وتحريـر مبتدأ خبره محذوف ، أي : فعليه تحريـر رقبة وهو أولى وأنسب من جعله خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : فالواجب تحريـر رقبة ، ومؤمنة صفة لرقبة ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ودية مسلمة الى أهله إلا أن يصدقوا) الواو عاطفة ودية عطف على تحريـر رقبة ، ومسلمة صفة ، والى أهله متعلقان بمسلمة ، وإلا أن يصدقوا استثناء من أعم الاحوال أو من أعم الظروف ، أي إلا في حال الصدقة ، فهي حال ؛ أو حين يتصدقون ، فهي ظرف متعلق بمسلمة . وسيأتي بسط لذلك في باب الفوائد . هذا وقيل : إنه مستثنى منقطع (فإن كان من قوم عدو لكم) الفاء استثنائية وإن شرطية جازمة ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسم كان مستتر تقديره هو ، ومن قوم متعلقان بمحذوف خبر كان ، وعدو صفة لقوم ، ولكم متعلقان بمحذوف صفة لعدو (وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) الواو حالية ، وهو مبتدأ ومؤمن خبر ، والجملة في محل نصب حال ، وتحريـر مبتدأ خبره محذوف أي : فعليه تحريـر رقبة ، وقد تقدم إعرابه (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وكان واسمها المستتر ، ومن قوم خبرها ، وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وبينهم عطف على بينكم ، وميثاق مبتدأ مؤخر . (فدية مسلمة الى أهله) الفاء رابطة ، ودية مبتدأ خبره محذوف ، أي : فعليه دية ، ويجوز العكس ، وقد تقدم . ومسلمة صفة ، والى أهله متعلقان بمسلمة (وتحريـر رقبة مؤمنة) عطف على ما تقدم (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) الفاء استثنائية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ولم يجد في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وصيام مبتدأ خبره محذوف ، أو بالعكس ، وجملة فصيام في محل جزم جواب

الشرط وشهريّن مضاف اليه ومتتابعين صفة وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » . (توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً) توبة مفعول لأجله ، أي : شرع ذلك لكم رحمة منه ومتاباً . ويجوز نصبه على المفعولية المطلقة ، أي تاب عليكم توبة ، ومن الله صفة ، وانواو استئنافية ، وكان واسمها ، وعليماً حكيماً خبراها .

الفوائد :

١ - القول في خطأ :

قلت في الاعراب : إنه يجوز إعراب خطأ مستثنى منقطعاً ، لأنه ليس من الاول ، ولا يدخل الخطأ تحت التكليف . والمعنى : لكن إن قتل خطأ فحكمه كذا ، وهو إعراب جميل . وقد جنح الى هذا الاعراب أبو البقاء وأبو حيان ، وهو ما اختاره أيضاً سيبويه والزجاج والطبري ، وهو من الاستثناء المنقطع الواجب النصب ، والذي يسيه أهل العربية : منقطعاً ، ومنه قول جرير :

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تظا على الأرض إلا ربط برد مرّاح

يعني : ولم تظا على الأرض إلا أن تظا ذيل البرد ، وليس ذيل البرد من الأرض .

٢ - القول في « إلا أن يصدقوا » :

قلت في الاعراب : إنه يجوز جعل « أن يصدقوا » مستثنى من أعم الظروف ، فهو ظرف . وقد استبعد أبو حيان هذا التخريج قال : « أما جعل أن وما بعدها ظرفاً فلا يجوز . نص النحويون على

ذلك ، ومنعوا أن يقال : « أجيتك أن يصيح الديك » تريد وقت صياح الديك . وأما أن ينسبك منها مصدر فيكون في موضع الحال ، فنصوا أيضاً على أنه لا يجوز . قال سيويه : في قول العرب : « أنت الرجل أن تنازل وتخاصم » في معنى أنت الرجل نزالاً وخصومة ، أن اتصاب المفعول من أجله ، لأن المستقبل لا يكون حالاً ، فعلى هذا الذي قررناه يكون كونه استثناء منقطعاً هو الصواب .

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩٢)

الاعراب :

(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتهديد القاتل وتجريمه . ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويقتل فعل الشرط ، ومؤمناً مفعول به ، ومتعمداً حال ، فجزاؤه الفاء رابطة لجواب الشرط ، وجزاؤه مبتدأ وجهنم خبره أو بالعكس ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، وخالداً حال ، وفيها متعلقان بـ « خالداً » (وغضب الله عليه ولعنه) الواو عاطفة على مقدر لا بد منه لينسجم الكلام ، وهذا المقدر تدل عليه الشرطية ، أي : حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (وأعد له عذاباً عظيماً) عطف أيضاً .

البلاغة :

في هذه الآية فنّ مراعاة النظر ، وقد سبق القول فيه • وهو أن يأتي المتكلم بما يناسب المحتوى ، وقد حفلت هذه الآية بالألفاظ الدالة على الغضب والتهديد والوعيد والإرعاد والإبراق ، للإشارة الى أن جريمة القتل من أكبر الجرائم وأشدّها إمعاناً في الشر ، لما يترتب عليها من هدم لبناء المجتمع • وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد : « إن هذا الانسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » •

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ
اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤﴾

اللفظة :

(السلام) والسَّلَام بفتح السين واللام : التحية والاستسلام •
وقد قرئ بهما •

(ضربتم في الأرض) : سرتهم فيها لتجارة أو غزوة •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) كلام مستأنف مسوق للتحذير من الإقدام على القتل . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب ، وجملة ضربتم في محل جر بالاضافة ، وفي سبيل الله متعلقان بضربتم ، والفاء رابطة لجواب إذا ، وتبينوا فعل أمر والواو فاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام : لست مؤمناً) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقولوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ، ولن متعلقان بتقولوا ، وجملة ألقى إليكم السلام صلة الموصول ، وإليكم متعلقان بألقى ، والسلام مفعول به ، وجملة « لست مؤمناً » في محل نصب مقول القول ، ومؤمناً خبر لست (تبتغون عرض الحياة الدنيا) الجملة حالية من فاعل تقولوا ، أي : لا تقولوا تلك المقالة طالبين الغنيمة والعرض الفاني (فعند الله مغنم كثيرة) الفاء تعليلية للنهي ، والجملة لا محل لها ، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ومغنم مبتدأ مؤخر ، وكثيرة صفة (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) الجملة مستأنفة مسوقة لتشبيه حالتهم الراهنة بحالتهم التي كانوا عليها ، وكذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لكنتم أو الكاف الاسمية وحدها خبر كنتم المقدم وذلك مضاف إليهم ، ومن حرف جر وقبل ظرف مبني على الضم لقطعه عن الاضافة لفظاً لا معنى ، متعلق بمحذوف حال ، فمن الفاء عاطفة ، وجملة من الله معطوفة على كنتم ، وعليكم متعلقان بـ « من » (فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً) جعلها العربون عامة عاطفة على تبينوا الأولى ، وكرر الأمر بالتبيين تأكيداً . وعندي أن الفاء هي الفصيحة ، وأنه ليس هناك

تأكيد ، لأن الأمر الأول خاص بمن تقتلونه ، والأمر الثاني عام ، كأنما هو يقرر حكماً شاملاً ، أي : إذا عرفت هذا وأدركتم عواقبه فتيقنوا .
 وإن الله إن واسمها ، وجملة كان وما بعدها خبرها ، والجملة للتعليل ، وخيراً خبر كان ، وجملة تعملون لامحل لها صلة ما ، وبما متعلقان بـ « خيراً » .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

اللفظة :

غير أولى الضرر : أي أصحاب العاهات ، من عسى أو عرج أو زمانة ، ونحوها .

الاعراب :

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين) كلام مستأنف مسوق لبيان تفاوت طبقات المؤمنين بحسب التفاوت الحاصل بينهم في الجهاد ،

ولا نافية ويستوي فعل مضارع مرفوع ، والضمة مقدرة على الياء ،
والقاعدون فاعله ، ومن المؤمنين متعلقان بسحذوف حال من
« القاعدون » ومن الضمير المستكن فيه (غير أولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) غير : بدل من « القاعدون » ، ولم
نجعلها صفة ، لأن « غيراً » لا تتعرف بالإضافة ، لإيغالها في التنكير ،
ولا يجوز اختلاف الصفة والموصوف . ولم يأبه الزمخشري لما تقرر
في علم النحو ، فجعلها صفة . ويجوز نصبها على الاستثناء ، والأول
أرجح كما هو مقرر في كتب النحو ، لأن الكلام منفي ، وقد قرئ به .
ويجوز جرّها على أنها صفة للمؤمنين ، وقد قرأها الأعمش بالجر
أيضاً . وسيأتي بحث عنها في باب الفوائد . وأولي الضرر مضاف
إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ،
والمجاهدون عطف على « القاعدون » ، وفي سبيل الله متعلقان
بـ « المجاهدون » ، وبأموالهم متعلقان به أيضاً ، وأنفسهم عطف على
« بأموالهم » (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين
درجة) الجملة مفسرة لا محل لها لعدم الاستواء بين الفريقين . وفضل
الله فعل وفاعل ، المجاهدين مفعول به منصوب بالياء وجملة فضل الله
المجاهدين مفسرة لعدم الاستواء بين الفريقين ، وبأموالهم جار ومجرور
متعلقان بـ « المجاهدين » وأنفسهم معطوفة على أموالهم ، وعلى القاعدين
متعلقان بفضل ودرجة مفعول مطلق لأنها آلة التفضيل ورفع المرتبة ،
فهو كقولك : ضربته سوطاً . وأعربه بعضهم ظرفاً ، وليس ببعيد .
وأعربه آخرون حالاً ، وهو يحتاج عندئذ الى تقدير مضاف ، أي :
ذوي درجة . وقال بعضهم : هو تمييز ، ولا بأس بهذا القول .
وما ارتأيناه هو الأرجح (وكلاً وعد الله الحسنى) الواو اعتراضية ،
وكلاً مفعول به مقدم لـ « وعد » ، والله فاعل ، والحسنى مفعول به

ثان ، والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) الواو عاطفة ، والجملة عطف على ما تقدم ، وأجراً مفعول مطلق لأنه مرادف لفضل ، أو لأنه آله ، على حد قوله : درجة وسوطاً ، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد . وعظيماً صفة . (درجاتٍ منه ومغفرةٌ ورحمةٌ) درجات بدل من « أجراً » ومنه متعلقان بسحذوف صفة لدرجات ، ومغفرة ورحمة عطف على درجات ، ونصبهما الزمخشريّ على المفعولية المطلقة بإضمار فعلهما ، بمعنى : وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ، ولعله أولى لمراعاة التناسب (وكان الله غفوراً رحيماً) الواو استئنافية أو حالية ، وكان واسمها ، وغفوراً رحيماً خبراها ، والجملة مستأنفة أو حالية .

الفوائد :

ما يقوله ابن يعيش :

قال ابن يعيش عند كلامه على « غير أولي الضرر » : « وقرىء بالرفع والجبر والنصب ، فالرفع على النعت لـ « القاعدون » ، ولا يكون ارتفاعه على البدل في الاستثناء لأنه يصير التقدير فيه : لا يستوي إلا أولو الضرر ، وليس المعنى على ذلك ، إنما المعنى : لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون . والجبر على النعت للمؤمنين ، والمعنى : لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون ، والمعنى فيهما واحد . والنصب على الاستثناء . »

النحاة بين البدلية والوصفية لغير :

هذا وقد ترجح النحاة في البدلية والوصفية لـ « غير » ، فمن

احتجّ للبديلية قال : إن جعل « غير » صفة يوجب التأويل ، لأن « غير » لا تتعرف بالاضافة ، ولا يجوز اختلاف النعت والمنعوت تعريفاً وتنكيراً ، وتأويله إما بأن « القاعدون » لما لم يكونوا بأعيانهم بل أريد بهم الجنس أشبهوا النكرة فوصفوا بها كما توصف ، وإما بأن « غير » قد تتعرف إذا وقعت بين ضدّين . ومن احتجّ للوصفية قال : لا يكون ارتفاعه على البديل في الاستثناء ، لأنه يصير التقدير فيه : لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون — كما قال ابن يعيش — وهذا من طرائفهم التي تدل على ألمعية وثقوب ذهن ، فتأمل والله يرشدك .

رأي الزمخشري في اعراب أجراً :

قال الزمخشري : « لم نصب درجة وأجراً ودرجات ؟ قلت : نصب قوله « درجة » لوقوعها موقع المرفة من التفضيل ، كأنه قيل : فضلهم تفضيلة واحدة وظيره قولك : ضربه سوطاً ، بمعنى : ضربه ضربة . وأما أجراً فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجراً ودرجات ورحمة بدل من أجراً ويجوز أن ينتصب « درجات » نصب « درجة » كما تقول : ضربه أسواطاً ، بمعنى ضربات . كأنه قيل : وفضله تفضيلات . ونصب « أجراً عظيماً » على أنه حال من النكرة التي هي « درجات » مقدمة عليها . وانتصب « مغفرة » ورحمة » بإضمار فعلهما ، بمعنى : وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِمْلَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿٩٩﴾

الاعراب :

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) كلام مستأنف لتقرير حال جماعة أسلسوا ولم يهاجروا ، فقتلوا يوم بدر مع الكفار ، مع أن الهجرة كانت ركناً أو شرطاً في الاسلام ، ثم نسخ بعد الفتح . وإن واسمها ، وجملة توفاهم الملائكة لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وأصل توفاهم : تتوفاهم ، فحذفت إحدى التاءين حسب القاعدة المقررة ، وأجاز ابن جرير وغيره أن تكون فعلاً ماضياً مبنياً على الفتح المقدر . وليس ببعيد . والملائكة فاعل وظالمي أنفسهم حال . أما خبر إن فيجوز أن يكون محذوفاً تقديره : إن الذين توفاهم الملائكة هلكوا ، ويجوز أن يكون الخبر قوله : قالوا فيم كنتم ؟ ويجوز أن يكون : فأولئك مأواهم جهنم ، ودخلت الفاء زائدة في الخبر تشبيهاً للموصول باسم الشرط (قالوا فيم كنتم ؟) الضمير في قالوا يعود إلى الملائكة ، والجملة إما خبر كما قدمنا وإما مستأنفة مهيئة للجملة المحذوفة ، وفيه : في حرف جر وما الاستفهامية في محل جر نفي ، وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها ، والجار والمجرور متعلقان بسحذوف خبر كنتم المقدم ، والجملة في محل نصب مقول القول (قالوا كنا مستضعفين في الأرض) الضمير في قالوا يعود إلى الذين تتوفاهم الملائكة ، وجملة القول

مستأنفة ، وجملة كنا مستضعفين في الارض في محل نصب مقول القول ،
 ومستضعفين خبر كنا ، وفي الارض متعلقان بمستضعفين (قالوا : ألم
 تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الضمير في قالوا يعود الى الملائكة ،
 والجملة مستأنفة ، والهمزة للاستفهام الإنكاري للتبكيث ، ولم حرف
 نهي وقلب وجزم ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بـ « لم » ، وأرض
 الله اسم تكن ، وواسعة خبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول ،
 والفاء فاء السببية ، وتهاجروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد
 فاء السببية والولو فاعل ، وفيها متعلقان بتهاجروا (فأولئك مأواهم
 جهنم) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، وأولئك مبتدأ
 ومأواهم مبتدأ وجهنم خبر المبتدأ الثاني والجملة الاسمية خبر اسم
 الاشارة وجملة فأولئك إما خبر لـ «إن الذين» كما قدمنا وإما استئنافية .
 (وساءت مصيراً) الواو استئنافية أو حالية ، وساءت فعل ماض للذم ،
 ومصيراً تمييز ، والمخصوص بالذم محذوف أي : جهنم (إلا المستضعفين
 من الرجال والنساء والولدان) إلا أداة استثناء والمستضعفين مستثنى
 منهم لضعفهم وعدم تمكنهم من الهجرة ، فالاستثناء متصل ، وقيل :
 الاستثناء منقطع ، لأن المستثنى منه إما كفاراً وإما عصاة بالتخلف ،
 وهم قادرون على الهجرة ، فلم يندرج فيهم المستضعفون . ومن الرجال
 متعلقان بمحذوف حال ، والنساء والولدان عطف على الرجال
 (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) جملة لا يستطيعون صفة
 للمستضعفين ، وجاز وصف المعرفة بالجملة وهي فكرة ، لأن المعرفة
 هنا ليست لشيء معين بالذات ، على حد قول الشاعر :

ولقد أمر على اللثيم يسبني فمضيت ثمَّتَ قلتُ : لا يعنيني

وحيلة مفعول يستطيعون ، وجملة ولا يهتدون عطف على جملة

لا يستطيعون ، وسبيلاً مفعول يهتدون ، أو منصوب بنزع الخافض ، ولعله أقعد بالفصاحة ، أي : إلى سبيل من السبل المختلفة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) الفاء الفصيحة لأنها وقعت في جواب شرط مقدر ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، أي إذا أردت أن تعرف مصيرهم فأولئك ، وأولئك مبتدأ ، وعسى فعل ماض جامد من أفعال الرجاء ، والله اسم عسى ، والمصدر المؤول خبرها ، والجملة الفعلية خبر اسم الإشارة (وكان الله عفواً غفوراً) الواو حالية أو استئنافية : وكان واسمها ، وعفواً غفوراً خبرها .

﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾
 وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٥﴾
 اللفظة :

(المُرَافِق) بضم الميم وفتح الفين المعجمة : المذهب والحصن والمضطرَب ، فهو اسم مكان ، وعبرَ به للإشعار بأن المهاجر يرغب أنف قومه أي : يذلهم ، والرغم الذل والهوان ، وأصله لصوق الأنف بالرغام — بفتح الراء — وهو التراب ، ورغم أنه رغباً من باب قتل : كناية عن الذل ، كأنه لصق بالرغام هواناً وذللاً . ويتعدى بالألف ، فيقال : أرغم الله أنه ، وفعلته على رغم أنه — بفتح الراء وضبها — أي : غاضبته ، وهذا ترغيم له أي : إذلال . وهذا من الأمثال التي

جرت في كلامهم بأسماء الأعضاء ، ولا يراد أعيانها ، بل وضعوها لمعان غير المعاني الظاهرة ، ولا حظاً لظاهر الاسماء من طريق الحقيقة ، ومنه قولهم : كلامه تحت قدمي ، وحاجته خلف ظهري ، يريدون الإسهال وعدم الاحتفال . وفي القاموس : الرغم : الكره ، - ويثلاث - كالرغبة ، ورغمه كعلمه ومنعه : كرهه .

الاعراب :

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة)
كلام مستأنف مسوق لبيان حال المهاجرين في سبيل الله . والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويهاجر فعل مضارع فعل الشرط ، وفي سبيل الله متعلقان يهاجر ، ويجد فعل مضارع جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « مَنْ » ، ومراغماً مفعول به ، وكثيراً صفة ، وسعة عطف على « مراغماً » . (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله) تقدم إعراب ظيورها ، ومهاجراً حال والى الله ورسوله متعلقان بـ « مهاجراً » (ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) ثم حرف عطف ، ويدركه عطف على يخرج ، والهاء مفعول به ، والموت فاعل يدركه ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وجملة وقع أجره على الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « مَنْ » ، وعلى الله متعلقان بوقع (وكان الله غفوراً رحيماً) جملة مستأنفة وقد تقدم إعرابها .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا

مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ
 عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٥٠﴾
 الاعراب :

(وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح) كلام مستأنف
 مسوق لبيان أحكام قصر الصلاة . والواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل
 متضمن معنى الشرط ، وجملة ضربتم في الأرض في محل جر بالاضافة ،
 والفاء رابطة لجواب إذا وليس فعل ماض ناقص ، وعليكم جار ومجرور
 متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ، وجناح اسمها المؤخر ، والجملة
 لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أن تقصروا من الصلاة) المصدر المؤول
 منصوب بنزع الخافض ، أي : في قصر الصلاة والجار والمجرور صفة لجناح ،
 ومن الصلاة متعلقان بتقصروا . وبحث القصر من الصلاة مبسوط في كتب
 الفقه (إن خفتهم أن يفتنكم الذين كفروا) إن شرطية وخفتهم فعل ماض
 وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، وأن وما في حيزها مصدر
 مؤول مفعول به لخفتهم ، والذين كفروا فاعل وجملة كفروا صلة وجملة
 الشرط مستأنفة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي : فليس
 عليكم جناح أن تقصروا . (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً)
 الجملة تعليل لما تقدم من إباحة القصر ، وإن واسمها ، وجملة كانوا
 خبرها ، والواو اسم كان ولكم متعلقان بمحذوف حال ، وعدواً خبر
 كان . ومبيناً صفة .

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ

مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ
طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ
وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ
مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ
مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

الاعراب :

(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الواو استئنافية ، والكلام
مستأنف للشروع في أحكام صلاة الخوف ، والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ولا حجة فيه لمن ذهب الى أنه لا يرى صلاة الخوف بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل الخطاب شامل متناول لكل إمام •
ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، فيكون الكلام منسوقاً على ما تقدم •
وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة كنت في محل جر
بالإضافة ، والتاء اسم كان ، وفيهم متعلقان بسحذوف خبر كنت ،
والضمير يعود على الضارين في الأرض أو على الخائفين ، وكلاهما
محتمل • والفاء عاطفة ، وأقمت فعل وفاعل ، ولهم متعلقان بأقمت ،
والجملة معطوفة على جملة كنت ، والصلاة مفعول به
(فلتقم طائفة منهم معك) الفاء رابطة ، واللام لام الأمر ،

وتتم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وطائفة فاعل ومنهم متعلقان
بمحذوف صفة ، ومعك ظرف مكان متعلق بتتم (وليأخذوا أسلحتهم) •
وليأخذوا عطف على فلتتم ، وأسلحتهم مفعول به (فإذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم) تقدم إعراب قليره ، ومن ورائكم متعلقان بمحذوف خبر
فليكونوا (ولتأت طائفة أخرى لم يصلثوا فليصلوا معك) عطف أيضاً ،
وجملة « لم يصلوا » صفة ثانية لطائفة ، فليصلوا فعل مضارع وفاعله ،
ومعك ظرف مكان متعلق ب : فليصلوا (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم)
عطف أيضاً (ودد الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم)
الجملة مستأنفة مسوقة للتأكيد على زيادة الحذر لظن العدو أن الصلاة
مظنة لإلقاء السلاح • وود الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة
الموصول ولو مصدرية فهي موصول حرفي ، وهي منسوبة مع ما بعدها
بصدر منصوب لأنه مفعول تود ، وجملة تغفلون لا محل لها لأنها
صلة الموصول الحرفي ، وعن أسلحتكم متعلقان بتغفلون ، وأمتعتكم
عطف على أسلحتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) الفاء عاطفة ،
ويميلون عطف على تغفلون ، وعليكم متعلقان يميلون ، وميلة مفعول
مطلق وواحدة صفة (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر)
الواو عاطفة ، ولا نافية للجنس ، وجناح اسمها ، وعليكم متعلقان
بمحذوف خبر « لا » ، وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم
فعل الشرط ، وبكم متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، وأذى اسمها
المؤخر ، ومن مطر متعلقان بمحذوف صفة لأذى ، وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فلا جناح عليكم (أو كنتم مرضى أن
تضعوا أسلحتكم) أو حرف عطف ، وكنتم عطف على : كان بكم أذى ،
ومرضى خبر كنتم ، وأن تضعوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ،
أي : في أن تضعوا ، والجار والمجرور متعلقان بجناح أو بمحذوف صفة له

وأسلحتكم مفعول به (وخذوا حذركم) عطف أيضاً (إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) إن واسمها ، وجملة أعد للكافرين خبرها ، وعذاباً مفعول أعد ، ومهيناً صفة .

البلاغة :

في الآية عطف الحقيقة على المجاز ، وهو من البلاغة في ذروتها ، ومن الفصاحة في سدتها ، فالأسلحة حقيقة ، والحذر مجاز لأنه أراد به آلة من الآلات التي يستعملها الغازون في حروبهم ، فلذلك جسع بينه وبين الأسلحة في الأخذ ، جعلهما معاً كالأخوذيين . ومن طريف هذا المجاز الذي استعمل مع الحقيقة قول أبي تمام الطائي يصف ركبا :

وركب يساقون الركاب زجاجة

من السير لم تقصد لها كف قاطب

والمجاز في قوله : « زجاجة » أي : شراباً في زجاجة . والمعنى يسكرون المطي بالتعب ، فكأنهم سقوها شراباً لم تقصد له كف قاطب ، أي : ليس على الحقيقة شراباً يناوله الساقى صاحبه بقصد . وهذا التناسب بين المجاز والحقيقة لا يسهل إدراكه إلا على أهل الطبع المرفه ، والذوق المترف ، فافهمه ، وقس عليه ، والله يعصمك .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾

﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

مَوْقُوتًا ۝١٤٣ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۚ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَهُمْ

يَاْلَمُوْنَ كَمَا تَأْلَمُوْنَ وَتَرْجُوْنَ مِنْ اِلٰهِ مَا لَا يَرْجُوْنَ وَكَانَ اِلٰهُ عَلِيًّا
حِكْمًا ﴿١٤﴾

الاعراب :

(فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)
الفاء استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير ما يندب بعد أداء
صلاة الخوف على الوجه الكامل المبين . وإذا ظرف مستقبل متضمن
معنى الشرط ، وجملة قضيت الصلاة في محل جر بالاضافة ، والفاء
رابطة ، وجملة اذكروا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ،
وقياماً حال وقعوداً حال ثانية ، وعلى جنوبكم جار ومجرور متعلقان
بسحذوف حال ثالثة عن طريق العطف (فإذا اطمأنتتم فأقيموا
الصلاة) تقدم إعرابها ، والجملة معطوفة على ما تقدم (إن الصلاة كانت
على المؤمنين كتاباً موقوتاً) الجملة تعليل لما سبق ، وإن واسمها ، وجملة
كانت خبر إن ، وعلى المؤمنين متعلقان بـ « موقوتاً » وكتاباً خبر كانت ،
وموقوتاً صفة ، أي : محدوداً بأوقات (ولا تهنوا في ابتغاء القوم)
الواو عاطفة أو استئنافية ، ولا فاهية ، وتهنوا فعل مضارع مجزوم
بـ « لا » وفي ابتغاء القوم متعلقان بتهنوا (إن تكونوا تألمون فإنهم
يألمون كما تألمون) إن شرطية جازمة ، وتكونوا فعل مضارع ناقص
فعل الشرط ، والواو اسم كان ، وجملة تألمون خبرها ، وجملة الشرط
لا محل لها لأنها تعليلية للنهي ، فانهم الفاء رابطة للجواب ، وإن واسمها ،
وجملة يألمون خبرها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط
وكما تألمون في محل نصب على المفعولية المطلقة أو على الحالية ، وقد

تقدمت له ظائر (وترجون من الله مالا يرجون) عطف على جملة يألون ، وما اسم موصول مفعول به لترجون ، وجملة لا يرجون لا محل لها لأنها صلة (وكان الله عليماً حكيماً) تقدم إعرابه كثيراً .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ١٥٥ ﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ١٥٦ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ١٥٧ ﴿

الاعراب :

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) كلام مستأنف للتحذير من التعجل في الحكم ، وهو عام ، وإن واسمها ، وجملة أنزلنا خبرها ، وإليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به ، وبالحق متعلقان بمحذوف حال (لتحكم بين الناس بما أراك الله) اللام للتعليل وتحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور : لام التعليل والمصدر المؤول من أن المضمرة والفعل تحكم متعلقان بأنزلنا وبين الناس ظرف متعلق بتحكم ، وبما متعلقان بتحكم وجملة أراك الله لا محل لها لأنها صلة للموصول ، والإراءة هنا بمعنى المعرفة والعلم ، فالكاف مفعوله الأول والثاني محذوف ، وهو العائد المحذوف ، أي : بما أراك الله (ولا تكن للخائنين خصيماً) الواو عاطفة ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا ، واسم تكن مستتر تقديره أفت ، وللخائنين جار ومجرور متعلقان بخصيماً ، وخصيماً خبرها . (واستغفر

الله إن الله كان غفورا رحيما (عطف على ما تقدم ، وقد تقدم إعراب
نظائره .

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ خَوَانًا أَمِيمًا ﴾ (١٥٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ
اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٥٨﴾
اللفة :

(يختانون أنفسهم) : يستريبون بها ويخونونها بالمعاصي .

(يستخفون) : يستترون .

(يبيتون) يدبرون الأمر بليل . ولا يكاد يستعمل إلا في الشر ،
وعبارة المبرد في كامله :

« يقال بَيَّتَ فلان كذا وكذا إذا فعله ليلا ، وفي القرآن :
« وإذ يبيتون ما لا يرضى من القول » أي : أداروا ذلك ليلا بينهم » .

الاعراب :

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الواو عاطفة ولا فاهية ،

وتجادل فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت ، وعن الذين متعلقان بتجادل ، وجملة يختانون أنفسهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (إن الله لا يحب من كان خَوَافًا أَثِيمًا) تعليل للنهي ، وإن واسمها ، وجملة لا يحب خبرها ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة كان صلة الموصول وخَوَافًا خبر كان ، وأثِيمًا صفة ، أو هما خبران لكان (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) الجملة مستأنفة مسوقة لمجرد الإخبار بأنهم يطلبون الستر ، أو حالية من « مَنْ » على أنها موصولة ، وجملة ولا يستخفون من الله عطف على الأولى ، الواو حالية ، وهو مبتدأ ، والظرف معهم متعلق بمحذوف خبر ، والجملة حالية (إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) إذ ظرف لحكاية الحال الماضية ، وجملة يبيتون في محل جر بالاضافة ، وما اسم موصول مفعول به وجملة لا يرضى صلة الموصول ، ومن القول متعلقان بمحذوف حال (وكان الله بما يعملون محيطًا) تقدم اعراب ظواهرها كثيراً .

البلاغة :

- ١ - المبالغة في قوله : « خَوَافًا أَثِيمًا » : فقد استعمل صيغتين من صيغ المبالغة ، لأن الله كان عالماً من طعمة بن أبيرق الذي سرق درعاً من جاره وأودعها عند يهودي ، الإفراط في الخيانة وركوب المآثم .
- ٢ - المجاز في الاستخفاء : إذ الاستخفاء من الله محال ، لأن الله يعلم الجهر وما يخفى ، فيكون مجازاً عن الحياء .

﴿ هَاتُتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ
 اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾

الاعراب :

(ها أتم هؤلاء جادلتهم عنهم في الحياة الدنيا) كلام مستأنف مسوق لتبكيث قوم طعمة بن أيرق ، وهم بنو ظفر من الانصار الذين حاولوا ستر جنايته وسرقته . وها للتنييه وأتم مبتدأ وهؤلاء خبره ، وجملة جادلتهم خبر ثان ، وأعرّب بعضهم هؤلاء منادى محذوف منه حرف النداء ، وجملة النداء اعتراضية وهو صحيح . وعنهم جار ومجرور متعلقان بجادلتهم ، وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال ، والدنيا صفة (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) الفاء عاطفة ، ومن اسم استفهام انكاري مبتدأ ، وجملة يجادل الله خبر ، وعنهم متعلقان بجادل ، ويوم القيامة ظرف متعلق بمحذوف حال (أم من يكون عليهم وكيلا) أم حرف عطف ، ومن اسم استفهام مبتدأ ، ويكون فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « مَنْ » والجملة في محل رفع خبر « مَنْ » ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ « وكيلا » ووكيلا خبر يكون .

البلاغة :

في هذه الآية الالتفات ، في قوله : « ها أتم جادلتهم عنهم ... » فقد انتقل من الغيبة الى الخطاب ، لمشافهتهم بالتوبيخ والإنكار .

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى
 نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
 ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ ﴾

الاعراب :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) كلام مستأنف مسوق لحمل
 طعنة على التوبة ، ومع ذلك أصر على ركوب متن الشطط ، وأبى أن
 يتوب ، والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويعمل فعل
 مضارع فعل الشرط ، والفاعل هو ، وسوءاً مفعول به ، وأو حرف
 عطف : ويظلم نفسه عطف على يعمل ، ونفسه مفعول به (ثم يستغفر الله
 يجد الله غفوراً رحيماً) ثم حرف عطف ، ويستغفر الله عطف على
 ما تقدم ، ويجد الله جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه
 خبر « مَنْ » ، وغفوراً مفعول به ثان ، ورحيماً صفة
 (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه) عطف على ما تقدم ،
 وهو مماثل له في إعرابه . وجملة فإنما جواب الشرط ، وفعل الشرط
 وجوابه خبر من ، وعلى نفسه متعلقان بيكسبه ، لأن وبال الإثم متعلق
 بها (وكان الله عليماً حكيماً) تقدم إعرابها . (ومن يكسب خطيئة أو
 إثماً) تقدم إعرابه (ثم يرم به بريئاً) عطف على يكسب ووحيد الضمير

تغليبا للإثم، وبه متعلقان بـ «يرم» ، وبريئا مفعول به (فقد احتسب بهتانا وإثما مبينا) الجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من ° » ، والمعنى : فله عقوبتان .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَيْكَ مَا نَرَىٰ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١٧٧﴾
الاعراب :

(ولولا فضل الله عليك ورحمته) الواو عاطفة أو استئنافية إتماما لقصة بني ظفر الذين حاولوا إضلال النبي ، ولكن الله عصمه . والواقع أن الخطاب عام ، يتناول الناس جميعا في مختلف ظروف الزمان والمكان. ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ، وفضل الله مبتدا محذوف الخبر ، وعليك متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) اللام واقعة في جواب لولا ، وجملة همت طائفة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وقد يرد على ذلك اتقاء الهم ، لأن لولا لا تقتضي اتقاء جوابها لوجود شرطها ، ولكن المنفي في الحقيقة أثر الهم ، وسيرد هذا كله في مكانه من هذا الكتاب ، وأن يضلوك مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بهمت ، أي همت بإضلالك (وما يضلون إلا أنفسهم) الواو

حالية وما فافية ، ويضلون فعل مضارع علامة رفعه ثبوت النون ، وإلا أداة حصر ، وأتفسهم مفعول يضلون ، والجملة في محل نصب على الحال (وما يضرّونك من شيء) الواو عاطفة وما فافية ويضرّونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وهو معطوف على يضلون ، ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً منصوب على المفعولية المطلقة محلاً ، أي : شيئاً من الضرر (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة فيها معنى العلة لما تقدم ، والكتاب مفعول به ، والحكمة عطف على الكتاب (وعلمك ما لم تكن تعلم) عطف على ما تقدم ، وما اسم موصول مفعول علمك الثاني ، وجملة لم تكن صلة وجملة تعمل خبر تكن (وكان فضل الله عليك عظيماً) عطف أيضاً ، وكان فعل ماض فاقص وفضل الله اسمها ، وعظيماً خبرها ، وعليك جار ومجرور متعلقان بفضل .

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١١ ﴾

اللفظة :

(نجواهم) : النجوى في الأصل مصدر ، وهو التناجي في السر ، وقد يطلق على الأشخاص مجازاً ، قال تعالى : « وإذ هم نجوى » . ولا تكون النجوى إلا بين اثنين فصاعداً .

الاعراب :

(لا خير في كثير من نجواهم) كلام مستأنف مسوق لإتمام قصة بني ظفر . وهي عامة في حق الناس جميعاً . ولا نافية للجنس وخير اسمها انبني على الفتح ، وفي كثير جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، ومن نجواهم متعلقان بمحذوف صفة لكثير (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) إلا أداة حصر ، ومن اسم موصول بدل من « كثير » أو من « نجوى » ، فالاستثناء على هذا متصل على حذف مضاف ، وقيل : هي نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن « مَنْ » للأشخاص ، وليس التناجي من جنسها ، ويكون المعنى : لكن من أمر بصدقة ففي نجواه خير كثير . وبصدقة جار ومجرور متعلقان بأمر ، وما بعدها معطوف عليها ، وبين الناس ظرف مكان متعلق بإصلاح (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويفعل فعل الشرط ، وذلك مفعول به ، وابتغاء مرضاة الله مفعول لأجله (فسوف تؤتيه أجراً عظيماً) الفاء رابطة للجواب وسوف حرف استقبال وتؤتيه فعل مضارع ومفعول به أول . وأجراً مفعول به ثان ، والفاعل مستتر تقديره « نحن » . وعظيماً صفة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ وَمَنْ يُسَلِّقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ - ثُمَّ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٩﴾ ﴾

اللفة :

(المشاقّة) : المخاصمة والمخالفة •

(نوله ما تولى) فجعله والياً لما تولى من الضلال ، أي ما اختاره •

الاعراب :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) كلام مستأنف مسوق للتعقيب على قصة طعنة المرتدة ، والمراد عموم الحكم وشموله الناس • ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، يشاقق فعل مضارع فعل الشرط والرسول مفعول به ، ومن بعد متعلقان يشاقق ، وما مصدرية وهي مع تبين في تأويل مصدر مجرور بالاضافة ، وله متعلقان بتبين ، والهدى فاعل (ويتبع غير سبيل المؤمنين) عطف على يشاقق ، وغير سبيل المؤمنين مفعول به (نوله ما تولى) نوله جواب الشرط ، والهاء مفعوله الأول ، وما اسم موصول مفعوله الثاني ، وجملة تولى صلة الموصول وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « مَنْ » (ونصله جهنم وساءت مصيراً) عطف على نوله ، وجهنم منقول به ثان لنصله ، ومصيراً نصب على التمييز ، والمخصوص بالذم محذوف ، أي : جهنم •

الفوائد :

روي أن الامام الشافعي رحمه الله سئل عن آية في كتاب الله تعالى تنزل على أن الإجماع حجة ، فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجدته في

هذه الآية : « ومن يشاقق الرسول . . » الخ ، وتقرير الاستدلال أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، فيجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً ، وبيان المقدمة الاولى أنه تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين ومشاققة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد ، فلو لم يكن اتباع غير سبيل المؤمنين موجباً له لكان ذلك ضمناً لما لا أثر له في الوعيد الى ما هو مستقل باقتضاء ذلك الوعيد ، وأنه غير جائز ، فثبت أن اتباع غير سبيل المؤمنين حرام ، وإذا ثبت هذا لزم أن يكون عدم اتباع سبيلهم واجباً ، وذلك لأن عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه أنه اتباع لغير سبيل المؤمنين ، فإذا كان اتباع سبيل غير المؤمنين لزم أن يكون عدم اتباع سبيل المؤمنين حراماً وإذا كان عدم اتباعهم حراماً كان اتباع سبيلهم واجباً . هذا ولعلماء الأصول مناقشات طويلة ، وأسئلة وأجوبة ، حول صحة الاستدلال بهذه الآية ، يرجع اليها في مطائنها .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝١١٧﴾
اللفظة :

(مریداً) المرید والمراد هو الذي بلغ للغاية في الشر والفساد ، يقال : مرد من بابي نصر وظهرت إذا عتا وتجبر فهو مارد ومرید ، وأثبت الأصنام لأنها في عرفهم كذلك ، وأشهرها اللات والعزى ومناة .

وعن الحسن أنه لم يكن حيّ من أحياء العرب إلا كان لهم صنم يعبدونه ويسمونه أثنى بني فلان . وسيأتي مزيد تفصيل عن هذه الأصنام عند ذكرها بأسمائها .

الاعراب :

(إن الله لا يغفر أن يشرك به) كلام مستأنف مسوق للتأكيد على عدم غفران الشرك . وإن واسمها ، وجملة لا يغفر خبرها ، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول يغفر ، وبه متعلق بيشرك (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الواو عاطفة ، ويغفر فعل مضارع والفاعل هو ، وما اسم موصول مفعول به ، ودون ذلك ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ولمن يشاء متعلقان بيغفر ، وجملة يشاء صلة الموصول (ومن يشرك بالله) الواو حرف عطف ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويشرك فعل الشرط والجار والمجرور متعلقان بيشرك (فقد ضل ضلالاً بعيداً) الفاء رابطة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وضلالاً مفعول مطلق وبعيداً صفة ، وجملة الشرط والجواب خبر « من » (إن يدعون من دونه إلا إناآنا) الجملة تعليلية لا محل لها ، وإن نافية ، ويدعون فعل مضارع وفاعل ، ومن دونه متعلقان بيدعون ، وإلا أداة حصر ، وإناآنا مفعول به أو صفة لمفعول به محذوف ، أي : أصناماً مؤنثة لتأنيث أسمائها كاللات والعزى ومناة ، وقيل : لأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحليّ ، ويزينونها على هيئات النساء (وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً) الواو عاطفة وإن نافية ، ويدعون فعل وفاعل ، وإلا أداة حصر شيطاناً مفعول به ، ومريداً صفة .

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ
وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبَيِّنْ لَنَا آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ
خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعْدَمُ وَيُمَيِّنُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

اللفظة :

(تبكىت الآذان) : قطعها أو شقها ، كانوا يشقون آذن الناقة إذا
ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً ، وحرّموا على أنفسهم الاتّفاع
بها . وذلك من عاداتهم . كما كانوا يغيّرون خلق الله ، فيفقّون
عيون الأنعام إغفاء لها من الركوب ، أو يخصونها . ومن التّغيير في
خلق الله الوشم ، وفي الحديث : لعن الله الواشرات المرققات أسنانهن
والمتنفضات والمتنفضات ، أي اللواتي ينتفن شعورهن .

(محيصاً) مصدر حاص عنه إذا عدل وحاد . وله مصادر متعددة،
منها أيضاً حيوصاً ومحاصاً وحيصاً ، بفتح الياء .

الاعراب :

(لعنه الله وقال : لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً) الجملة

لا محل لها من الإعراب لأنها دعائية أو مستأنفة ، وجعلها بعضهم صفة لـ « شيطاناً » في الآية السابقة ، وأرى فيه بعداً وتكلفاً ، ولعنه الله فعل ومفعول به وفاعل ، وقال الواو استئنافية أو حالية بتقدير « قد » ، وجملة القسم مقول القول ، واللام جواب قسم محذوف ، وأتخذن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وجملة اتخذن لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف ، ومن عبادك متعلقان باتخذن ، ونصبياً مفعول به ، ومفروضاً صفة (والأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم) الجمل الثلاث معطوفات على اتخذن ، فهي مقولات الشيطان الخمس (فليبتكن آذان الأنعام) الفاء عاطفة ، وآذان الأنعام مفعول به (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) عطف أيضاً ، وأصل يغيرن : يغيروثن ، فحذف النون للجزم بلام الأمر ، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، وخلق الله مفعول به (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويتخذ فعل الشرط والشيطان مفعول به أول وولياً مفعول به ثان ومن دون الله متعلقان بمحذوف صفة لـ « ولياً » (فقد خسر خسراً مبيناً) الفاء رابطة ، وقد حرف تحقيق ، وخسراً مفعول مطلق ، ومبيناً صفة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (يعدمهم ويمينهم وما يعدمهم الشيطان إلا غروراً) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان حقيقة مواعيد الشيطان الكاذبة . ومفعولاً يعدمهم ويمينهم محذوفان للعلم بهما ، وما الواو حالية ، وما نافية ويعدمهم الشيطان فعل ومفعول به وفاعل ، وإلا أداة حصر ، وغروراً يحتل أن يكون مفعولاً ثانياً لـ « يمينهم » أو مفعولاً لأجله أو مفعولاً مطلقاً ، أي : ذا غرور ، وهي متساوية الرجحان (أولئك مأواهم جهنم) الجملة مستأنفة ، وأولئك مبتدأ ، ومأواهم مبتدأ ثان ، وجهنم خبر مأواهم ، والجملة الاسمية خبر أولئك (ولا يجدون عنها محيصاً)

الواو عاطفة ، ولا نافية ، ويجدون فعل مضارع وفاعل ، ومحيصاً
مفعول به ، وعنهما متعلقان بمحذوف حال ، لأن المصدر لا يعمل
فيما قبله .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ
اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١١٢)
اللفة :

(قِيلًا) مصدر كالقول والقال ، وقال ابن السكيت : القال
والقيل : اسمان لا مصدران .

الاعراب :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الواو استئنافية ، والذين
مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات فعل وفاعل ومفعول به
(سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) سندخلهم
فعل مضارع ومفعوله الأول ، والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة خبر
اسم الموصول ، وجنات مفعول به ثان على السعة أو منصوب بنزع
الخافض وقد تقدم ، وجملة تجري الخ صفة لجنات ، وخالدين حال ،
وفيها متعلقان بخالدين ، وأبداً ظرف متعلق بخالدين أيضاً (وعد الله

(حقاً) وعد الله مفعول مطلق لفعل محذوف ، وحقاً مفعول مطلق لفعل محذوف أيضاً ، وقيل : هو نصب على الحال ، وفي النفس منه شيء (ومن أصدق من الله قيلاً) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام مبتدأ وأصدق خبر ومن الله متعلقان بأصدق ، وقيلاً تمييز .

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١١٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (١١٤)

اللفظة :

(النقيير) : أصله النكتة في ظهر النواة كما تقدم ، وهو كناية عن القلة . وللنون مع القاف إذا كاتتا فاء للفعل وعيناً له معنى فريد يكاد يكون مطّرداً ، وهو التأثير وترك الأثر بعده ، فنقب الحائط معروف ، ونقب البيطار سرّة الدابة بالمنقب فأخرج ماء أصفر ، ونقح الكلام والشعر ، ونقحته السنون نالت منه ، ونقده الثمن ، ونقد الدرهم أي : ميز جيده ورديئه ، وهو من نقدة الشعر ونقاده ، ونقر الطائر الحب بمنقاره ، ونقر العود والدف : استحدث لهما صوتاً بعيد الأثر . وهذا من أوابد هذه اللغة وغرائبها .

الاعراب :

(ليس بأمانيتكم ولا أمانيت أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق

ليبان أن المفاضلة إنما تكون بالعمل الصالح والإنتاج الثمر وأن الإيمان ما وقر في القلب ودعاه العمل . وليس فعل ماض ناقص ، واسمها فيه خلاف عند النحاة والمعرين ، ف قيل : هو الوعد ، لأنه ليس منوطاً بالأمانى ، وقيل : هو الإيمان المفهوم من قوله : « والذين آمنوا » ، وذلك كله وارد وجيد والمرجع واحد . والباء حرف جر زائد ، وأمانىكم مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر ليس ، ولا أمانى أهل الكتاب عطف على أمانىكم (من يعمل سوءاً يجز به) الجملة استئنافية أو مفسرة ، وعلى كل حال لا محل لها من الإعراب ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويعمل فعل الشرط ، وسوءاً مفعول به ، ويجز جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وبه متعلقان بـ « يجز » ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً) عطف على « يجز » مجزوم مثله ، وله جار ومجرور متعلقان بحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « ولياً » فتقدم عليها ، ومن دون الله متعلقان بوجد ، بثابة المفعول الأول ، وولياً هو المفعول الثاني ونصييراً عطف على « ولياً » (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويعمل فعل الشرط ، ومن الصالحات متعلقان بيعمل ، ومعنى « من » التبويض ، لأن استيعاب الصالحات غير متاح للمكلفين ، وعجيب قول الطبري : إنها زائدة ، وليس بشيء . ومن ذكر متعلقان بحذوف حال لأنها أزالته الإبهام عن « من » ، أو أنثى معطوفة ، الواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة نصب على الحال ، (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) الفاء رابطة لجواب الشرط ، واسم الإشارة مبتدأ وجملة يدخلون الجنة خبر ، ولا يظلمون عطف على يدخلون ، وتفسيراً مفعول مطلق وقد تقدم بحثه . وجملة

أولئك يدخلون في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط ، وجوابه في محل رفع خبر « من » •

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۖ ﴾ (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿ ١٢٦ ﴾

الاعراب :

(ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام مبتدأ ، وأحسن خبره ، وديناً تمييز محوّل عن المبتدأ ، ومن متعلقان بأحسن ، وجملة أسلم وجهه صلة الموصول لا محل لها ، والله متعلقان بـ « أسلم » ، والواو حالية ، وهو مبتدأ ومحسن خبر ، والجملة حال من الضمير في « أسلم » ، (واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) الواو عاطفة ، وجملة اتبع معطوفة على جملة أسلم داخلية في حيز الصلة ، وملة إبراهيم مفعول به ، وحنيفاً حال من فاعل اتبع أو من إبراهيم أي : مائلاً الى الدين القويم (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) الواو واو الاعتراض ، وجملة اتخذ الله إبراهيم اعتراضية ، فائدتها التوكيد على تقرب إبراهيم وتمييزه بأنه اتخذ الله خليلاً ، وخليلاً مفعول به ثان لاتخذ (والله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ، والله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وما في

الأرض عطف على ما في السموات (وكان الله بكل شيء محيطاً) الواو عاطفة أو استئنافية ، وكان واسمها ، ومحيطاً خبرها ، وبكل شيء متعلقان بـ « محيطاً » .

البلاغة :

في قوله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) اعتراض والاعتراض عبارة عن جملة أو أكثر تعترض أثناء الكلام أو بين الكلامين المتصلين وتفيد زيادة في معنى غرض المتكلم غير دفع الإيهام وقد تقدم الكلام عليه عند قوله في البقرة « ولن تفعلوا » ونضيف إليه أنه يكون لأغراض متعددة فقد يكون للتنبيه والبيان ، قال الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتي كل ما قدرا

فقوله « فعلم المرء ينفعه » اعتراض للتنبيه والبيان ومثله ما يحكى أن الراضي بالله كتب يعتذر الى أخيه المقتفي وهما في المكتب ، وكان المقتفي قد اعتدى على الراضي والراضي هـ والكبير منهما فكتب إليه الراضي .

يا ذا الذي يغضب من غير شيء اعتب فعتباك حبيب إليّ
أنت على أنك لي ظالم أعز خلق الله كلاً عليّ

فقوله : على أنك لي ظالم اعتراض للتنبيه أما في الآية المتقدمة فهي تفيد التأكيد على وجوب اتباع ملة إبراهيم لأن من بلغت به الرتبة والزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً يوافقه في الخلال كان جديراً بأن تتبع ملته .

وقيل في سبب تسميته ابراهيم خليل الله ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله : لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريد لها للاضياف فاجتاز غلماناه بيطحاء لينة ، فسلثوا منها الغرائر (أي العدول) حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر وحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى (أي دقيق) واختبرت واشتم ابراهيم رائحة الخبز فقال : من أين لكم ؟ فقانت امرأته : من خليلك المصري فقال : بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا •

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفَنِّبُكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝١٧﴾

اللفظة :

(يستفتونك) : يطلبون منك الفتوى • والفتوى بفتح الفاء ، والفتيا بضمها ، والجمع الفتاوي بكسر الواو ، ويجوز الفتاوى بفتحها للتخفيف •

الاعراب :

(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الواو استئنافية ،
والجمله مستأنفة مسوقة للعودة الى ذكر النساء ، وبقيّة ما يتعلق بهنّ
من أحكام . ويستفتونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وفي النساء
متعلقان به ، وقل فعل أمر وفاعله أنت ، والجمله مستأنفة أيضاً ، والله
مبتدأ ، ويفتيكم فعل مضارع ومفعول به ، والجمله خبر ، وجمله الله
يفتيكم في محل نصب مقول القول ، وفيهن متعلقان يفتيكم (وما يتلى
عليكم في الكتاب في يتامى النساء) لك أن تجعل الواو عاطفة فيكون
اسم الموصول معطوفاً على الله ، أي : الله يفتيكم والمتلوّ في كتابه .
ولك أن تجعلها اعتراضية فتكون الجمله معترضة لا محل لها ، وتكون
« ما » مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله ، أي : يفتيكم . وعليكم
متعلقان يتلى ، وفي الكتاب متعلقان بمحذوف حال ، وفي يتامى النساء
متعلقان بمحذوف بدل من « فيهن » . وإضافة « يتامى » الى « النساء »
من باب اضافة الصفة الى الموصوف (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن)
اللاتي اسم موصول صفة للنساء ، وجمله لا تؤتونهن صلة ،
وما اسم موصول مفعول به ثان ، وجمله كتب صلة ، ولهن
متعلقان بكتب (وترغبون أن تنكحوهن) عطف على تؤتونهن . وأن
تنكحوهن مصدر مؤوّل منصوب بنزع الخافض وهو « في » ، أي :
في أن تنكحوهن لجمالهن وما لهنّ ، أو « عن » ، أي : ترغبون عن
نكاحهن لدماמתهن وفقرهن ، فهو من الكلام الموجه كما سيأتي في باب
البلاغة (والمستضعفين من ولدان) عطف على يتامى النساء ومن
الولدان متعلقان بمحذوف حال (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) الواو
عاطفة والمصدر المؤول مجرور عطفاً على المستضعفين ، أو تجعل المصدر
منصوباً بنزع الخافض ، فيكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف

معطوف على ما تقدم ، أي : ويأمركم بأن تقوموا • ولليتامى متعلقان
بمحذوف حال ، وبالقسط متعلقان بتقوموا (وما تفعلوا من خير فإن
الله كان به عليماً) الواو استئنافية ، وما اسم شرط جازم مبتدأ ، وتفعلوا
فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون ، ومن خير متعلقان بتفعلوا ،
والفاء رابطة ، وجملة إن الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط
وجوابه خبر « ما » ، وجملة كان في محل رفع خبر « إن » وعليماً خبر
كان . وبه الجار والمجرور متعلقان بـ « عليماً » .

البلاغة :

في هذه الآية الكلام الموجه ، وهو الذي يحتمل معنيين متضادين ،
وقد سبقت الإشارة إليه ، وذلك في قوله : « وترغبون أن تنكحوهن » ،
فهن إما جميلات أو دميمات حسب تقدير الجار • روي أن عمر بن
الخطاب كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت جميلة قال : زوجها
غيرك . والتمس لها من هو خير منك ، وإن كانت دميمة ولا مال لها
قال : تزوجها فأنت أحق بها ، وروى مسلم عن عائشة قالت : هذه
اليتيمة تكون في حجر وليّها ، فيرغب في جمالها ومالها ، ويريد أن
ينقص من صداقها ، فنهوا عن نكاحهنّ إلا أن تقسطوا لهنّ في إكمال
الصّدّاق ، وأمروا بنكاح سواهنّ • قالت عائشة : فاستفتى الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : « ويستفتونك في
النساء » إلى قوله : « وترغبون أن تنكحوهن » فبيّن لهم أن اليتيمة
إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ، ولم يلحقوها بسنتها
في إكمال الصّدّاق ، وإذا كانت مرغوباً عنها في قلة الجمال تركوها
تركوها والتمسوا غيرها • هذا وقد تقدم القول في الكلام الموجه ،

وبقي أن نقول : إن مما يحتمل المعنيين المتضادين قول النبي صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام » فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان : أحدهما أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام ، أي أن صلاة واحدة فيه لا تفضل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دونها ، بخلاف المساجد الباقية ، فإن ألف صلاة تقصر عن صلاة واحدة فيه . ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه : « أطولكنّ يداً أسرعكن لحوقاً بي » . فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن ، حتى ينظرن أيتهن أطول يداً ، ثم كانت زينب أسرعهن لحوقاً به ، وكانت كثيرة الصدقة ، فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة وإنما أراد الصدقة . فهذا القول يدل على المعنيين المشار إليهما . ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل شيئاً فعلته لم فعلته ؟ ولا شيئاً لم أفعله لم لا فعلته ؟ وهذا القول يحتل وجهين من التأويل ، أحدهما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يصعبه ، والآخر أنه وصف نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الأعمال ، كأنه متفطن لما في نفس الرسول ، فيفعله من غير حاجة إلى استئذانه . ومن ذلك ما ورد في أحد الأدعية النبوية ، فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال : « اللهم اقطع أثره » وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل : الأول أنه دعا عليه بالزمانة ، لأنه إذا زمن لا يستطيع أن يمشي على الأرض ، فينقطع حينئذ أثره . الوجه الثاني : أنه دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب . الوجه الثالث : أنه دعا عليه بأن لا يكون

له أثر من الآثار مطلقاً ، وهو أن لا يفعل فعلاً يبقى أثره من بعده ،
كائناً ما كان ، من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك •

قصة خالد بن الوليد وعبد المسيح :

ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ لما نزل بهم
خالد بن الوليد على الحيرة ، وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقلية ،
فلما مثل بين يديه قال : انعم صباحاً أيها الملك فقال له خالد :

— قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام عليكم ، ثم قال له :

— من أين أقصى أثرك ؟

قال : من ظهر أبي •

قال : فمن أين خرجت ؟

قال : من بطن أمي •

قال : فعلام أنت ؟

قال : على الارض •

قال : فقيم أنت ؟

قال : في ثيابي •

قال : ابن كم أخت ؟

قال : ابن رجل واحد •

قال خالد : ما رأيت كاليوم قط ، أنا أسأله عن الشيء وهو ينجو

في غيره !

وهذا من توجيه الكلام على نمط حسن ، وهو يصلح أن يكون جواباً لخالد عما سأل ، وهو يصلح أن يكون جواباً لغيره مما ذكره عبد المسيح بن ثقيلة .

توجيه طريف لأفلاطون :

ومما يجري على هذا النهج ما يحكى عن أفلاطون أنه قال : «ترك الدواء دواء» ، فذهب بعض الأطباء أنه أراد: إن لطف المزاج وانهى الى غاية لا يحتل الدواء فتركه حينئذ والاضراب عنه دواء . وذهب آخرون أنه أراد بالترك الوضع ، أي وضع الدواء على الداء دواء . يشير بذلك الى حذق الطبيب في أوقات علاجه .

التوجيه المضاد في الشعر :

فاذا عدنا الى الشعر وأينا الفرزدق ينحو في شعره هذا النحو من التوجيه فيقول :

إذا جعفر مرت على هضبة الحمى فقد أخزت الاحياء منها قبورها

وهذا — كما ترى — يدل على معنيين متضادين : أحدهما ذمّ الاحياء ، والآخر ذم الاموات . أما ذم الاحياء فهو أنهم خذلوا الاموات ، يريد أنهم تلاقوا في قتالهم وقوماً آخرين فقرّ الاحياء عنهم وأسلموهم ، أو أنهم استنجدوهم فلم ينجدوهم . وأما ذم الاموات فهو أن لهم مخازي وفضائح توجب عاراً وشناراً ، فهم يميرون بها الاحياء ويلصقونها بهم .

بيت لأبي تمام :

وعلى هذا ورد قول أبي تمام :

بالشعر طول إذا اصطككت قصائده

في معشر وبه عن معشر قصر

فهذا البيت يحتمل تأويلين متضادين : أحدهما أن الشعر يتسع مجاله بمدحك ، ويضيق بمدح غيرك . يريد بذلك أن مآثره كثيرة ، ومآثر غيره قليلة . والآخر : أن الشعر يكون ذا فخر ونباهة بمدحك ، وذا خمول وتبليد بمدح غيرك . فلفظة الطول يفهم منها ضدّ القصر ، ويفهم منها الفخر ، من قولنا :

طال فلان على فلان أي فخر عليه .

بيت أبي كبير الهذلي :

ومما ينتظم بهذا السلك قول أبي كبير الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما اتقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة تقضي الأوقات مدة الوصال ، فلما اتقضى الوصل عاد الدهر الى حاله في السكون والبطء ، والآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنائم والوشايات ، فلما اتقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية . وهذا من باب وضع المضاف اليه مكان المضاف ، كقوله تعالى : « واسأل القرية » أي : أهل القرية .

بيت أبي الطيب المتنبي :

ومن المعنى الدقيق في هذا الصدد قول أبي الطيب المتنبي في مديح
عضد الدولة :

لو فطنت خيله لنائله لم يرضاها أن تراه يرضاها

وهذا يستنبط منه معنيان ضدان : أحدهما أن خيله لو
علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه ،
لأن عطاياه أنفس منها . والآخر أن خيله لو علمت أنه يهبها من جملة
عطاياه لما رضيت ذلك إذ تكره خروجها عن ملكه .

وبين الحقيقة والمجاز :

وهذا كله لا يعدو الحقيقة ، فإذا احتل الحقيقة والمجاز وتجاوزاه ،
بلغ أسنى درجات الإعجاز ، وسيأتي في مواطنه . ولكننا حرصاً على
إتمام البحث نورد مثالا واحداً من الشعر ، وفيه نرى المعنيين مجازيين
كقول أبي تمام :

قد بلونا أبا سعيد حديثاً وبلونا أبا سعيد قديماً

ووردناه ساحلاً وقلبياً ورعيناه بارضاً وجميماً

فعلمنا أن ليس إلا بشق النفس صار الكريم يدعى كريماً

فالساحل والقلب يستخرج منهما تأويلان مجازيان ، أحدهما أنه أراد
بهما الكثير والقليل بالنسبة إلى الساحل والقلب ، والآخر أنه أراد بهما

السبب وغير السبب ، فإن الساحل لا يحتاج في ورده الى سبب ، والقلب يحتاج في ورده الى سبب ، وكلا هذين المعنيين مجاز ، فإن حقيقة الساحل والقلب غيرهما ، والوجه هو الثاني لأنه أدلّ على بلاغة القائل ، ومدح المقول فيه . أما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير ، والمخالفة بين صدر البيت وعجزه يدلّ على القليل والكثير ، لأن البارض هو أول النبت حين يبدو ، فإذا كثر وتكاثف سمي جميماً ، فكأنه قال : أخذنا منه تبرعاً ومسألة ، وقليلاً وكثيراً ، وأما مدح المقول فيه فلتعداد حالاته الأربع في تبرعه وسؤاله ، وإكثاره وإقلاله ، وما في معاناة هذه الاحوال من المشاق . والكلام في هذا يطول ، ولكنه كالحسن غير ملول .

الفوائد :

١ - يقاس حذف الجارفي أنّ وأنّ بشرط أمن اللبس ، ويشكل عليه قوله تعالى : « وترغبون أن تنكحوهن » فحذف الجار هنا مع أن اللبس موجود ، بدليل أن المفسرين اختلفوا في المراد ، فبعضهم قدر « في » وبعضهم قدر « عن » ، واستدل كلٌّ على ما ذهب اليه ، وأجيب عنه بجوابين :

أ - أن يكون حذف الجر اعتماداً على القرينة الرافعة للّبس .

ب - أن يكون حذف لقصد الإبهام ليرتدع بذلك من يرغب فيهن لجمالهنّ ومالهنّ ، ومن يرغب عنهنّ لدمايتهن وفقرهن .
فالاختلاف إذن في القرينة .

٢ - أجازوا في يتامى النساء أوجهاً أخرى نوردها ترويضاً للذهن

منها انها بدل اشتغال من قوله في الكتاب ولا بد من تقدير مضاف أي في حكم يتامى النساء ولا شك أن الكتاب مشتمل على ذكر أحكامهن ومنها أنها متعلقان يتلى وساغ تعلق حرفي جر بلفظ واحد لأن معناها مختلف . قال أبو البقاء : كما تقول : جئتك في يوم الجمعة في أمر زيد ومنها أنها متعلقان بسحذوف حال أي كائناً في حكم يتامى النساء .

﴿ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨ ﴾
 وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنْذَرُوهُنَّ كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٢٩ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ١٣٠ ﴾
 اللفظة :

(النُّشُوز) النبوة والتجافي عنها ، وأن يمنعها نفسه وثقته ومحبه ، وتطمع عيناه الى أجل منها .

(الإعراض) : أن يقلّ محادثتها ومؤانستها ومضاجعتها .

(المعلقة) : هي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة ، قالت :

هل هي إلا حلة" أو تطلق أو صلف" أو بين ذلك تعليق

وهذا بيت طريف ، تستنكر الشاعرة حالة الزوجة مع زوجها ،
وتصفها بأنها ليست سوى حلة صغيرة بحظوة الزوج بها ، أو تطلق
لها ، أو صلف ، أي عدم حظوة من الزوج . يقال : نساء صلائف
وصالقات : لم يحظهن الزوج ، أو تعليق بين ذلك المذكور من الاحوال.
والحظ النصيب والجد ، ولعل الحلة واحد الحظ ، و صلفت المرأة
صلفاً إذا لم تحظ عند زوجها وأبغضها .

الاعراب :

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) الواو استئنافية ،
والجملة مستأنفة لتقرير حكم من أهم الأحكام ، ومعالجة لأخطر
موضوع اجتماعي . وإن شرطية وامرأة فاعل لفعل محذوف يفسره
ما بعده ، ولا يجوز رفعها على الابتداء ، لأن الشرط يتقاضى الفعل ،
وجملة خافت من بعلها مفسرة لا محل لها ، ومن بعلها متعلقان بخافت
أو بمحذوف حال ، لأنه كان صفة في الأصل لـ « نشوزاً » فلما قدم
عليها أعرب حالاً . ونشوزاً مفعول به وإعراضاً عطف على « نشوزاً »
(فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً) الفاء رابطة ، ولا فافية
للجنس ، وجناح اسمها ، وعليهما متعلقان بمحذوف خبرها ، وأن
يصلحا بينهما مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض أي : في أن يصلحا ،
والجار والمجرور متعلقان بجناح أو بمحذوف صفة له ، وبينهما ظرف
متعلق بمحذوف حال ، لأنه كان صفة لـ « صلحاً » ثم تقدمت الصفة
على الموصوف فأعربت حالاً . وصلحاً مفعول مطلق وتفاصيل الصلح
مبسوطة في كتب الفقه (والصلح خير) الواو اعتراضية ، والجملة من

المبتدأ والخبر معترضة لا محل لها (وأحضرت الأتقى الشح) الواو اعتراضية أيضاً ، وأحضرت فعل ماض مبني للمجهول ، والأتقى نائب فاعل ، والشح مفعول به ثان ، والجملة معترضة أيضاً (وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خيراً) الواو عاطفة أو استئنافية ، وإن شرطية وتحسنوا فعل الشرط وتتقوا عطف عليه ، وجواب الشرط محذوف للعلم به ، أي : فالإحسان والالتقاء خير ، والفاء تعليلية ، وإن واسمها ، وجملة كان خبرها ، وبما تعملون متعلقان بـ « خيراً » ، وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وخبيراً خبر كان (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) الواو استئنافية ، ولن حرف نهي ونصب واستقبال ، وتستطيعوا مضارع منصوب بـ « لن » وعلامة نصبه حذف النون ، وأن تعدلوا مصدر مؤول مفعول به لتستطيعوا ، وبين النساء ظرف متعلق بتعدلوا (ولو حرصتم) الواو حالية ، ويسميها بعضهم وصلية ، ولو شرطية ، وحرصتم فعل وفاعل (فلا تملوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفتم ذلك فلا تملوا ، فتكون الجملة لا محل لها ، ولا فاهية ، وتميلوا مضارع مجزوم بلا ، وكل الميل مفعول مطلق ، فتذروها الفاء هي السببية ، فت نصب تذروها بأن مضمرة بعدها ، لأنها وقعت في جواب النهي ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة ، فتجزم « تذروها » عطفاً على تملوا ، وكالمعلقة الكاف اسم بمعنى مثل فتكون في محل نصب على الحال من الفاء في تذروها ، أو هي جارة فيتعلق الجار والمجرور بمحذوف على الحالية كما تقدم ، أي : مشابهة للمعلقة . (وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً) تقدم اعراب مثلتها قريباً (وإن يترقا ينف الله كلاماً من سعة) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، ويتفرقا فعل الشرط وألف الاثنين فاعل ، وينف جواب الشرط علامة جزمه حذف حرف العلة ، والله فاعل ، وكلام

مفعول به ، ومن سحته متعلقان بـ « يغن » (وكان الله واسعاً حكيماً)
تقدم إعرابه كثيراً .

الفوائد :

١ - إذا وقع ما هو فاعل في المعنى بعد أداة مختصة بالأفعال
أعرب فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده ، لأن اختصاص
هذه الأدوات بالفعل يحتم ذلك ، وإلا وقع التناقض ، وذلك مثل
أدوات الشرط . وأجاز الكوفيون وبعض البصريين إعرابه مبتدأ ،
وساغ الابتداء به إذا كان نكرة تقدمت أداة الشرط عليه ، أما إذا كانت
الأداة مترجمة بين الفعل والاسم نحو : « أبشر يهدوتنا » فيجوز إعرابه
« بشر » مبتدأ ، وهو الأرجح ، وجملة يهدوتنا خبره ، ويجوز إعرابه
فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده ، وهو « يهدوتنا » ،
لأن همزة الاستفهام تتعاور كلاهما من الاسم والفعل .

٢ - يجوز حذف ما علم من شرط إذا كانت الأداة « إن » أو
« من » حال كونها مقرونة بـ « لا » النافية ، كقول الأحوص :

فطلّقتها فلست لها بكفٍ ، وإلا يعلّ مفركك الحسام

أي وإلا تطلقها يعل مفركك الحسام . وقد يتخلف واحد من
« إن » والاقتران بلا ، وقد يتخلفان معاً . فالأول ما حكاه ابن
الأنباري في الإنصاف عن العرب : من يسلم عليك فسلم عليه ، ومن
لا فلا تبعاً به . أي : ومن لا يسلم عليك فلا تبعاً به . والثاني نحو :

« وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً » فحذف الشرط مع اقتفاء الاقتران
بـ « لا » ، أي : وإن خافت امرأة خافت ...

والثالث كقوله :

متى تؤخذوا قسراً بظنة عامر ولم ينسج إلا في الصفاة أسير

أي متى تثقفوا تؤخذوا ، فحذف الشرط مع اقتفاء الأمرين .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٢١﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾

الاعراب :

(ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ، ولله
متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي
السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وما في الأرض عطف على
ما في السموات (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم)
الواو استئنافية ، واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق
ووصينا فعل وفاعل والذين مفعول به وجملة أوتوا الكتاب صلة

والكتاب مفعول به ثانٍ لـ « أوتوا » وجملة قد وصينا لا محل لها لأنها جواب للقسم المقدّر ، ومن قبلكم متعلقان بمحذوف حال ، وإياكم عطف على الذين ، أي : ووصيناكم (أن اتقوا الله) أن مفسرة بسغنى أي ، لأن التوصية في معنى القول ، أو مصدرية ، وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي : بأن اتقوا والجار والمجرور متعلقان بوصينا (وإن تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض) الواو حرف عطف ، وإن حرف شرط جازم ، وتكفروا فعل الشرط والجواب محذوف تقديره : فلن تضروه شيئاً ، والفاء عاطفة ، وإن حرف مشبه بالفعل والله متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، وما اسم موصول اسم إن المؤخر ، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وما في الأرض عطف على ما في السموات (وكان الله غنياً حميداً) الواو عاطفة وكان واسمها وخبرها (والله ما في السموات وما في الأرض) لله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « ما » المقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وما في الأرض عطف على ما في السموات (وكفى بالله وكيلاً) الواو استئنافية وكفى فعل ماض ، والباء حرف جر زيد بالفاعل وهو الله ، ووكيلاً تمييز .

﴿ إِن يَسْأَلْكَ أَهْلُهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِعَٰثِرِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ ﴾

الاعراب :

(إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) إن شرطية ويشأ فعل الشرط، ويذهبكم جواب الشرط وأيها الناس تقدم إعرابه ويأت عطف على يذهبكم، وبآخرين جار ومجرور متعلقان بيأت (وكان الله على ذلك قديراً) الواو حالية أو استئنافية، وكان واسمها، وقديراً خبرها، وعلى ذلك متعلقان بـ « قديراً » (من كان يريد ثواب الدنيا) من اسم شرط جازم مبتدأ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها مستتر يعود على « من »، وجملة يريد خبرها، وثواب الدنيا مفعول به (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) الفاء رابطة للجواب، وعند ظرف مكان منعلق بمحذوف خبر مقدم، ولفظ الجلالة مضاف إليه، وثواب الدنيا والآخرة مبتدأ مؤخر، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر « من »، (وكان الله سميعاً بصيراً) الواو استئنافية، وكان واسمها وخبرها .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْإِقْصٰطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أُولَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تُتَّبِعُوا الْهَوٰى أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلَوْدَا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٢٥﴾

اللفظة :

(القسط) العدل . وفي المصباح المنير : قَسَطَ يَقْسِطُ قِسْطًا ، من باب ضرب : جار وعدل أيضاً ، فهو من الأضداد ، قاله ابن القطّاع . وأقسط بالألف : عدل ، والاسم القِسْط بالكسر .

(تلووا) : ثَمِّلُوا أَلَسْتُمْ مَعْرِضِينَ عن الحق . ويقال : لواني الرجل حقي ، والقوم يلوونني دَيْئِي وذلك إذا مطلوه لِيًّا . فالمراد باللي المطل ، قال الأعشى :

يلوينني دَيْئِي النِّهَارَ وأَقْضِي

ديني إذا وَقَدَ النَّعَاسُ الرَّاقدَا

وهذا البيت من أبيات جِيَاد أولها :

إِن الْغَوَانِي لَا يُوَاصِلُنْ أَمْرًا فَقَدْ الشَّبَابُ وَقَدْ يَصِلُنْ الْأَمْرَدَا

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعراب ظائره (كونوا قوامين بالقسط) كلام مستأنف مسوق للقيام بالقسط مع الغني والفقير على السواء ، وكونوا فعل أمر ناقص والواو اسمها ، وقوامين خبرها ، وبالقسط متعلقان بقوامين (شهداء لله ولو على أنفسكم) شهداء خبر ثان لكونوا ، والله جار ومجرور متعلقان بشهداء والواو حالية ، ولو شرطية ، وعلى أنفسكم متعلقان بمحذوف خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو الشرطية ، أي : ولو كانت الشهادة على أنفسكم ،

وجواب لو محذوف ، أي فلا تحجموا عن أداء الشهادة • (أو الوالدين والأقربين) عطف على أنفسكم (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) إن شرطية ويكون فعل مضارع ناقص فعل الشرط واسم يكن ضمير مستتر تقديره : المشهود عليه ، وغنياً خبر يكن ، أو حرف عطف وفقيراً عطف على « غنياً » ، فالله الفاء رابطة لجواب الشرط ، والله مبتدأ وأولى خبر وبها متعلقان بأولى ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) الفاء الفصيحة ولا ناهية ، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والهوى مفعول به ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول لأجله من « تعدلوا » ، إما من العدل فيكون التقدير كراهية أن تعدلوا وإما من العدول فيكون التقدير : بغية أن أن تعدلوا (وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خيراً) الواو عاطفة وإن شرطية ، تلوا فعل الشرط ، أو تعرضوا عطف عليه ، وجواب الشرط محذوف دللت عليه الفاء الرابطة ، والتقدير يعاقبكم ، وإن واسمها ، وجملة كان خبرها وبما تعملون متعلقان بـ « خيراً » ، وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وخيراً خبر « كان » والجملة كلها تعليل لما تقدم لا محل لها •

الفوائد :

١ - اختلف النحاة في عود الضمير في قوله : « بهما » ، والقاعدة أنه إذا عطف بـ « أو » كان الحكم في عود الضمير أو الاخبار وغيرهما لأحد الشئتين أو الأشياء ، فتقول : زيد أو عمرو أكرمه ، ولا يقال : أكرمتها ، وعلى هذا يرد الاعتراض الآتي : كيف ثنى الضمير في قوله « بهما » والعطف بـ « أو » ؟ وتقرير الجواب يتلخص فيما يلي :

أ - إن الضمير في « بهما » ليس عائداً على الغني والفقير المذكورين ، بل على جنس الغني والفقير ، والجنس واحد .

ب - إن « أو » ليست للتخيير بل للتفصيل ، وهذا ما جنح إليه أبو البقاء ، فقال ما معناه : إن كل واحد من المشهود له والمشهود عليه يجوز أن يكون غنياً وأن يكون فقيراً ، وقد يكونان غنيين وقد يكونان فقيرين ، فلما كانت الأقسام عند التفصيل على ذلك ، ولم تذكر ، أتى بـ « أو » لتدل على التفصيل ، فعلى هذا يكون الضمير في « بهما » عائداً على المشهود له والمشهود عليه ، على أيّ وصف كانا عليه .

عبارة ابن جرير :

أما ابن جرير فقال : أريد : فالله أولى بغنى الغني وفقير الفقير ، لأن ذلك منه لا من غيره ، فلذلك قال : « بهما » ولم يقل « به » . وقال آخرون : أو بمعنى الواو في هذا الموضع .

٢ - كثر حذف « كان » واسمها بعد « إن » و « لو » الشرطيتين . لأن « إن » أمّ الأدوات الجازمة ، و « لو » أمّ الأدوات غير الجازمة ، كما أن « كان » أمّ بابها . وهم يتوسعون في الأمهات ما لم يتوسعوا في غيرها . ومن أمثلة حذف كان واسمها بعد إن في الشعر قول النعمان بن المنذر :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً

فما اعتذارك من قول إذا قيلاً

أي : إن كان المقول صدقاً وإن كان المقول كذباً . ومن أمثلة حذفها مع اسمها بعد « لو » قول الآخر :

لا يَأْمَنُ الدَّهْرُ ذُو بَغْيٍ وَلَوْ مُلْكًا

جنوده ضاق عنها السهل والجبل

أي : ولو كان الباغي ملكاً .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي
نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله) كلام مستأنف مسوق للأمر بالثبات على الإيمان .
وآمنوا فعل أمر والواو فاعل ، وبالله متعلقان بآمنوا ، ورسوله عطف
على الله ، والكتاب عطف أيضاً ، والذي صفة للكتاب ، وجملة نزل على
رسوله صلة الموصول (والكتاب الذي أنزل من قبل) والكتاب عطف
أيضاً ، أي جنس الكتاب ، فالمراد الكتب المنزلة ، والذي صفة وجملة
أنزل صلة الموصول ومن حرف جر ، وقبل ظرف مبني على الضم
لانتقاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى ، والجار والمجرور متعلقان بأنزل
(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) الواو استئنافية
ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكفر فعل الشرط ، وبالله متعلقان بيكفر ،

وما بعده عطف عليه (فقد ضل ضلالاً بعيداً) فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وضل فعل ماض وضلالاً مفعول مطلق ، وبعيداً صفة . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » .

﴿ إِنِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَدَادُوا
كُفْرًا لَّيَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ (١٢٧)

الاعراب :

(إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً) كلام مستأنف مسوق لوصف ترجح اليهود والمنافقين في مهاوي الفتن والقلق . وإن واسمها ، وجملة آمنوا صلة ، وكرر العطف تبيناً لما لهم وصيرورتهم وترجحهم بين الكفر والإيمان ، وكفراً تمييز (لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلاً) الجملة خبر إن ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويكون فعل مضارع ناقص ، والله اسمها وليغفر اللام لام الجحود ، ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، والجار والمجرور — لام الجحود والمصدر المؤول — متعلقان بمحذوف خبر يكن ، أي : مريداً ليغفر لهم ، والجار والمجرور « لهم » متعلقان بيغفر ولا يهديهم عطف على ما تقدم وسبيلاً مفعول به ثان ليهديهم ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان يهديهم .

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٢٨) الَّذِينَ يَخِذُّونَ

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١١٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ
 اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي
 حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٢٠﴾
 اللفظة :

(بشر) البشارة : الخبر السار ، وسمي الخبر السار بشارة
 لأنه يظهر سروراً في البشرة ، أي ظاهر الجلد . وسيأتي مزيد منه في
 باب البلاغة .

(العزة) : معروفة ، وأصلها في اللفظة : الشدة . ومنه قيل
 للأرض الصلبة الشديدة عزاً إذ بفتح العين ، وقيل : قد استعزز على
 المريض : إذا اشتد ، ومنه قيل : عز علي أن يكون كذا وكذا
 أي : اشتد .

الاعراب :

(بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) كلام مستأنف مسوق للتنديد
 بالمنافقين . وبشر المنافقين فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ، والباء

حرف جر وأن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بـ « بشر » ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، وعذاباً اسمها المؤخر ، وأليماً صفة (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الذين نعت للمنافقين أو منصوب على الذم لأنهم يوالون اليهود ، وجملة يتخذون صلة الموصول ، والواو فاعل والمؤمنين مفعول به أول ، وأولياء مفعول به ثان ، ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من فاعل يتخذون أو صفة لأولياء (أيتغون عندهم العزة؟) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، ويتغون فعل مضارع والواو فاعل ، وعندهم ظرف متعلق بـ يتغون ، والعزة مفعول به ، والجملة مستأنفة مسوقة للإنكار عليهم . ولك أن تجعلها نصباً على الحال ، أي : متوهمين أن لديهم العزة (فإن العزة لله جميعاً) الفاء للتعليل وإن واسمها ، والله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وجميعاً حال ، والجملة تعليلية لا محل لها (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزاً بها) الواو استئنافية وقد حرف تحقيق ، ونزل فعل ماض وفاعله مستتر ، وعلیکم متعلقان بنزل ، وفي الكتاب متعلقان بنزل أيضاً أو بمحذوف حال . وأن المفتوحة الهمزة هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، وهي في تأويل مصدر مفعول « نزل » ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة سمعتم في محل جر بالإضافة ، وآيات الله مفعول به وجملة إذا وشرطها وجزاؤها خبر « أن » وجملة يكفر بها حالية . وجملة ويستنهزاً بها عطف عليها ، وبها جار ومجرور سد مسد نائب الفاعل في الفعلين (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الفاء رابطة لجواب إذا ، ولا فاهية وتقعدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ، وحتى حرف غاية وجر ويخوضوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار

والمجرور متعلقان بتقعدوا ، وفي حديث متعلقان يخوضوا وغيره صفة
لحديث (إنكم إذن مثلهم) إن واسمها ، واذن حرف جواب وجزء
مهمل لتوسطه ، ومثلهم خبر إن ، ولم يطابق بين الاسم والخبر فأفرد
« مثل » وأخبر بها عن الجمع كما طابق في موضع آخر فقال : « وحوور
عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » لأن « مثل » بمعنى المصدر ، وتقدير
المعنى إن عصيانكم مثل عصيانهم والجملة لا محل لها لأنها تعليل للنهي
(إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) الجملة تعليل ثان
للسلبية . وسيأتي مزيد من هذه المثلية في باب البلاغة ، وإن واسمها
وخبرها ، وفي جهنم متعلقان بجامع ، وجميعاً حال .

البلاغة :

١ - التهمك في قوله « بشر » . والتهمك في الأصل اللغوي
تهدم البناء ، يقال : تهمكت البئر اذا تهدمت ، والغضب الشديد والتندم
على الأمر الفئات . وفي الاصطلاح البلاغي هو الاستهزاء والسخرية
من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة
في موضع التحذير ، والوعد في موضع الوعيد . وإنما بسطنا القول
في هذا الفن بشيء من التفصيل لأن القرآن طافح بأمثلة التهمك ،
وستأتي في مواضعها . ومن طريف هذا الفن في الشعر قول ابن الرومي :

فيا له من عسل صالح يرفعه الله الى أسفل

وله في وصف ابن حصينة الأحذب من أبيات غاية في التهمك
الذي وضع المديح موضع الهزء والسخرية :

لا تظننَّ حذبة الظهر عيباً فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسيُّ محدودباتٌ وهي أنكى من الظُّبَا والعوالي
وإذا ما علا السنامُ ففيه لقدومُ الجمالِ أيَّ جمال!!
وأرى الانحناء في منس البَا زي ولم يعد مقلب الرئبال
ما رأتهما النساء إلا تمتت لو غدت حلية لكل الرجال

وختم ابن الرومي هذه الصورة الفنية الساخرة بقوله :

وإذا لم يكن من الهجر بدُّ فعسى أن تزورني في الخيال

٢ - الاستعارة التصريحية التبعية في قوله « بشر » لأن البشارة
الخبر السار ، وسمي بشارة لأنه يظهر سروراً في البشارة : أي :
ظاهر الجلد .

٣ - التشبيه في قوله : « إنكم إذن مثلهم » ، والمثلية بين الكافرين
والمنافقين تظهر في الآية بين القاعدين والمقعود معهم ، فإن الذين
يشايعون الكفرة ويوالونهم ويمدون أيدي الاستخذاء والذل اليهم مع
قدرتهم على الصمود والتحدي هم مثل الكفرة ، وإن لم يكونوا منهم ،
بل إن شرهم أشد والخطر منهم أجدر بالحدز ، لأنهم إذا لم ينكروا
عليهم كانوا راضين ، والراضي بالكفر كافر .

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكَ فَإِنْ كَانَ لَكَ فتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ

مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِوْكَ عَلَيْكَ

وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَلَن
يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١١١﴾

اللفة :

(يتربصون بكم) ينتظرون ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق .
وفي المصباح : « تربصت الأمر تربصاً : انتظرته . والرَبْصَةُ وزان
غرفة : اسم منه ، وتربصت الأمر بفلان : انتظرت وقوعه به . ويغلب
أن تردفه كلمة الدوائر ، وهي تكون دائماً في الشر : لأنها دائرة ، أي
الأمور التي تدور وتحدث في الزمن من النوائب والمحن ، ولكنها هنا
محتسلة للخير والشر معاً ، بدليل التفصيل بقوله : « فإن كان لكم فتح »
الخ ...

(نستحوذ) : مضارع استحوذ ، وهو ما شذَّ قياساً وفصح
استعمالاً ، لأن من حقه نقل حركة حرف عله إلى الساكن قبلها وقلبها
ألفاً . كاستقام واستعاد ونحوهما . والاستحواذ : التغلب على الشيء
والاستيلاء عليه ، يقال : حاذ وأحاذ ، فهو ثلاثي ورباعي بسعنى .
وأحوذ ، ومن لغة من قال أحوذ قول لبيد في صفة عير وأتن :

إذا اجتسعت وأحوذ جانيها وأوردها على عوج طوال

الاعراب :

(الذين يتربصون بكم) اسم الموصول صفة للسائقين أو منصوب

على الذم ، وجملة يتربصون بكم صلة الموصول (فإن كان لكم فتح من الله قالوا : ألم نكن معكم ؟) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وكان فعل ماض ناقص فعل الشرط ، ولكم متعلقان بمحذوف خبرها المقدم ، وفتح اسمها المؤخر ، ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لفتح ، وقالوا فعل وفاعل في محل جزم جواب الشرط ، وجملة ألم نكن معكم في محل نصب مقول القول ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر نكن (وإن كان للكافرين نصيب) الواو عاطفة وإن شرطية ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، وللکافرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ، ونصيب اسمها المؤخر (قالوا ألم نستحوذ عليكم) قالوا فعل وفاعل في محل جزم جواب الشرط ، وجملة ألم نستحوذ عليكم في محل نصب مقول القول (ونمنعكم من المؤمنين) نمنعكم عطف على نستحوذ ، ومن المؤمنين متعلقان بنمنعكم (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) الفاء استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يحكم خبر ، وبينكم ظرف متعلق بيحكم ، وكذلك يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) الواو عاطفة ، ولن حرف نهي ونصب واستقبال ، ويجعل مضارع منصوب بلن ، والله فاعل ، وللکافرين متعلقان بجعل بمثابة مفعولها الاول ، وسبيلاً مفعولها الثاني ، وعلى المؤمنين متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبيلاً وتقدمت عليه .

البلاغة :

في هذه الآية مجاز مرسل ، وذلك في قوله « فتح » فقد سبي الظفر الذي ناله المسلمون فتحاً باعتبار ما يؤول اليه الظفر . لأنه أمر تبتهج له النفوس ، وتطمئن اليه القلوب ، وتفتح له أبواب السماء .

وقد رُمق الشعراء سماء هذا المعنى وكان السابق في هذا الميدان
أبا تناء الطائي في قصيدته فتح الفتوح التي مدح بها المعتصم بالله ،
ووصف وقعة عمورية ، وقد قالها سنة مئتين وثلاث وعشرين للهجرة .
وعسْثورية من أعظم بلاد الروم في آسية الصغرى . وكان السبب
في زحف المعتصم إليها أن تيوفيل بن ميخائيل ملك الروم خرج الى بلاد
المستنين فبلغ زربطرة ، وهي بلدة في آسية الصغرى بين مَلَطِيَّة
وسُيَّسَاط ، وفيها ولد المعتصم ، فاستباحها قتلاً وسيّاً ، ثم أغار
على مضية وغيرها ، فقتل وسبى ومثل بالأسرى . وبلغ الخبر المعتصم
فاستعظمه ، وقيل : إن عريية صاحت وهي في أيدي الروم : وامعتصماه !
فأجاب وهو على سريرته : لييك ، لييك . ونهض ونادى بالنفير وسار
الى عمورية . وتقول الرواية العريية : إنها المدينة التي ولد فيها تيوفيل ،
وحاصرها واستدل على عورة في السور فرمى السور من هذه الناحية
فتصدع ، ودخل العرب المدينة ، وذبحوا سكانها وأحرقوها وسبوا
نساءها وأولادها ، وكان أبو تمام في صحبته وشهد الواقعة بنفسه ،
وكان المنجمون قد زعموا للمعتصم أن الزمان لا يوافق الفتح ، وأن
المدينة لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم
لقولهم وسار بجيشه ففتحها . ونجد أبا تمام يتحدث عن هذا كله في
قصيدته فكانها سجل تاريخي لهذه الموقعة العظيمة ، وقد استهلها بقوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصفائف في

متونهن جلاء الشك والريب

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
 قلم من الشعر أو نثر من الخطب
 فتبح تفتح أبواب السماء له
 وتبرز الأرض في أثوابها القشب
 ثم يقول مخاطباً المعتصم :

لقد تركت أمير المؤمنين بها
 للنار يوماً ذليل الصخر والخشب
 ويتحدث عن هزيمة ملك الروم :

لما رأى الحرب رأي العين توفلس
 والحرب مشتقة المعنى من الحرب
 ولى وقد ألجم الخطي منطق
 بسكتة تحتها الأحشاء في صخب
 تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت
 جلودهم قبل نضج التسين والعنب

ومن البلاغة بالمكانة العالية أنه سمى ظفر المسلمين فتحاً ، وسمى
 ظفر الكافرين نصيباً ، تعظيماً لشأن الأولين وتنويعاً بأن النتيجة الحتمية
 هي للمصابرين المؤمنين المتذرعين بالعقيدة التي لا تتحلل ولا تهون ،

وللإشعار بأن ظهر الكافرين ما هو في عمر الزمن إلا حظ دني ، ولحظة من الدنيا يصيبونها ، وملاوة من العيش يسبحون في تيارها .

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَذْذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُ سَبِيلًا ۝﴾
اللفظة :

(مذذبين) : المذبذب : الذي يذبّ عن كلا الجانبين . أي : يذاد ويدفع فلا يقرّ في جانب واحد . وفي الذبذبة تكرير ليس في الذّب ، كأن تكرير الحروف إشعار بتكرير المعنى ، فهم مترجّحون متطوِّحون في سيّال الحيرة ، كلما مال بهم الهوى الى جانب دفعوا الى جانب آخر .

الاعراب :

(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) كلام مستأنف مسوق لبيان نسط آخر من أعمالهم القبيحة . وإن واسمها ، وجملة يخادعون الله خبرها ، والواو واو الحال ، وهو مبتدأ وخادعهم خبر ، والجملة نصب على الحال (وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) الواو عاطفة

وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة قاموا في محل جر بالإضافة ، وإلى الصلاة جار ومجرور متعلقان بقاموا ، وجملة قاموا الثانية لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وكسالى حال (يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) الجملة حالية ، وقد التبس الأمر على أبي البقاء فأعربها بدلاً من « كسالى » ، وهي ليست كلاً له ، ولا بعضاً منه ، وليس هو مشتلاً عليها . وأصل يراءون يرائيون ، فجري عليها الإعلال المعروف . والناس مفعول به ، ولا يذكرون الله عطف على يراءون الناس ، وإلا أداة حصر وقليل مفعول مطلق ، أي : ذكراً قليلاً ، أو ظرف أي : وقتاً قليلاً (مذبذبين بين ذلك) مذبذبين حال ، لأنه اسم مشتق ، وبين ظرف متعلق بمذبذبين ، وذلك مضاف إليه ، والاشارة إلى الكفر والايان (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي لا منسويين إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويضلل الله فعل الشرط ، والفاء رابطة وجملة لن تجد له سبيلاً في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

١ - المشاكلة في قوله : « وهو خادعهم » وقد مرت ، فجدد بها عهداً . وقد سمي العقاب والجزاء باسم الذنب .

٢ - جناس التحريف : وهو ما تماثل ركناه لفظاً واختلف أحد ركنيه عن الآخر هيئة ، وذلك في قوله : « مذبذبين بين ذلك » . ومن أمثاته في الشعر قول صفي الدين الحلي :

شديد البأس في أمر مطاعٍ مضارب كل أقوام مطاعين°

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ ءُتْرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝١٤٤
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَابِرِينَ ۝١٤٥
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾

اللفظة :

(الدرك) : يسكون الراء وفتحها : أقصى قعر الشيء ، يقال
بلغ الغواص درك البحر . وقال الحريري في درة الغواص : ويقولون
لما ينحدر فيه درجاً وهو درك ، وما يرتقى فيه درج . وفي الحديث :
« إن الجنة درجات والنار دركات » وتعقبه بعضهم فقال : إن الأمر
في هذا سهل ، لأن ما ينحدر فيه يرتقى فيه أيضاً .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعراب هذا النداء ، فجاء به عهداً
(لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) كلام مستأنف مسوق

لنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصفياء . ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف النون ، والواو فاعل ، والكافرين مفعول به أول وأولياء مفعول به ثان ، ومن دون المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأولياء (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) كلام مستأنف مسوق للإنكار عليهم لجنوحهم الى اقامة الحجة على أنفسهم بأيديهم . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، وتريدون فعل مضارع وفاعل ، وأن تجعلوا المصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول تريدون ، والله جار ومجرور متعلقان بتجعلوا بمثابة المفعول الاول ، وعليكم متعلقان بمحذوف حال ، وسلطاناً مفعول به ثان لتجعلوا ، ومبيناً صفة (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) الجملة مستأنفة لبيان مصير المنافقين وهو الدرك الاسفل من النار . وإن واسمها ، وفي الدرك متعلقان بمحذوف خبر إن ، والأسفل صفة للدرك ، ومن النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولن تجد لهم نصيراً) الواو عاطفة ، ولن حرف نهي ونصب واستقبال ، وتجد فعل مضارع منصوب بلن ، ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « نصيراً » ، ونصييراً مفعول تجد (إلا الذين تابوا) إلا أداة استثناء ، والذين مستثنى وجملة الاستثناء حالية ، وجملة تابوا لامحل لها صلة الموصول (وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) عطف على تابوا ، ودينهم مفعول أخلصوا ، والله جار ومجرور متعلقان بأخلصوا (فأولئك مع المؤمنين) الفاء استئنافية ، واسم الإشارة مبتدأ ، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر أولئك ، والمؤمنين مضاف اليه مجرور بالياء (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً) الواو استئنافية ، وسوف حرف استقبال ، ويؤتي الله فعل وفاعل ، والمؤمنين مفعول به أول ، وأجراً مفعول به ثان ، وعظيماً صفة .

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا

عَلِيمًا ۝١٤٧﴾

الاعراب :

(ما يفعل الله بعذابكم) كلام مستأنف مسوق لتقرير أن الله سبحانه لا يجلب لنفسه بعذابكم تفعلاً ، ولا يدفع عنها به ضرراً . فأى حاجة له في عذابكم ؟ وما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم ليفعل ، ويفعل الله فعل مضارع وفاعل ، والجار والمجرور متعلقان بيفعل ، والاستفهام هنا معناه النفي ، والجملة مستأنفة مسوقة لزيادة الإنكار عليهم (إن شكرتم وآمنتم) إن شرطية ، وشكرتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وجواب الشرط محذوف تقديره : فقد تفاديتهم العذاب ، والجملة مستأنفة أيضاً ، وآمنتم عطف على شكرتم (وكان الله شاكراً عليماً) لو او استثنائية ، وكان واسمها وخبرها .

الفوائد :

الشكر من الله هو الرضا بالقليل من عمل عباده ، وإضعاف الثواب على هذا القليل ، والشكر من العباد الطاعة .

لمحة عن المنافقين :

اتفق العلماء على أن المنافق هو من أظهر الإيثار وأبطن الكفر . واتفقوا على أن المنافق أشد عذاباً من الكافر ، لأنه ساواه في الكفر ،

وَضُمَّ إِلَى كُفْرِهِ الْإِسْتِهْزَاءُ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَمَوَالَاةُ الْكَافِرِينَ ، وَمَدَّةُ
أَيْدِي الْإِسْتِسْلَامِ إِلَيْهِمْ حُجَّةٌ بَيْنَهُ عَلَى النِّفَاقِ . وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ،
وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِسْنَ خَانَ . وَقِيلَ لِحَدِيثِهِ : مَنْ الْمُنَافِقُ ؟ فَقَالَ :
الَّذِي يَصِفُ الْإِسْلَامَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ .

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ

سَمِيعًا عَلِيمًا ۝١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩﴾

اللفظة :

(الجهر) : رفع الصوت بالقول وغيره وجهر الأرض : سلكها
من غير معرفة وجهر الشيء : كشفه وحزره وجهر الأمر علن وانتشر .

الاعراب :

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) كلام مستأنف مسوق
لتنبيه العاقل إلى الاشتغال بنفسه والجهر بعيوبه قبل البحث عن عيوب
الناس ولا نافية ويحب الله الجهر فعل مضارع وفاعل ومفعول به
وبالسوء جار ومجرور متعلقان بالجهر ومن القول جار ومجرور متعلقان
بمحذوف حال من السوء (إلا من ظلم) إلا أداة استثناء ومن مستثنى
منقطع لأن جهر المظلوم لا يندرج في عداد الذين يجهرون بالسيئ من

القول ، ويجوز أن يكون متصلاً على تقدير حذف مضاف أي إلا جهر من ظلم ، أو في محل رفع على البدلية من فاعل المصدر الذي هو الجهر والمعنى : لا يحب أن يجهر أحد بالسوء إلا من ظلم فيجهر أي يدعو الله بكشف السوء الذي أصابه ، وظلم بالبناء للمجهول أي لا يؤاخذ الله بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وكان الله سميعاً عليماً) الواو استئنافية وكان واسمها وسميها خبرها الأول وعليماً خبرها الثاني (إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء) الجملة مستأنفة وإن شرطية وتبدوا فعل الشرط والواو فاعل وخيراً منفعول به وأو حرف عطف وتعفوا عطف على تبدوا وعن سوء جار ومجرور متعلقان بتعفوا (فإن الله كان عفواً قديراً) الفاء رابطة وإن واسمها وجملة كان واسمها المستتر وخبرها في محل رفع خبر إن والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط : وهو تعليل للجواب المحذوف أي : فالعفو خير وهو أدنى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ ﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾

الاعراب :

(إن الذين يكفرون بالله ورسوله) الجملة مستأنفة مستوقة لبيان أن الطريق واضحة لا لبس فيها وإن واسمها وجملة يكفرون صلة

الموصول وبالله متعلقان يكفرون ورسله عطف على الله (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) عطف على يكفرون وان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به وبين ظرف متعلق بيفرقوا ، ولفظ الجلالة مضاف اليه ورسله عطف على لفظ الجلالة (ويقولون : تؤمن ببعض وتكفر ببعض) عطف على ما تقدم وجملة تؤمن ببعض الخ مقول القول وبعض جار ومجرور متعلقان بتؤمن ، والثانية بنكفر (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) عطف على يريدون الاولى وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به أول والظرف متعلق بمحذوف حال والاشارة الى الكفر والايمان وسبيلاً مفعول به ثان (أولئك هم الكافرون حقاً) اسم الاشارة مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والكافرون خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة وجملة الاشارة وما بعدها خبر إن وحقاً مفعول مطلق لتأكيد مضمون الجملة والتقدير حق ذلك حقاً واعتراض الواحدي بأن الكفر لا يكون حقاً بوجه من الوجوه غير وارد لأن الحق هنا لا يراد به ما يقابل الباطل بل المراد أنه كائن لا محالة (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) الواو استئنافية واعتدنا فعل وفاعل وللکافرين جار ومجرور متعلقان باعتدنا وعذاباً مفعول به ومهيناً صفة .

البلاغة :

في قوله « للكافرين » فن الإظهار في مقام الإضمار ذماً لهم وتجسيدهم ككفرهم كأنه بمثابة المرئي بالبصر .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦٓ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰئِكَ

سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

الاعراب :

(والذين آمنوا بالله ورسله) الواو استئنافية والذين مبتدأ وجسلة آمنوا صلة وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله عطف على الله (ولم يفرقوا بين أحد منهم) الواو عاطفة والجسلة معطوفة على آمنوا داخلة في حيز الصلة وبين ظرف متعلق يفرقوا وإنما دخلت بين على أحد ، والظرف يقتضي متعدداً ، لعسوم أحد من حيث انه وقع في سياق النفي والمعنى لم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة منهم ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) اسم الإشارة مبتدأ وجسلة سوف يؤتيهم خبره والجسلة الاسمية خبر الموصول « الذين » (وكان الله غفوراً رحيماً) تقدم إعرابها .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ۚ

بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ

ذَلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾

الاعراب :

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) كلام مستأنف مسوق لحكاية سؤال أخبار اليهود الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما يأتي به موسى ، وما سألهم إلا التعت والتعاج ويسألك فعل ومفعول به أول وأهل الكتاب فاعل وان تنزل مصدر مؤول في محل نصب مفعول به ثان وعليهم متعلقان بتنزل وكتاباً مفعول به ومن السماء جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لكتاباً (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) الفاء هي الفصيحة وهي الواقعة جواباً لشرط مقدر أي إذا استكبرت ما قالوه ودهشت مما سألوهم تعنتاً واشتطاطاً فقد سألوا موسى من قبلك ، وموسى مفعول به أول وأكبر مفعول به ثان ويجوز أن يعرب مفعولاً مطلقاً ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بأكبر (فقالوا أرنا الله جهرة) الفاء عاطفة وقالوا عطف على سألوا وجملة أرنا الله في محل نصب مقول القول وأر فعل أمر مبني على حذف حرف العلة و«نا» مفعول به والله مفعول به ثان وجهرة أي عياناً فهو مفعول مطلق لأن الجهرية من نوع مطلق الرؤية فتلاقي صاحبها في الفعل ويجوز أن تعرب حالاً فتكون مصدراً في موضع الحال أي مجاهرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) عطف على ما تقدم وبظلمهم جار ومجرور متعلقان بأخذتهم أي بسبب ظلمهم (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) ثم حرف عطف للترتيب في الإخبار أي ثم كان من أمرهم أن اتخذوا العجل ، ومن بعد متعلقان باتخذوا وما مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر مضاف لبعده أي من بعد مجيء البينات (فعفونا عن ذلك) الفاء عاطفة على ما تقدم وعن ذلك جار ومجرور متعلقان بعفونا (وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) الواو عاطفة

وآتيناه فعل وفاعل وموسى مفعول به أول وسلطاناً مفعول به ثان ومبيناً صفة .

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ
مُجَدِّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥١﴾
فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٢﴾﴾
اللفظة :

(الطور) الجبل .

(لا تعدوا) : لا تعتدوا وأصله تعدوا استثقلت الضمة على الواو الاولى فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الواو لالتقاء الساكنين .

(غلف) : جمع أغلف كحمر جمع أحمر ويصح أن يكون جمع غلاف ككتاب وكتب وسكن للتخفيف .

الاعراب :

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) الواو عاطفة ورفعنا عطف على

ما تقدم وفوقهم ظرف متعلق برفعنا وكذلك يتعلق به بميثاقهم والطور
 مفعول به (وقلنا لهم : ادخلوا الباب سجداً) وقلنا عطف على ما تقدم
 ولهم جار ومجرور متعلقان بقلنا وجملة ادخلوا الباب مقول القول
 وسجداً حال (وقلنا لهم : لا تعدوا في السبت) عطف على ما تقدم أيضاً
 وجملة لا تعدوا في محل نصب مقول القول وفي السبت متعلقان بتعدوا
 (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عطف على ما تقدم أيضاً ومنهم جار ومجرور
 متعلقان بأخذنا وغليظاً صفة لميثاقاً (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات
 الله) الفاء استئنافية والباء حرف جر وما زائدة للتوكيد ونقضهم مجرور
 بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره فعلنا بهم ما فعلنا
 بسبب نقضهم ، وميثاقهم مفعول به للمصدر وهو نقض وكفرهم عطف
 على نقضهم وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكفرهم (وقتلهم الأنبياء
 بغير حق) عطف على ما تقدم والأنبياء مفعول به للمصدر وهو قتلهم
 وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وقولهم قلوبنا غلف)
 عطف أيضاً وجملة قلوبنا غلف من المبتدأ والخبر مقول القول (بل
 طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) بل حرف اضراب وعطف
 أي ليس الأمر كما قالوا وطبع الله فعل وفاعل ، وعليها جار ومجرور
 متعلقان بطبع وبكفرهم متعلقان بطبع أي بسبب كفرهم ، والفاء عاطفة
 ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإلا أداة حصر
 وقليل صفة لمصدر محذوف أي : إلا إيماناً قليلاً فهو مفعول مطلق
 أو صفة لزمان محذوف أي إلا زماناً قليلاً فهو ظرف زمان متعلق
 بيؤمنون ويجوز أن يكون منصوباً على الاستثناء من فاعل يؤمنون أي :
 إلا قليلاً منهم .

﴿ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ وَقَوْلِهِمْ

إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ
مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

الاعراب :

(وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) في هذا العطف وجهان أحدهما انه معطوف على ما في قوله « فيما نقضهم » فيكون متعلقاً بما تعلق به الاول ، والثاني انه معطوف على قوله « بكفرهم » الذي بعد « طبع » ويجوز أن يعطف مجبوع هذا وما عطف عليه على مجبوع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرير كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين فكأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه السلام عاقبتناهم ، أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ، وعلى مريم جار ومجرور متعلقان بقولهم ، وبهتاناً مصدر يعمل فيه القول لأنه ضرب منه فهو كقولهم قعد القرفصاء وقال قوم : تقديره قولاً بهتاناً فهو مفعول مطلق على كل حال وقيل هو مصدر في موضع الحال أي مباهتين ولا يبعد جعله مفعولاً به لقولهم فانه متضمن معنى كلام نحو قلت خطبة وشعراً ، وعظيماً صفة (وقولهم) إنا قتلنا

المسيح عيسى بن مريم) وقولهم عطف على ما تقدم وان واسمها وجسلة
قتلنا المسيح خبرها والمسيح مفعول به وعيسى بدل من المسيح وابن
بدل أو نعت ومريم مضاف اليه (رسول الله) صفة لعيسى أو بدل منه
أو هو منصوب على المدح بفعل محذوف قالوا ذلك تهكماً (وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم) الواو حالية وما نافية وقتلوه فعل وفاعل
ومفعول به وما صلبوه عطف على وما قتلوه والواو حرف عطف ولكن
مخففة للاستدراك فقط وشبه فعل ماض مبني للمجهول وهو مسند
الى الجار والمجرور بعده وهو لهم ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول
لأن قولهم إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه ولا يصح
جعله مسنداً الى المسيح لأنه مشبه به وليس بمشبه (وإن الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه) الواو استئنافية وان واسمها وجملة اختلفوا صلة
الموصول وفيه متعلقان باختلفوا واللام المرحقة وفي شك متعلقان
بمحذوف خبر « إن » ومنه متعلقان بمحذوف صفة شك أي لفي شك
حادث من جهة قتله فتكون من لا ابتداء الغاية ولا يجوز تعليقهما بشك
إذ لا يقال شككت منه (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه
يقيناً) هذه الجملة المنفية مستأنفة ولك أن تجعلها في موضع نصب على
الحال ، أو في موضع جر صفة ثانية لشك أي غير معلوم ، وما نافية
ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه متعلقان بـ « علم » أو حال منه
لأنه كان صفة وتقدمت ومن حرف جر زائد ، وعلم مجرور لفظاً مرفوع
لأنه مبتدأ مؤخر وإلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس
من جنس العلم والواو عاطفة وما نافية وقتلوه فعل وفاعل ومفعول به
ويقيناً حال مؤكدة من فاعل قتلوه أو نعت لمصدر محذوف أي قتلاً
يقيناً (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) بل حرف عطف واضراب
ورفعه فعل ومفعول به مقدم والله فاعل واليه جار ومجرور متعلقان
برفعه والواو استئنافية وكان واسمها وخبرها .

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩)
الاعراب :

(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) الواو استئنافية وإن قافية ، من أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمبتدأ محذوف وخبره هو جملة القسم المجاب بقوله : « إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ » وإنما كانت جملة القسم خبراً للمبتدأ لأنها محط الفائدة وإلا أداة حصر واللام موطئة للقسم ويؤمنن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وبه متعلقان يؤمنن وقبل موته ظرف زمان متعلق بيؤمنن (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) الواو عاطفة ويوم القيامة ظرف متعلق بشهيداً وشهيداً خبر يكون واسمها محذوف وعليهم متعلقان بشهيداً .

﴿فَيُظْلَمَ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١٦٠) وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦١)

الاعراب :

(فَيُظْلَمَ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)

الفاء استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان ما حرم عليهم بسبب ظلمهم من الطيبات والجار والمجرور متعلقان بحرمانا والباء سببية وقدمت على عاملها تنبيهاً على مدى قبح سبب التحريم ومن الذين متعلقان بمحذوف صفة لظلم وجملة هادوا صلة الموصول وحرمانا فعل وفاعل وعليهم الجار والمجرور متعلقان بحرمانا وطيبات مفعول به وجملة أحلت لهم صفة لطيبات (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) وبصدهم عطف على قوله فبظلم وعن سبيل الله متعلقان بـ « صد » وكثيراً منصوب على المصدر أي صدأ كثيراً أو مفعول به بمعنى جمعاً كثيراً ، ولك أن تعربه ظرفاً أي مراراً ، والصد يستعمل لازماً ومعتدياً ومعناه المنع . أي صدودهم أنفسهم عن سبيل الله مراراً كثيرة بما كانوا يعصون موسى عليه السلام ويعاندونه ، أو صدوهم الناس عن سبيل الله بسوء القدوة أو بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) عطف على صدهم والربا مفعول به لـ « أخذ » لأنه مصدر والواو حالية وقد حرف تحقيق ونهوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وعنه متعلقان بنهوا وجملة قد نهوا في محل نصب على الحال . (وأكلهم أموال الناس بالباطل) عطف على ما تقدم ، وأموال الناس مفعول به لأكل وبالباطل الجار والمجرور يجوز أن يتعلقا بأكلهم لأن الباء سببية ، أو بمحذوف حال أي متلبسين بالباطل كالرشوة والخيانة وغير ذلك (وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) عطف على حرمانا ، وأعتدنا فعل وفاعل وللکافرين متعلقان بأعتدنا ، منهم متعلقان بمحذوف حال أي المصيرين على الكفر لا من آمن وتاب منهم وعذاباً مفعول به وأليماً صفة .

البلاغة :

الابهام في قوله « فبظلم » بالتنوين ليعلم القارئ أو السامع أن

أي نوع من أنواع الظلم يكون سبباً للعقاب في الدنيا قبل الآخرة ،
والعقاب قسمان : دنيوي وأخروي والأول قسمان : وضعي كالتكاليف
الشرعية الشاقة في زمن التشريع والجزاء الوارد فيها على الظلم من حد
أو تعزير ، وطبيعي وهو ما اقتضته سنة الله تعالى في نظام الاجتماع من
كون الظلم سبباً لضعف الأمم وفساد عمرانها واستيلاء أمة على أخرى .

﴿ لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٦٢)

الاعراب :

(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون) كلام مستأنف مسوق
لإزالة الإيهام الناجم من اطلاق القول ببيان سوء حال اليهود وكفرهم
وعصيانهم وان ذلك يومهم ان ما ذكر عنهم عام مستغرق لجميع أفرادهم
جاء الاستدراك عقبه في بيان حال خيارهم الذين لم يذهب عني التقليد
ببصيرتهم ولكن حرف استدراك مهمل لتخفيف النون ولا بد من وقوعه
بين نقيضين كما وقع هنا بين الكفار والمؤمنين والراسخون مبتدأ وفي
العلم جار ومجرور متعلقان به لأنه اسم فاعل ومنهم متعلقان بمحذوف
حال من الضمير المستكن في الراسخون، والمؤمنون عطف على الراسخون
(يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) جملة يؤمنون خبر

الراسخون أو حال منهم إذا اعتبرنا جملة سنوتهم خبراً وبما جار ومجرور متعلقان يؤمنون وجملة أنزل اليك صلة وما أنزل من قبلك عطف على الصلة داخل في حيزها ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وسيأتي مزيد من القول في اعراب هذه الآية في باب الفوائد (والمقيمين الصلاة) الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح باضمار فعل لبيان فضل الصلاة على ما قاله سيبويه وغيره والتقدير أعني أو أخص المقيمين الصلاة الذين يؤدونها على وجه الكمال فانهم أجدر المؤمنين بالرسوخ في الايمان ، والنصب على المدح أو العناية لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة ، والنكتة هنا هي ما ذكرنا آتفاً من مزية الصلاة ، على أن تغير الاعراب في كلمة بين أمثالها ينبئ الذهن الى وجوب التأمل فيها ، ويهدي التفكير لاستخراج مزيته وهو من أركان البلاغة وسيأتي مزيد بيان لذلك ، على انه قرىء بالرفع أيضاً على انه عطف على المؤمنين والصلاة مفعول به للمقيمين (والمؤتون الزكاة) عطف على ما تقدم ، والزكاة مفعول به للمؤتون لأنه اسم فاعل (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) والمؤمنون عطف على ما تقدم وبالله جار ومجرور متعلقان بالمؤمنون واليوم عطف على الله والآخر صفة (أولئك سنوتهم أجراً عظيماً) جملة أولئك وما بعدها خبر الراسخون أو استثنائية وأولئك مبتدأ وجملة سنوتهم خبر وأجراً مفعول به ثان وعظيماً صفة .

الفوائد :

١ - جزم الرازي بأن قوله الراسخون مبتدأ خبره يؤمنون ، وإذا هو يفسر الراسخين بالمستدلين وعلل ذلك بأن المقلد يكون بحيث إذا شكك يشكّ وأما المستدل فانه لا يشك البتة وأورد في قوله والمؤمنون

وجهم أحدهما انهم المؤمنون منهم والثاني انهم المؤمنون من المهاجرين والانصار والمعنى ان الراسخين في العلم منهم هم ، ومؤمنو المهاجرين والانصار سواء في كونهم يؤمنون بما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الى من قبله من الرسل لا يفرقون بينهم .

أبو السعود يرجح الثاني :

على أن أبا السعود - وقد ألمعنا في كلام مضى الى ثقب ذهنه - أصر على أن الخبر هو قوله « أولئك ستؤتيهم » قال : « وقوله أولئك إشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله ستؤتيهم أجراً عظيماً خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا الاعراب أنسب بتجاوب طرفي حيث أوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم ، واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله يؤمنون بما أنزل اليك الخ خبراً للمبتدأ ففيه كمال السداد غير انه غير متعرض لتقابل الطرفين » وانما أثبتنا كلام أبي السعود لما فيه من ثوب ذهني مع أن الاول هو الأولى .

٢ - تغيير الاعراب - كما قلنا - اتفاقاً فيه حفز للذهن الى التفكير، في سبب التغيير ، واستخراج المزية الكامنة فيه وظيفه في النطق أن يغيّر المتكلم جرس صوته ، وكيفية أدائه للكلمة التي يريد تنبيه المخاطب لها كرفع الصوت أو خفضه أو مده بها وقد عدّ مثل هذا بعض الجاهلين والمتجاهلين من الغلط في أصحّ الكلام وأبلغه .

رد الزمخشري البليغ :

ومن المفيد هنا أن نورد ما قاله الزمخشري في هذا الصدد قال :
 « وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت الى
 ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف وربما التفت اليه من لم
 ينظره في الكتاب (أي كتاب سيبويه) ولم يعرف مذاهب العرب ،
 وما لهم من النصب على الاختصاص من الاقتان وغبي عليه أن السابقين
 الاولين كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من أن
 يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسلها من بعدهم ، وخرقاً يرفوه من
 يلحق بهم » .

ما يقوله ابن جرير :

أما ابن جرير فقد ذكر أنها في مصحف ابن مسعود والمقيمون
 الصلاة قال : والصحيح قراءة الجميع ورد على من زعم أن ذلك من
 غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم هو منصوب على المدح
 كما جاء في قوله « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء
 والضراء وحين البأس » قال : وهذا سائق في كلام العرب كما
 قال الشاعر :

لا يُبعدن قومي الذين هم سم المداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك والطيبون معاقب الأزر

وقال آخرون : هو مخفوض عطفاً على قوله بما أنزل اليك
 وما أنزل من قبلك .

نص عبارة سيبويه :

أما عبارة سيبويه في كتابه فهي: «هذا باب ما ينتصب على التعظيم»
ومن ذلك : والمقيمين الصلاة وأنشد :

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نميراً أطاعت أمر غاويها
الطاعنين ولما يطعنوا أحداً والقائلون : لمن دار" تخطيها
﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
لِقُلُلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ۝
اللفظة :

(الوحي) : في اللغة يطلق على الإشارة والإيماء ، ومنه قوله
تعالى : « فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشاء » ، وعلى الإلهام الذي

يقع في النفس ، وهو أخفى من الإيمان • ومنه قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى » • ويظهر أن هذا بعناية من الله عز وجل ، ومنه ما يكون غريزياً دائماً ، ومنه قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل » ، وعلى الإعلام في الخفاء ، وهو أن تعلم إنساناً بأمر تخفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى : « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم الى بعض » ، وأطلق على الكتابة والرسالة لما يكون فيها من التخصيص ، ووحى الله الى أنبيائه هو ما يلقيه إليهم من العلم الضروري الذي يخفيه عن غيرهم بعد أن يكون أعدهم لتلقيه بواسطة كالملاك أو بغير واسطة •

رأي محمد عبده :

وعرفه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد بأنه « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله ، بواسطة أو بغير واسطة • والأول يتمثل لسمعه بصوت أو بغير صوت • ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس، وتنساق الى ما يطلب، على غير شعور منها من أين أتى • وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » • ثم أفاض الاستاذ الامام في بيان وجه إمكانه ووقوعه •

(الأسباب) جمع سبط ، وهو يطلق على ولد الولد • وأسباط بني إسرائيل اثنا عشر سبطاً •

(الزبور) : بمعنى المزبور ، كالركوب بمعنى المركوب • وقرأه حمزة وخلف بضم الزاي ، وهو جمع وزن مفردة ، وقيل : هو مصدر • وهو على كل حال بمعنى كتاب ومكتوب • وفي المختار : والزبر بالكسر، والجمع زبور كقدر وقدر •

الاهراب :

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كلام مستأنف مسوق لتطمين رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الأنبياء الذين بعثهم الله الى البشر قبله ؛ وإن واسمها ، وجملة أوحينا خبر ، وإليك جار ومجرور متعلقان بأوحينا ، والكاف نعت لمصدر محذوف أي إحياء مثل إحيائنا ، و « ما » تحتل أن تكون مصدرية فتكون مع ما بعدها مصدراً مؤولاً في محل جر بالاضافة ، كوحينا وأن تكون اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف ، أي كالذي أوحيناه الى نوح ، وجملة أوحينا لا محل لها لأنها صلة الموصول . والى نوح جار ومجرور متعلقان بأوحينا ، والنبيين عطف على نوح ، ومن بعده متعلقان بمحذوف حال . وبدأ بذكر نوح لأنه أقدم نبي مرسل ذكر في كتب القوم . وإنما تنهض الحجة دليلاً على الناس إذا كانت مقدماتها معروفة عندهم ، ثم خص بعض النبيين بالذكر فقال : (وأوحينا الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان) الواو عاطفة ، وأوحينا فعل وفاعل ، والى إبراهيم متعلقان بأوحينا ، وما بعده من أسماء النبيين معطوفة عليه (وآتينا داود زبوراً) آتيناه فعل وفاعل ، داود مفعول به أول ، وزبوراً مفعول به ثان (ورسلاً) قد قصصناهم عليك من قبل (رسلاً مفعول به لفعل محذوف معطوف على أوحينا تقديره وآتيناه ، وجملة قد قصصناهم صفة ، وعليك متعلقان بقصصنا ، ومن قبل متعلقان بمحذوف حال (ورسلاً لم نقصصهم عليك) عطف على ما تقدم (وكلم الله موسى تكليماً) الواو عاطفة وكلم الله فعل وفاعل ، وموسى مفعول به ، وتكليماً مفعول مطلق مؤكد لرفع احتمال المجاز . قال الفراء : العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاماً

بأي طريق وصل ، ما لم يؤكد بالمصدر ، فإن أكد به لم يكن إلا حقيقة (رسلاً مبشرين ومنذرين) رسلاً بدل من «رسلاً» قبله أو منصوب على المدح ، ومبشرين صفة ، ومنذرين عطف على مبشرين (لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) هذه اللام لام «كي» وتعلق بمنذرين أو بمبشرين ، فالمسألة من باب التنازع ، وسيأتي ذكره في باب الفوائد ، ويجوز أن تعلق اللام بمحذوف أي : أرسلناهم لذلك ، وأن حرف ناصب ولا نافية ، ويكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن وللناس متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعلى الله متعلقان بمحذوف حال ، وحجة اسم يكون المؤخر ، وبعد الرسل ظرف زمان متعلق بمعنى النفي ، أي : لتنتفي حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل . (وكان الله عزيزاً حكيماً) تقدم إعرابه كثيراً .

الفوائد :

١ - جميع أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف ما عدا ستة يجسمها قولك : « صن شمله » وهي : صالح ونوح وشعيب ومحمد ولوط وهود ، وتمنع من الصرف للعلمية والعجمة . والمراد بالعجمي ما نقل عن لسان غير العرب بأي لغة كانت ، وتعرف عجمة الاسم بوجوه :

١ - نقل الأئمة . ٢ - خروج الاسم عن أوزان الاسماء العربية كإبراهيم . ٣ - أن يكون رباعياً أو خماسياً خالياً من حروف الذلاقة ، وحروف الذلاقة ستة : وهي الميم والراء والباء الموحدة والتون والفاء واللام ويجمعها : (مثر بنفل) . ٤ - أن يجتمع فيه من الحروف ما لا يجتمع في كلام العرب ، كالجيم والقاف بفاصل نحو : جرموق وبغير فاصل نحو : قج وجقة ، والصاد والجيم نحو :

الصولجان ، والكاف والجيم نحو : السكرجة ، والراء بعد النون في أول الكلمة نحو : فرجس ، والزاي بعد الدال في آخر الكلمة نحو : مهندز .

٢ - التنازع : في العمل هو أن يتقدم فعلاً متصرفاً أو اسماً يشبهانها في العمل ، أو فعل متصرف واسم يشبهه في العمل ، ويتأخر عنهما معول ، وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى . مثال الفعلين : « آتوني أفرغ عليه قطراً » ومثال الاسمين قوله :

عَوِدْتَ مَغِيثًا مَغِيثًا مَنْ أَجَرْتَهُ فَلَمْ أَتَّخِذْ إِلَّا فَنَاءَكَ مَوْئِلاً

ومثال المختلفين : « هاؤم اقرءوا كتابيه » . وإذا تنازع العاملان جاز إعمال أيهما شئت ، فاختر البصريون الأخير لقربه واختار الكوفيون الأول لسبقه . وتفصيل الحديث في التنازع مبسوط في كتب النحو ، والآية من إعمال الثاني لأنه لو كان من إعمال الأول لأضر في الثاني ، فكان يقال : مبشرين ومنذرين له ، ولم يقل كذلك ، فدل على مذهب البصريين . وله في القرآن ظواهر .

٣ - أراد بقوله : « ورسلاً لم نقصصهم عليك » المرسلين إلى الأمم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك ، كأمم الشرق وأمم بلاد الشمال وأمم القسم الآخر من الأرض .

٤ - علم الكلام : قال ثعلب : لولا التأكيد بالمصدر بقوله : « وكلم الله موسى تكليماً » لجاز أن تقول : قد كلمت لك فلاناً ، يعني كتبت إليه رقعة ، وبعثت إليه رسولا ، فلما قال : « تكليماً » لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله تعالى . وبمسألة الكلام : سبي علم أصول الدين بعلم الكلام ، وهي مسألة يبحث عنها في أصولها .

لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ
وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ
لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾
الاعراب :

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك) هذه الجملة الاستدراكية
مستأنفة لبيان جملة محذوفة لا بد منها ، لتكون هذه الجملة مستدركة
عنها . والجملة المحذوفة هي ما روي في أسباب النزول : لما سأل أهل
الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا في ذلك ما شاء لهم التعنت ،
قال : لكن الله يشهد ، بمعنى أنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد . ولكن
مخففة مهملة والله مبتدأ وجملة يشهد خبر ، وبما جار ومجرور متعلقان
بيشهد ، وجملة أنزل إليك صلة الموصول (أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون) الجملة مفسرة لا محل لها ، وأنزله فعل ومفعول به ، والفاعل
مستتر تقديره هو ، وبعلمه متعلقان بمحذوف حال ، أي متلبساً بعلمه
الخاص ، أو حال كونه معلوماً لله تعالى . والملائكة الواو عاطفة والملائكة
مبتدأ خبره جملة يشهدون (وكفى بالله شهيداً) الواو استئنافية ،
وكفى فعل ماض ، والباء حرف جر زائد والله فاعل مجرور لفظاً مرفوع

محلاً ، وشهيداً تمييز (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) الجملة مستأنفة ، وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وجملة صدوا عطف عليها وعن سبيل الله متعلقان بصدوا (قد ضلوا ضلالاً بعيداً) الجملة خبر إن ، وضلالاً مفعول مطلق ، وبعيداً صفة (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً) الجملة مستأنفة لبيان مصيرهم . وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة ، وجملة ظلموا عطف على الصلة ، وجملة لم يكن الله خبرها ، ولم حرف نهي وقلب وجزم ، ويكون فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ، والله اسمها ، وليغفر اللام لام الجحود ، ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر يكن ، أي : مريداً ليغفر لهم ، وقد تقدم تقرير ذلك . ولا الواو حرف عطف ، ولا نافية ، ليهديهم عطف على ليغفر ، وطريقاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض (إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً) إلا أداة استثناء ، وطريق مستثنى متصل ، وجهنم مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة ، لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، وخالدين حال من مفعول يهديهم ، وأبداً ظرف زمان متعلق بخالدين بمثابة التأكيد ، لئلا يحمل على طول المكث . وسيأتي مزيد بحث عنه (وكان ذلك على الله يسيراً) الواو استئنافية وكان واسمها وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيسيراً أو بمحذوف حال ويسيراً خبر كان .

الفوائد :

معنى الخلود في اللغة : بقاء الشيء مدة طويلة ، على حال واحدة ، لا يطرأ عليه تغير ، ولا فساد . كقولهم للأثافي ، أي : حجارة الموقد : خوالد . وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها . والأبد عبارة عن مدة

الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان • وتأبّد الشيء : بقي
أبداً • ويعبّر به عن كل ما يبقى مدة طويلة • وفي لسان العرب :
الأبد : الدهر ، وفيه تساهل وفي المثل : (طال الأبد على لبّد) يضرب ذلك
لكل ما قدم • وقالوا : أبد بالمكان — من باب ضرب — أبوداً : أقام به
ولم يبرحه • ولم يكن عندهم شيء بمعنى اللانهاية يدور في كلامهم •
وفسر الخلد في اللسان بدوام البقاء في دار لا يخرج منها • والمراد
بالسكنى الدائمة في العرف ما يقابل السكنى الموقته المتحوّلة ، كسكنى
البادية • فالذين لهم بيوت في المدن يسكنونها يقال في اللغة : إنهم
خالدون فيها • قال في اللسان : وخذ بالمكان يخذ خلوداً — من باب
نصر — وأخذ أقام ، وخذ كضرب ونصر خلدأ وخذوداً أيضاً : أبطأ
عنه الشيب • ومن كبر ولم يشب ولم تسقط أسنانه يقال له : المخلد
بكسر اللام ، وقيل : بفتحها • وقال زهير :

لن الدّيار غشيتها بالفدقد كالوحي في حجر المسيل المخلد

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَاعْلَمُوا
خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧٠)

الاعراب :

(يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) كلام مستأنف
مسوق لأمر المكلفين بصورة عامة بالإيمان بعد أن سدت عليهم منافذ
الاعتذار ، والنداء عام للناس جميعاً لا أهل مكة وحدهم ، وإن كان

الغالب أن « يا أيها الناس » خطاب لأهل مكة ، و « يا أيها الذين آمنوا » خطاب لأهل المدينة . وقد حرف تحقيق ، وجاءكم الرسول فعل ومفعول به وفاعل ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بجاءكم ، ومن ربكم متعلقان بمحذوف حال (فآمنوا خيراً لكم) الفاء الفصيحة ، وآمنوا فعل أمر وفاعله ، أي : إذا كان الأمر كما عرفت فآمنوا يكن الايمان خيراً لكم لأنه يزكيكم ويطهركم من الأدناس الحسية والمعنوية ، ويؤهلكم للسعادة الأبدية . وهذا هو التقدير المتبادر الى الذهن ، وعليه الكسائي فهو خير لكان المحذوفة مع اسمها . وأما الخليل وسيبويه فيقدّران : واهتدوا بالايمان خيراً لكم ، أي : مما أتم عليه . وقال الفراء : فآمنوا إيماناً خيراً لكم ، فاتصابه على أنه صفة لمصدر محذوف . وقال الزمخشري : واتصابه بمضمر ، وذلك أنه لما بعثهم على الايمان علم أنه يحملهم على أمر ، فقال : خيراً لكم ، أي : اقصدوا أو اتتوا خيراً لكم مما أتم فيه . ولكم متعلقان بـ « خيراً » (وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض) الواو عاطفة وإن شرطية ، وتكفروا فعل مضارع فعل الشرط ، والجواب محذوف تقديره : فلا يضره كفركم ، لأنه غني عنكم . ونبه على غناه بقوله : « فإن الله ما في السموات والأرض » فالفاء للتعليل ، وإن حرف مشبه بالفعل والله متعلقان بمحذوف خبرها المقدم ، وما اسم موصول اسمها المؤخر ، وفي السموات والأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول (وكان الله عليماً حكيماً) تقدم إعرابها كثيراً .

﴿ يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ عَلَى الْقَنَاطِ

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِّنْهُ ۖ فَعَاقِمُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوا
خَيْرًا ۚ لَّكُم مَّا ٱللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ سُبْحَٰنَهُٓ أَن يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ ۚ لَهُۥ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧٦﴾

اللفظة :

(لا تغلوا) لا تتجاوزوا الحد المعقول • وأصل الغلوّ في كل شيء مجاوزة حده • وغلا بالجارية عظمها ولحمها إذا أسرعت في الشباب فجاوزت لداتها ، يغلو بها غلوّاً وغلاء • ومن ذلك قول الحارث بن خالد المخزومي ، وهي أبيات جميلة ، يذكر فيها صاحبته وما مضى من أيامه وأيامها :

إذ ودّها صاف ورؤيتها	أمنية وكلاهما غنم
لفاء مملوء مغلغلها	عجاء ليس لعظمها حجم
خمصانة قلق موشحها	رود الشباب غلا بها عظم
وكان غالية تباشرها	تحت الشاب إذا صفا النجم

الاعراب :

(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) كلام مستأنف مسوق لتحذير أهل الكتاب من المغالاة • ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ، ولا ناهية وتغلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي دينكم متعلقان بتغلوا

(ولا تقولوا على الله إلا الحق) الواو عاطفة ، ولا ناهية وتقولوا فعل مضارع مجزوم ، وعلى الله متعلقان بتقولوا ، وإلا أداة حصر ، والحق مفعول مطلق على أنه نعت لمصدر محذوف ، أي : إلا القول الحق ، أو مفعول به لأنه تضمن معنى القول ، نحو : قلت قصيدة (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) كلام مستأنف مسوق للتعريف بالسيد المسيح عليه السلام . وإنما كافة ومكفوفة ، والمسيح مبتدأ وعيسى بدل منه ، وابن مريم بدل أيضاً أو صفة ، ورسول الله خبر المبتدأ ، وكلمته عطف على رسول ، وجملة ألقاها حالية ، ولا بد من تقدير « قد » معها ، والعامل في الحال معنى « كلمته » ، لأن معنى الكلمة أنه مكون بها من غير أب . وإلى مريم جار ومجرور متعلقان بألقاها وروح عطف على كلمته ، ومنه متعلقان بسحذوف صفة لروح ، ومن لا ابتداء الفاية (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) الفاء الفصيحة ، أي : فإذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالله إيماناً يليق به تعالى ، بالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله عطف على لفظ الجلالة ، والواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقولوا فعل مضارع مجزوم بها ، وثلاثة خبر لمبتدأ محذوف ، أي : ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، وجملة آلهتنا ثالثة في محل نصب مقول القول (انتهوا خيراً لكم) الجملة مستأنفة ، وانتهوا فعل أمر وفاعل وخيراً تقدم إعرابها قبل قليل ، فجدد به عهداً ، ولكم متعلقان بـ « خيراً » (إنما الله إله واحد) كلام مستأنف مسوق لتأكيد الوجدانية . وإنما كافة ومكفوفة ، والله مبتدأ وإله خبر ، وواحد صفة (سبحانه أن يكون له ولد) سبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف ، أي سبحه تسييحاً ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض أي : من أن يكون ، والجار والمجرور متعلقان بسبحان ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم ،

وولد اسمها المؤخر ، والجملة التنزيهية في محل نصب على الحال ،
 أي : منزهاً (له ما في السموات وما في الأرض) له متعلقان بخبر مقدم
 محذوف وما اسم موصول مبتدأ وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ،
 وجملة الصلة لا محل لها من الاعراب ، وما في الأرض عطف على ما في
 السموات ، والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه ، أي : إذا كان
 يسلك جميع ما فيهما فكيف يتوهم حاجته الى ولد (وكفى بالله وكيلًا)
 تقدم إعرابه كثيراً .

الفوائد :

تعقب أحد الأذكياء اعراب قوله تعالى : « ثلاثة » فقال : ومن
 المشكلات أيضاً قوله تعالى : « ثلاثة » ، ذهبوا في رفع ثلاثة الى أنها
 خبر لمبتدأ محذوف ، والمعنى : ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة ، وهو أيضاً
 باطل لانصراف التكذيب الى الخبر فقط . وإذا قلنا : ولا تقولوا :
 آلهتنا ثلاثة ، كنا قد نفينا الثلاثة ولم ننف الآلهة ، جل الله عن ذلك .
 والوجه أن يقال : الثلاثة صفة المبتدأ الأخير ، ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ،
 ثم حذفت الخبر الذي هو « لنا » حذفك « لنا » في قولك « لا إله
 إلا الله » فبقي ولا تقولوا : آلهة ثلاثة ولا إلهان ، فصح الفرق .
 ولا يخلو كلامه من ذكاء نادر ، فتدبر ذلك والله يعصمك .

﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ

وَمَنْ يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ (١٧٢) فَأَمَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكَبرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٢﴾ ﴿

اللفظة :

(يستنكف) الاستنكاف : الامتناع من الشيء ، أنفة وانقباضاً منه . قيل : أصله من نكف الدمع إذا نحّاه عن خده بأصبعه حتى لا يظهر ، ونكف منه أنف ، وأنكفه عنه برأه . وفي المصباح : نكفت من الشيء نكفاً من باب تعب ، ونكفت أنكف من باب قتل ، لغة . واستنكفت إذا امتنعت أنفة واستكباراً .

الاعراب :

(لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من التنزيه ، والمعنى لن يأنف المسيح ولا يتبرأ من أن يكون عبداً لله ، ولا هو بالذي يترفع عن ذلك لأنه من أعلم خلق الله بعظمة الله ، وما يجب له على العقلاء من خلقه من الشكر والعبودية ، التي يتفاضلون بها . ولن حرف تهي ونصب واستقبال ، ويستنكف فعل مضارع منصوب بها ، والمسيح فاعل ، وأن وما في حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، والتقدير : عن أن يكون . . ، والجار والمجرور متعلقان يستنكف ، وعبداً خبر يكون ، والله متعلقان

بمحذوف صفة لـ « عبداً » (ولا الملائكة المقربون) الواو عاطفة ،
ولا نافية ، والملائكة عطف على المسيح ، أو مبتدأ محذوف الخبر ،
أي ويستنكفون والمقربون صفة للملائكة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر)
الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويستنكف فعل الشرط
وعن عبادته متعلقان يستنكف (فسيحشرهم إليه جميعاً) يجوز في
الفاء أن تكون جواباً للشرط ، والتقدير : ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فيعذبه عند حشره إليه ، ومن لم يستنكف ولم يستكبر
فيشبهه • ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ، أي : فيجازيه ، ثم عطف
عليه قوله : فسيحشرهم ، والهاء مفعول به ، وإليه متعلقان ييحشرهم ،
وجميعاً حال من الهاء ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله) الفاء
للتفريع ، والجملة بعدها لا محل لها من الأعراب لأنها بمثابة الاستئناف ،
وأما حرف شرط وتفصيل ، والذين اسم موصول مبتدأ ، وجملة آمنوا
صلة ، وجملة عملوا الصالحات عطف على الصلة ، والفاء رابطة ،
ويوفيههم فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره هو ، والهاء مفعوله الأول ،
وأجورهم مفعوله الثاني ، ويزيدهم عطف على فيوفيههم ، ومن فضله
متعلقان يزيدهم ، والجملة خبر الذين (وأما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذاباً أليماً) الجملة معطوفة على ما قبلها وقد تقدم أعرابها ،
وعذاباً مفعول مطلق ، وأليماً صفة (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً
ولا نصيراً) عطف على ما تقدم ، ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « ولياً » ،
ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال ، وولياً مفعول به ، ولا نصيراً
عطف عليه •

الفوائد :

استدل بهذه الآية القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء ، وهم أبو بكر الباقلاني والحلي من أئمة الأشعرية وجمهور المعتزلة ، وقرر الزمخشري وجه الدلالة بما لا يسمن ولا يغني من جوع ، وأطال البيضاوي وابن المنير في الرد عليه . والمنصف يرى أن التفاضل في هذا الباب من قبيل الرجم بالغيب ، إذ لا يعلم ذلك إلا بنص من الشارع ، ولا نص . وليس للخلاف في هذا فائدة ولا عائدة في إيمان ولا عمل ، ولكنه من توسيع مسافة التفرق بالراء والجدل .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ

نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي

رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٩﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) كلام مستأنف لتقرير ما انتهت إليه الأمور من إقامة الحجج الباهرة على المخالفين ، وإهابة الله تعالى بالناس كافة الى اتباع برهانه والاهتداء بالنور الذي جاء به . وقد حرف تحقيق ، وجاءكم برهان فعل ومنفعل به مقدم وفاعل مؤخر ، ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لبرهان (وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً)

البلاغة :

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنَّ أَمْرُؤَا هَٰذَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ إِخْتُ فَلَهَا نِصْفُ ۚ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرِئٌ مِمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

فَلْيَذْكُرْ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾
الأعراب :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) كلام مستأنف مسوق لذكر إرث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب • ويستفتونك فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به ، وقل فعل أمر والفاعل أنت ، والله مبتدأ ويفتيكم فعل مضارع ومفعوله ، والفاعل هو والجملة خبر ، وجملة الله يفتيكم في محل نصب مقول القول ، وفي الكلالة متعلقان يستفتونك على إعمال الأول ، أو يفتيكم على إعمال الثاني (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت) كلام مستأنف لتفصيل الحكم • وإن شرطية وامرؤ فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده ، وجملة هلك مفسرة لا محل لها وليس فعل ماض ناقص وله متعلقان بخبر مقدم محذوف ، وولد اسمها المؤخر ، والجملة صفة لامرؤ وله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأخت مبتدأ مؤخر ، والجملة حالية لأنها وقعت بعد واو الحال (فلها نصف ما ترك) الفاء رابطة لجواب الشرط ، ولها متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ونصف مبتدأ مؤخر ، وما اسم موصول مضاف إليه ، وجملة ترك صلة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) الواو استئنافية ، هو مبتدأ ، وجملة يرثها خبره ، وإن شرطية ، ولم حرف شيء وقلب وجزم ، ويكون فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وهو فعل الشرط ، ولها متعلقان بمحذوف خبر يكن المقدم ، ولد اسمها المؤخر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي فهو يرثها • (فإن كاتتا اثنتين) الفاء

استثنائية ، وإن شرطية ، وكاتنا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والألف في « كاتنا » اسمها ، واثنين خبرها (فلهما الثلثان مما ترك) الفاء رابطة ، ولهما متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والثلثان مبتدأ مؤخر ، ومما متعلقان بمحذوف حال ، وجملة ترك صلة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفاعل ترك مستتر يعود على الأخ (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وكانوا فعل الشرط والواو اسمها وإخوة خبرها ، ورجالاً بدل من « إخوة » ونساء عطف على « رجالاً » والفاء رابطة لجواب الشرط ، وللذكر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومثل حظ الأنثيين مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم) الجملة في محل نصب على الحال ، ولك أن تجعلها مستأنفة بيانية ، ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين ، وأن تضلوا مصدر مؤول في محل نصب مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : كراهية أن تضلوا ، ومفعول يبين محذوف وهو عام ، والله الواو استثنائية ، والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بقوله : « عليم » ، وعليم خبر « الله »

الفوائد :

اختتمت صورة النساء بذكر الاموال وأحكام الميراث ، كما افتتحت بذلك ، لتحصل المشاكلة بين المبدأ والختام . وتتلخص آيات الموارث في السورة بثلاثة :

- ١ - الأولى في بيان إرث الأصول والفروع .
- ٢ - الثانية في بيان إرث الزوجين والإخوة والأخوات من الأم .

٣ - والثالثة وهي هذه الآية في إرث الإخوة والأخوات الأشقاء أولاب .

وأما أولو الأرحام فسيأتي حكمهم في سورة الأقال . والمستفتي عن الكلالة هو جابر بن عبد الله لما عاده النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال : يا رسول الله ، إني كلالة فكيف أصنع في مالي ؟ فنزلت .

نبذة من أقوال علماء اللغة في الكلالة :

قيل : إن أصل الكلالة في اللغة ما لم يكن من النسب لحنًا ، أي : لاصقًا بلا وساطة ، وقيل : إنه ما عدا الوالد والولد من القرابة . وقيل : ما عدا الولد فقط . وقيل الإخوة من الأم . وقال في لسان العرب عند ذكره وهو المستعمل : وقيل : الكلالة من العَصَبَة من ورث معه الإخوة ، ويطلق هذا اللفظ على الميت الذي يرثه من ذكر ، وقيل : بل على الورثة غير من ذكر ، وقيل : على كل منهما . والمرجح هو القرينة . والجمهور على أن الكلالة من الموروثين من لا ولد له ولا والد . هذا وفي الكلالة أحكام مبسطة في المطولات ، ولا مجال لها هنا .

آخر آية أنزلت :

روى الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم عن البراء قال : آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة ، أي التوبة ، وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » أي من

آيات الفرائض • وبهذا لا تنافي في ما رواه البخاري عن ابن عباس قال :
آخر آية نزلت آية الربا • على أنه لا سبيل الى القطع بآخر آية نزلت
من القرآن ، وإنما نقول : إن هذه الآية من آخر ما نزل قطعاً ، ويجوز
أن تكون آخرها كلها ، والله أعلم •

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

مدنية بناء على المشهور من أن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة .
 وآياتها مائة وعشرون آية ، أو مائة وثلثان وعشرون آية ، أو مائة وثلاث
 وعشرون آية .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ
 إِلَّا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ غَيْرَ مُحْلٍ الصَّيْدُ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

اللفظة :

(وفى) بالوعد وفاء ، وأوفى به إيفاء : أي أتى به تاماً لا نقص
 فيه . وقد جمع بينهما الشاعر :

أما ابن طوف فقد أوفى بدمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

ويقال لمن لم يوف الكيل : أخسر الكيل ، ولمن لم يوف العهد :
 غدر ونقض . ونقض العهد والوعد ، وهما شيء واحد .

(العقود) : جمع عَقْد بالفتح ، وهو مصدر استعمل اسماً فجمع ، وهو العهد الموثق شبه بعقد الخيل ونحوه ، قال الحطيئة :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم

شدشوا العِناج وشدشوا فوقها الكرّبا

وهو في الأصل موضوع للأجسام الصلبة ، كعقد الحبل وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعاني ، نحو عقد البيع والعهد وغيرها ، فالعقد أخص من العهد ، والمراد بالعقود ما يتعاقدون عليه .

(البهيمة) كل ذات أربع في البر والبحر ، وقيل : ما لا نطق له ، وذلك لما في صوته من الإبهام ، ولكن خص في التعارف بما عدا السباع والطيور ، قاله الراغب . وروي عن الزجاج أن البهيمة من الحيوان ما لا عقل له مطلقاً . وفي القاموس : البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء ، أو كل حي لا يميز ، جمعه بهائم .

(الأنعام) : هي الإبل والبقر والغنم والجواميس . وإضافة بهيمة الى الأنعام للبيان . كشجر الأراك . أي : أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام . وذهب بعضهم الى أن الاضافة على معنى التشبيه ، أي : أحلت لكم البهيمة المشابهة للأنعام ، قيل : في الاجترار وعدم الأنياب ، والأولى أن يقال : إن وجه الشبه المقتضي للحل هو كونها من الطيبات التي هي الأصل في الحل . وقال الحريري في درة الغواص : « ومن ذلك أنهم يظنون الأنعام بمعنى النعم ، وقد فرقت العرب بينهما فجعلت النعم اسماً للإبل خاصة ، أو للماشية التي هي فيها ، وجعلت الأنعام اسماً لأنواع المواشي . حتى إن بعضهم أدخل فيها الظباء وحر

الوحش تعلقاً بقوله تعالى : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » . وقال الراغب :
النعم يختص بالإبل ، وجمعه أنعام . سميت بذلك لأنها من أعظم النعم
عندهم . لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى
يكون في جملة الإبل » . وقال ابن برّي : هو من التغليب ، إذ غلبوا
النعم على غيرها ، ولا فرق بينهما في الحقيقة وكونها شاملة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) كلام مستأنف مسوق
للقيام بموجب العقد . وقد تقدم اعراب النداء . وأوفوا فعل أمر
وفاعل ، وبالعقود جار ومجرور متعلقان بأوفوا (أحلت لكم بهيمة
الأنعام) الجملة مفسرة لأنها تفصيل بعد الإجمال ، بناء على أن العقود
شاملة لجميع الأحكام التي شرعها الله تعالى ، وأمر المكلفين بالإيفاء بها
وأحلت فعل ماض مبني للجهول ، ولكم متعلقان بأحلت ، وبهيمة
نائب فاعل ، والآنعام مضاف إليه (إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وأنتم حرم) إلا أداة استثناء ، وما مستثنى ، قيل : هو منقطع ، لأن
اللفظ ليس من جنس البهيمة ، والتحريم لما طرأ من الموت ونحوه ،
وجملة يتلى عليكم صلة الموصول ، وغير حال من ضمير « لكم » ،
ومحلي مضاف إلى « غير » والصيد مضاف إلى « محلي » ، وجملة وأنتم
حرم من المبتدأ والخبر حال من « محلي الصيد » كأنه قيل : أحللنا
لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا
يكون عليكم حرج (إن الله يحكم ما يريد) الجملة تعليل للحكم ،
وإن واسمها ، وجملة يحكم خبرها ، وما يجوز أن تكون مصدرية أو
موصولة ، وهي على كل حال منصوبة بنزع الخافض ، أي : يحكم
بإرادته ، أو بالذي يريده ، ولا عبث في أحكامه ولا خلل ولا ظلم .

الفوائد :

أفاض العلماء والمفسرون في ذكر المقصود من العقود ، وعندنا أنها عامة شاملة لكل عهود الله التي عهد بها الى عباده من عبادات ومعاملات ، بها انتظام أمر الدنيا والآخرة معاً ، وجميل قول الراغب : « العقود باعتبار العقود والعاقدة ثلاثة أضرب : عقد بين الله تعالى وبين العبد ، وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بين العبد وغيره من البشر » . وقد توسّع الفقهاء وعلماء التشريع فيها ، ووضعوا المصنفات الطويلة بصددتها ، وتناولوا الاحكام الشرعية فيها ، مما يسهل إليه الرجوع في مظانه .

جملة بليغة :

والأساس الذي تنهض عليه العقود في الاسلام هو هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة ، وهي « أوفوا بالعقود » وهي تفيد بقوة ورشاقة أنه يجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به ، وليس لأحد أن يقيّد ما أطلقه الشارع إلا بنص منه ، فكل قول أو فعل يعدّه الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به ، كما أمر الله تعالى ، ما لم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام ، مما ثبت في الشرع ، كالعقد بالإكراه ، أو على إحراق دار أحد أو شجرة بستان ، أو على الفاحشة ، أو على أكل شيء من أموال الناس بالباطل ، كالربا والميسر والرشوة .

العرف والتراضي :

وينتظم في ذلك جميع الأمور الدنيوية كالبيع والإجارة والشركات

وغيرها من المعاملات الدنيوية ، فالأصل فيها عرف الناس وتراضيتهم
 بما لم يخالف حكم الشرع ، وهذا في منتهى الوضوح والإحكام . هذا
 وقد صنّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً سماه « مدارك القياس »
 في موضوع العقود استوفى فيه هذا الموضوع ، مؤيداً بدلائل الكتاب
 والسنة وآثار السلف الصالح ، فليرجع إليه من شاء .

رواية عن الفيلسوف الكندي :

ذكروا أن الكندي الفيلسوف قال له أصحابه : أيها الحكيم اعمل
 لنا مثل هذا القرآن . فقال : نعم أعمل مثل بعضه . فاحتجب أياماً
 كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت
 المصحف فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فإذا هو قد فلق بالوفاء ونهى
 عن النكث ، وحلّل تحليلًا عاماً ، ثم استثنى استثناءً ، ثم أخبر عن
 قدرته وحكمته في سطرين ، لا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاء .
 أي مجلدات كثيرة .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا
 الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنْ
 رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ
 أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالْتَقَوْا وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدُوِّ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٥﴾
اللفه :

(الشعائر) : جمع شعيرة ، وهي العلامة • ثم جعلت علامة
لشعائر الحج ومناسكه •

(الهدي) ما يهدى الى الكعبة ليذبح هناك ويتقرب به الى
الله ، قال :

يقولون : من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا إني لغريب

(القلائد) : جمع قلادة وهي ما يعلق في العنق • وكانوا يعلقون
في أعناق الابل من الهدي نعلًا أو حبلًا أو عروة مزادة أو لحاء شجر
وغيره ليعرف ، فلا يتعرض له أحد • فهو على حذف مضاف ، أي :
ولأصحاب القلائد •

(آمّين) بتشديد الميم المكسورة ، أي : قاصدين •

(يجرمنكم) : مضارع جرّمه الشيء إذا حمّله عليه وجعله يجرّمه
أي يكسبه ويفعله ، وهو يجري مجرى « كسب » في تعديّه الى مفعول
واحد واثنين •

(الشنآن) : شدة البغض • يقال : شنت الرجل أشنؤه ، أي :
أبغضه • وهذا المصدر سماعي مخالف للقياس من وجهين : تعدي فعله

وكسر عينه ، لأنه لا ينقاس إلا في مفتوحها اللازم . وله مصادر كثيرة ،
أنهاها بعضهم الى ثلاثة عشر مصدراً ، وأشهرها : شَنَنًا وشَنَنًا وشَنَنًا
وشَنَنًا وشَنَنًا وشَنَنًا وشَنَنًا ومَشَنَنًا ومَشَنَنًا ومَشَنُوَّة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يا أيها الذين آمنوا
تقدم اعرابها كثيراً ، ولا ناهية وتحلوا مضارع مجزوم بها والواو فاعل
وشعائر الله مفعول به (ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد
ولا آمين البيت الحرام) ولا الشهر الحرام عطف على شعائر ، والحرام
صفة للشهر ، وهو شهر الحج ، وهو ذو القعدة ، وأكد الطبري أنه
رجب . وما بعده عطف عليه أيضاً . ولا آمين أي : ولا تحلوا قوماً
آميين ، فهو صفة لموصوف محذوف ، والمعنى : لا تحلوا قتالهم
ما داموا قاصدين البيت الحرام . وهذا رمز للسلام الذي نادى به
القرآن . والبيت مفعول لآمين لأنه اسم فاعل (يبتغون فضلاً من ربهم
ورضواناً) الجملة حال من الضمير في « آمين » أي : حال كون
الآمين مبتغين فضلاً . وفضلاً مفعول به ، ومن ربهم متعلقان
يبتغون ، أو بمحذوف صفة لـ « فضلاً » ورضواناً معطوف عليه
(وإذا حللتم فاصطادوا) الواو عاطفة ، وإذا ظرف مستقبل متضمن
معنى الشرط ، وجملة حللتم في محل جر بالإضافة ، والفاء رابطة لجواب
إذا ، واصطادوا فعل أمر والواو فاعل ، والمعنى : وإذا حللتم فلا جناح
عليكم أن تصطادوا (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد
الحرام أن تعتدوا) الواو حرف عطف ، و لافاهية ، ويجرمكم فعل
مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف مفعوله الأول ،

وشنآن قوم فاعل ، وأن صدوكم مصدر مؤوّل منصوب بنزع الخافض وهو علة للشنآن متعلق به، وعن المسجد جار ومجرور متعلقان بصدوكم، وأن تعتدوا مصدر مؤول مفعول به ثان ليجرمنكم ، والمعنى : ولا يكسبنكم بغض قوم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء ولا يحسنكم عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) الواو عاطفة ، وتعاونوا فعل أمر والواو فاعل ، وعلى البر متعلقان بتعاونوا ، والتقوى عطف على البر (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتعاونوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين مجزوم بلا ، أي : لا تتعاونوا ، وعلى الإثم متعلقان به ، والعدوان عطف عليه (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) عطف أيضاً ، وجملة إن واسمها وخبرها لا محل لها لأنها تعليلية .

الفوائد :

كانت العرب مجمعة على تعظيم ذي القعدة وذى الحجة ، ومختلفة في رجب ، فشدد تعالى أمره . وهذا هو وجه التخصيص بذكره . وقيل الشهر مفرد محلى بالجنسية ، فالمراد عموم الأشهر الحرم ، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيَرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ
 اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا
 مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ

فَسَقُ الْيَوْمَ يَسَّ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ
 الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
 الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾

اللفظة :

(أهل لغير الله) : الإلهال رفع الصوت به لغير الله ، وهو قولهم
 عند ذبحه : « باسم اللات والعزى » ويقال : « أهل فلان بالحج »
 إذا رفع صوته بالتلبية . ومنه : « استهل الصبي » إذا رفع صوته
 بالبكاء عند الولادة .

(المنخنة) قال صاحب القاموس : خنقه خنقاً ككتف فهو
 خنق ، و انخنقت الشاة بنفسها ، ولا يسري على هذا الفعل حكم
 المطاوعة ، وإنما المطاوع هو اختنق ، وعلى هذا تشمل المنخنة التي
 خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب ، ولهذا تفصيل في كتب الفقه .

(الموقوذة) : هي التي أثخنوها ضرباً بعضاً أو حجر غير محدّد
 حتى ماتت . قال في القاموس : الوقذ : شدة الضرب . وقال في شرحه
 تاج العروس : الموقوذة هي التي تقتل بعضاً أو بحجارة لا حدّ لها
 حتى انحلت قواها وماتت . ولا يخفى ما في الوقذ من تعذيب للحيوان .

- (التردية) : هي التي تردّت من مكان مرتفع فسأت .
- (النطيحة) هي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح .
- وسيأتي بحث ممتع عن هذه الصيغة في باب الفوائد .

(ذكيتم) أي أدركتم ذكاته ، وهو يضطرب وتشخب أوداجه .
والذكاة والتذكية في أصل اللغة إتمام فعل خاص ، يقال : ذكّت النار
تذكو ذكوءاً وذكاً وذكاء إذا تم اشتعالها ، وذكت الشمس إذا
اشتدت حرارتها ، وذكى وذكي وذكي كرمى ورضي تمت فطنته ، قال في
اللسان : « والذكاء شدة وهج النار ، يقال : ذكيت النار إذا أتمت
إشعالها ورفعته ، والذكاء : تمام إيقاد النار ، مقصور يكتب بالألف »
والذكاء في الفهم أن يكون فهماً تاماً سريع القبول .

(النصب) : قال الراغب في مفرداته : نصب الشيء وضعه وضعاً
ثابتاً كنصب الرمح والبناء والحجر ، والنصيب : الحجارة تنصب على
الشيء ، وجمعه نصائب ونصب بضمين ، وكان للعرب حجارة تعبدها
وتذبح عليها ، قال : « كأنهم إلى نصب يوفضون » وقد يقال في
جمعه أنصاب . وقال في اللسان : « والنصب بالفتح والنصب
بالضم والنصب بضمين الداء والبلاء والشر وفي التنزيل : « مسني
الشیطان بنصب وعذاب » والنصبية والنصب بضمين كل
ما نصب فجعل علماً ، فالنصب مفرد وجمع ، قال الأعشى :

وذا النصب المنسوب لا تعبده

لعاقبة والله ربك فاعبدا

واستعماله اليوم للنصب التذكاري سليم لا غبار عليه .

(الأُزلام) جمع زلم بفتحين وكسر د أي بضم ففتح : قِدْح صغير لا ريش له ولا نصل ، وهي سهام كانوا يستقسمونها في الجاهلية ، جمعه أزالام ، كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معازم الأمور ضرب بالقِداح أي أجالها ، وكانت ثلاثة مكتوب على إحداها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي ، والثالث غفل . ليس عليه شيء . فإن خرج الأمر مضى لطيته ، أي : لنيته التي اتتواها ، وإن خرج الناهي لم يفعل وأمسك ، وإن خرج الغفل أعاد الاستقسام .

(المخصصة) : المجاعة .

(متجانف) : منحرف مائل ، من الجنف وهو الميل والجور .

الاعراب :

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أجمله في السابق وهو قوله تعالى : « إلا ما يتلى عليكم » . وحرمت فعل ماض مبني للمجهول وعليكم متعلقان بحرمت ، والميتة نائب فاعل ، والدم ولحم الخنزير معطوفان على الميتة (وما أهل لغير الله به) عطف أيضاً ، وما اسم موصول ، وأهل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو ، والجملة صلة الموصول ، ولغير الله متعلقان بأهل ، وبه متعلقان بأهل أيضاً (والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) كلها معطوفة داخلية في حكم المحرمات (إلا ما ذكيتم) إلا أداة استثناء وما اسم موصول مستثنى متصل منصوب ، وجملة ذكيتم صلة الموصول ، وجملة الاستثناء حالية (وما ذبح على النصب)

الجملة معطوفة على المحرمات (وأن تستقسموا بالأزلام) المصدر المؤول معطوف أيضاً ، أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام (ذلكم فسق) مبتدأ وخبر ، والجملة مستأنفة ، واسم الإشارة راجع الى الاستقسام بالأزلام خاصة ، وقيل : الى جميع ما تقدم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) اليوم ظرف زمان متعلق يئس ، وأراد به مطلق الحال ، لا يوماً بعينه ، على حد قول أبي العلاء المعري :

الآن لما ابيضّ مسرّبتى وعضضت من نابي على جذم
حلبت هذا الدهر أشطره وأتيت ما آتني على علم

فقوله : « الآن » أراد به الزمان الحاضر ، والمسرّبة : شعر الصدر ، وهو آخر ما يشيب من الانسان ، فيياض المسرّبة كناية عن بلوغه غاية الشوط في الشيب ، وخاتمة المطاف في العمر . ومعنى البيتين : صارت عادتي أني أفعل ما أفعله على علم عندي من طول تجربتي لحوادث الدهر ، والجملة مستأنفة ، والذين اسم موصول فاعل وجملة كفروا صلة ، ومن دينكم متعلقان يئس ، أي : من إبطال أمر دينكم (فلا تخشوهم واخشون) الفاء الفصيحة ، ولا فاهية ، وتخشوهم فعل مضارع مجزوم بلا ، واخشوني فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها (اليوم اكملت لكم دينكم) اليوم ظرف زمان متعلق بأكملت ، ولكم متعلقان بها أيضاً ، ودينكم مفعول به لأكملت ، والجملة مستأنفة (وأتممت عليكم نعمتي) عطف على ما تقدم ، وعليكم متعلقان بأتممت ونعمتي مفعول به لأتممت (ورضيت لكم الاسلام ديناً) الواو استئنافية ، ورضيت فعل وفاعل ، لكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « ديناً » ، وديناً مفعول به أو تمييز ، لأن معنى رضيت جعلت . وإذا كانت بمعنى الرضا كانت « ديناً » حالا من

الاسلام ولكم متعلقان برضيت (فمن اضطر في مخصصة) الفاء استثنائية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، واضطر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط وفائب الفاعل هو يعود على من ، وفي مخصصة متعلقان باضطر (غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) غير متجانف نصب على الحال وإلثم جار ومجرور متعلقان بمتجانف ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن واسمها وخبرها ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

الفوائد :

صيغة « فاعِل » اذا كانت بمعنى مفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث ، فلا تلحقها علامة التأنيث ، إذ تقول العرب : عين كحيل لا كحيلة ، وكف خضيب لا خضيبة ، فكيف لحقت التاء « نطيحة » وهي بمعنى منطوحة ؟ وقد قيل في الجواب : إن التاء هنا للنقل من الوصفية الى الاسمية ، أو إن فاعلاً هنا بمعنى فاعل ، كأنه قال : والناطحة التي تموت بالنطاح ، أي تنطح غيرها ، وغيرها ينطحها ، فتموت . وقال الكوفيون : إنما يمتنع إلحاق التاء بفعيل بمعنى مفعول اذا كان وصفاً لموصوف مذكور ، كعين كحيل ، فأما اذا لم يسبق للموصوف ذكر فلا يمتنع إلحاق التاء . وهذا تعليل جميل ، فإن « ذبيحة » و « نطيحة » ونحوهما اذا لم يسبقهما موصوف لم يعلم : أهى مذكر أم مؤنث ؟ مثل : رأيت جريحة ، أما اذا علم فلا ، نحو : رأيت امرأة جريحا ، أو رأيت جريحا ملقاة في الطريق .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا

عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠﴾

المغنة :

(الجوارح) : الكواسب من سباع البهائم والطيور ، كالكلب
والعقاب .

(مكلبين) : المكلب اسم مفعول من كلب ، أي : المضى
بالصيد من هذه الجوارح ، والمروءض منها على الافتراس ، لأن
الترويض أكثر ما يكون للكلب ، فاشتق من لفظه لشيوع الغلبة عليه .

الاعراب :

(يسألونك ماذا أحل لهم) جملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن
سؤالهم : ماذا أحل لهم ؟ ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ،
وماذا : تقدم أن لنا في اعرابها وجهين : إما أن نجعل ماذا كلها اسم
استفهام مبتدأ ، وجملة أحل لهم خبره ، وإما أن نجعل ما اسم استفهام
مبتدأ وذا اسم موصول خبر ، وجملة أحل لهم صلة الموصول . والجملة
الاستفهامية في موضع المفعول الثاني ليسألونك ، وقد نصوا على أن
فعل السؤال يعلق عن العمل وإن لم يكن من أفعال القلوب ، لأنه
سبب العلم ، فكما يعلق العلم فكذلك يعلق سببه (قل : أحل لكم

الطيبات) جملة قل استئنافية ، وجملة أحل لكم الطيبات في محل نصب مقول القول ، ولكم متعلقان بأحل والطيبات فائب فاعل (وما علمتم من الجوارح مكلّين) الواو عاطفة ، وما اسم موصول معطوف على الطيبات ، وجملة علمتم صلة الموصول ، ومن الجوارح متعلقان بمحذوف حال ، وفي صاحبها وجهان : أحدهما اسم الموصول وهو « ما » ، والثاني أنه العائد المحذوف على اسم الموصول ، أي : علمتموه . ومكّلين حال من علمتم ، أفادت أن التعليم يحتاج الى الخبرة التامة والمقدرة المتناهية ، وأن على المتعلم أن يأخذ العلم عن أربابه الأكفيا . وأجاز بعضهم أن تكون الواو استئنافية وما شرطية في محل رفع على الابتداء ، وجواب الشرط هو فكلوا ، وهو اعراب سائغ (تعلمونهن مما علمكم الله) جملة تعلمونهن حال ثانية أو استئنافية ، ومما متعلقان بتعلمونهن ، وجملة علمكم الله صلة الموصول . ومفعولا علمتم وتعلمونهن الثانيين محذوفان ، والتقدير : وما علمتموه طلب الصيد لكم لا لأنفسهن ، تعلمونهن ذلك (فكلوا مما أمسكن عليكم) الفاء الفصيحة أو رابطة لجواب الشرط على الاعراب الثاني ، ومما متعلقان بكلوا ، وجملة أمسكن صلة « ما » وعليكم متعلقان بأمسكن (واذكروا اسم الله عليه) الواو عاطفة ، والجملة عطف على جملة فكلوا ، وجملة فكلوا لا محل لها ، أو في محل جزم جواب الشرط (واتقوا الله إن الله سريع الحساب) عطف على ما تقدم ، وإن واسمها وخبرها .

﴿ الْيَوْمَ أَحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ
 أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
 بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٠﴾
 اللفظة :

(حل) : مصدر بمعنى حلال ، فلا يشئ ولا يجمع .

(محصنين) : أعفاء ، أحصنوا أنفسهم بالزواج ، ولم يتطلّعوا
 الى الزنا فعلاً ولا قصداً .

(أخدان) : جمع خِدْنٍ بكسر الخاء ، وهو يقع على المذكّر
 والمؤنث .

الاعراب :

(اليوم أحل لكم الطيبات) كلام مستأنف مسوق لتكرير ذكر
 الطيبات التي أحلت لكم يوم السؤال عنها ، أو اليوم الذي أكلت
 لكم دينكم . وقيل : ليس يوماً معيناً . واليوم ظرف زمان متعلق بأحل ،
 وأحل فعل ماض مبني للمجهول ، ولكم متعلقان بأحل ، والطيبات نائب
 فاعل (وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حلٌ لهم)
 الواو استئنافية ، وطعام مبتدأ ، والذين مضاف اليه ، وأوتوا فعل ماض
 مبني للمجهول ونائب فاعل ، والكتاب مفعول به ثان ، والجملة صلة

الموصول ، وحل خبر طعام ، ولكم متعلقان بحل ، وطعامكم حل لهم عطف على ما تقدم (والمحصلات من المؤمنات والمحصلات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الواو استئنافية أو عاطفة ، والمحصلات مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله ، أي : حل لكم ، ومن المؤمنات متعلقان بمحذوف حال من المحصلات ، والمحصلات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم عطف على ما تقدم ، ومن قبلكم متعلقان بمحذوف حال (إذا آتيتوهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) الظرف إذا متعلق « بحل » المحذوفة ، آتيتوهن فعل ماض وفاعل ومفعول به أول ، والجملة في محل جر بالإضافة ، وأجورهن مفعول به ثان ، ومحصنين حال وغير مسافحين حال ثانية ، ولا متخذي أخدان عطف على مسافحين (ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويكفر فعل الشرط ، وبالآيمان متعلقان بيكفر ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وحبط عمله فعل وفاعل ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو حرف عطف وهو مبتدأ وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال ومن الخاسرين متعلقان بمحذوف خبر « هو » .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ
مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

اللفة :

(المرافق) : جمع مرفق بكسر الميم وفتح الفاء ، وبفتح الميم
وكسر الفاء ، وهو الموصل بين الساعد والعضد . وجمعها وثنتي
الكعبين لأن للانسان مرفقا واحداً في كل يد ، فناسب أن يذكر بالنسبة
لجميع بالجمع ، بعكس الكعبين فان الكعبين هما العظمان الناشزان
من جانبي القدم ، فناسب أن يذكر الاثنان من كل رجل . وسبب آخر
وهو أن جمع المرفق لفظ مأنوس في الكلام ، أما جمع الكعب فهو
لفظ لا يحلو ذكره في الكلام ، إذ يجمع على كعاب وكعوب وأكعب ،
وهذا أمر مرّده الى الذوق وحده .

(الغائط) : المطمئن من الأرض والمنخفض منها ، ويقصد به هنا
قضاء الحاجة كما سيأتي في باب البلاغة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها (إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام الوضوء لأداء فريضة
الصلاة ، وهي أعظم الطاعات بعد الايمان . وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط متعلق بقوله فاغسلوا، وجملة قمتم في محل جر بالإضافة،
والى الصلاة متعلقان بقمتم، والفاء رابطة، وجملة اغسلوا لا محل لها لأنها
جواب شرط غير جازم، ووجوهكم مفعول به (وأيديكم الى المرافق) وأيديكم
عطف على وجوهكم، والى حرف جر يدل على معنى الغاية والانتهاء
مطلقاً، ودخولها في الحكم وخروجها منه أمر يدور مع الدليل، فما
فيه دليل على الخروج قوله تعالى: « فنظرة الى ميسرة » لأن الإعصار
علة الإظهار، وبوجود الميسرة تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه
لكان منتظراً في كلتا الحالتين معسراً وموسراً. وكذلك « ثم أتوا
الصيام الى الليل » ولو دخل الليل لوجب الوصال. ومما فيه دليل
على الدخول قولك: حفظت القرآن من أوله الى آخره، لأن الكلام
مسوق لحفظ القرآن كله. ومنه في القرآن: « سبحان الذي أسرى
بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » ومعلوم أنه
لا يسري به الى بيت المقدس من غير أن يدخله. وقوله تعالى:
« الى المرافق » و « الى الكعبين » لا دليل فيه على أحد الأمرين، فأخذ
العلماء بالأحوط، فحكموا بدخولها في الغسل. والجار والمجرور
متعلقان بمحذوف حال (وامسحوا برءوسكم) عطف على ما تقدم.
وقد كثر الاختلاف حول هذه الباء، فقال بعضهم هي زائدة، وقال
بعضهم: هي للتبويض، كقول عمر بن أبي ربيعة:

فلثمت فاما آخذاً بقرونها شرب النزيف يبرد ماء الحشرج

وقال بدر الدين بن مالك: وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح
بعض الرأس. وأنكر ذلك محب الدين أبو البقاء العكبري، وقال
الشيخ شهاب الدين القرافي: اذا قلت: مسحت بالمنديل، وكنت

بالقلم ، وطفت بالبيت ، فمن المعلوم أنك ما مسحت بكل المنديل ، ولا كتبت بكل القلم ، ولا طفت بكل البيت ، علواً وسفلاً ، وظهراً وبطناً ، وإنما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا ، واختار ابن هشام والزمخشري أن تكون الباء للإلصاق ، وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه . وقد أخذ مالك وأحمد بالاحتياط فأوجبا الاستيعاب ، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح ، وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما روي أنه مسح على ناصيته ، وقدر الناصية بربع الرأس . وإنما أطلعنا في هذا البحث لطرافته ، ورياضته للذهن . والجار والمجرور متعلقان بامسحوا ، وسيأتي مزيد بحث عنه . (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ نافع وابن عامر وخفص والكسائي ويعقوب : وأرجلكم ، بالفتح ، أي : واغسلوا أرجلكم الى الكعبين ، وهما العظامان الناتئان عند مفصل الساق من الجانبين ما وقرأها الباقر : ابن كثير وحمزة وأبو عمرو بالجـر ، والظاهر أنه عطف على الرأس ، أي : وامسحوا بأرجلكم الى الكعبين . ومن هنا اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما ، فجاهير أهل السنة على أن الواجب هو الغسل وحده ، والشيعة والإمامية أنه المسح . وقال داود بن علي والناصر للحق من الزيدية : يجب الجمع بينهما . وقد رأى ابن جرير الجمع بين القولين للاحتياط . وقد عللوا تأخيرهم في قراءة النصب بأن صب الماء مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفت على الثالث المسحوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها . وقد أطالوا في التخريج والتأويل إطالة لا يتسع لها صدر هذا الكتاب ، وهي ناشئة عن الولع بالتحقيق والوصول الى ما هو أجدى وأسلم ، ولهذا جنح ابن جرير الى الجمع ، وفيه من حسن النية ، وسلامة الطوية

الشيء الكثير . (وإن كنتم جنباً فاطهروا) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وكنتم كان واسمها ، وهي فعل الشرط ، وجنباً خبر كنتم ، وجملة اطهروا جواب الشرط (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسمها ومرضى خبرها ، أو حرف عطف ، وعلى سفر متعلقان بمحذوف خبر ثان لكنتم ، وجاء عطف على كنتم ، وأحد فاعل جاء منكم متعلقان بمحذوف صفة لأحد ، ومن الغائط متعلقان بجاء ، وأو حرف عطف ، ولامستم النساء عطف على ما تقدم (فلم تجدوا ماء فتيمسوا صعيداً طيباً) الفاء حرف عطف ولم تجدوا عطف أيضاً ، وماء مفعول به ، والفاء رابطة لجواب الشرط وجملة فتيمسوا صعيداً في محل جزم جواب الشرط ، وطيباً صفة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) عطف على ما تقدم ، ومنه متعلقان بامسحوا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة من شرائع الدين . وما نافية ، يريد الله فعل وفاعل ، واللام للتعليل ، ويجعل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، وأن المضمرة والفعل المضارع مصدر مؤول مفعول يريد والجعل إما بمعنى الإيجاد والخلق فيتعدى لمفعول به واحد ، وعليكم متعلقان به ، ومن حرف جر زائد ، وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول بجعل ، وإما من الجعل ، أي : التصيير ، فيكون عليكم هو المفعول الثاني (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك وهي هنا مهملة لأنها مخففة ويريد فعل مضارع ، وفاعله هو واللام للتعليل ، ويطهركم منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان يريد . وليتم نعمته عليكم عطف عليه ، ولعل واسمها ، وجملة تشكرون في محل رفع خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

الكناية في قوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » فالمجيء من الغائط — وهو المطمئن أو المنخفض من الأرض — كناية عن الحدث، جرياً على عادة العرب ، وهي أن الانسان منهم إذا أراد قضاء حاجة قصد مكاناً منخفضاً من الأرض وقضى حاجته فيه .

الفوائد :

اشتملت آية الوضوء على فوائد هامة لا يجوز إغفالها ، ونشير إليها فيما يلي :

١ — استغنى ببناء القلة في قوله : « وأرجلكم » عن بناء الكثرة لأنها لم يستعمل لها بناء كثرة ، وقد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة وضعاً واستعمالاً اتكالا على القرينة . وقد وضع الشاطبي قاعدة جميلة تلخصها فيما يلي : « وحقيقة الوضع أن تكون العرب لم تضع أحد البناءين استغناء عنه بالآخر ، والاستعمال أن تكون وضعتهما معاً ، ولكنها استغنت في بعض المواضع عن أحدهما بالآخر ، فالأول : كأرجل جمع رجل ، وأعناق جمع عنق ، وأفئدة جمع فؤاد ، قال تعالى : « وأرجلكم الى الكعابين » ، « فاضربوا غوق الأعناق » ، « وأفئدتهم هواء » ، فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لأنها لم يوضع لها بناء كثرة . والثاني : كأقلام .

٢ — لا شك في أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه كان مستثلاً فعل ما يصدق عليه مسح ، وليس في اللغة ما يقتضي أنه لا بد في مثل

هذا الفعل من مسح جميع الرأس ، وهكذا سائر الأفعال المتعدية ، نحو : اضرب زيدا أو اطعنه ، أو ارجمه . فإنه يوجد المعنى بوقوع الضرب أو الطعن أو الرجم على عضو من أعضائه ، ولا يقول قائل من أهل اللغة أو من هو عالم بها : إنه لا يكون ضارباً إلا بإيقاع الضرب على كل جزء من أجزاء زيد ، وكذلك الطعن والرجم وسائر الأفعال .

٣ - قال تعالى : « إذا قستم إلى الصلاة » ، وفي الجنب « وإن كنتم مرضى » لأن « إذا » تدخل على كائن أو منتظر لا محالة ، « وإن » تدخل على أمر ربما كان وربما لا يكون . والقيام إلى الصلاة ملازم والجنب ليست بملازمة ، فإنها قد توجد وقد لا توجد . ولهذا درج المفسرون على تفسير « إذا قستم » أي : إذا أردتم القيام ، من إقامة المسبب مقام السبب ، والقيام متسبب عن الإرادة ، والإرادة سببه .

٤ - من طريف الأبحاث اختلاف العلماء في دخول المرفق في الغسل ، فقال قوم : إن المرفق داخل في مسمى اليد ، لأن اليد من رأس الأنامل إلى الإبط . وهذا ينتقض بقولك : نمت البارحة إلى نصفها ، ولا يجوز أن يقال : إنه نام البارحة كلها . وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين ، وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين . وهذا الخلاف أيضاً في الكعنين ، حجة زفر أن « إلى » لانتهاى الغاية ، والمنتهى غير النهاية ، فلا يتعين غسل النهاية . والجواب من وجهين :

أ - الأول مذهب الزجاج : قال : سلمنا أن المرفق لا يجب غسله ، لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم ، فإنه هو المكان الذي يرتفق به ، أي يتكأ عليه . ولا نزاع في أن ما وراء أطراف العظم لا يجب غسله .

ب - الثاني : أن حد الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود ،

كقوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » فإن النهار منفصل عن الليل في الحسن ، وقد لا يكون منفصلاً ، كقولك : بعثك هذا الثوب من هنا الى هنا . فهذا الحد غير منفصل ، ولا شك في أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلاً معيناً ، واذا كان كذلك فليس إيجاب الغسل الى حيز أولى من ايجابه الى حيز آخر ، فوجب القول بغسل كل المرفق . وقال بعضهم : النهاية غير المتناهي ، وغسل المرافق لم يفهم من الآية الكريمة ، وإنما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا لو قلت : بعثك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة ، لم تدخل الغاية ها هنا . واذا قلت : بعثك من هذا الحائط الى هذا الحائط ، دخل الحائطان في المبيع . والفرق بينهما أن الغاية في الأولى من جنس ما دخلت فيه فهي خارجة عنه ، وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل . وفي الثانية أن الغاية خارجة ، لأن الحائط ليس من جنس البستان ، فلهذا دخل الحائطان في المبيع . ألا ترى أن قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أدبر النهار من ها هنا ، وأقبل الليل من ها هنا ، فقد أفطر الصائم » فاعتبر دخول الليل لأنه خارج عن النهار .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

الاعراب :

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به) الواو الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتذكير المؤمنين بنعمة عليهم وميثاقه الذي واثقهم به . واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومنفعل به ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة وميثاقه عطف على نعمة الله ، والذي صفة لميثاق وجملة واثقكم به صلة الموصول (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بواثقكم ، وجملة قلتم في محل جر بالاضافة ، وجملة سمعنا مقول القول ، وجملة وأطعنا عطف عليها (واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور) كلام مستأنف ، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومنفعل به ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية ، وذات الصدور الأمور المكنونة في الصدور (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان الأمور المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم . وكونوا فعل أمر ناقص ، والواو اسمها ، وقوامين خبرها ، والله متعلقان بقوامين ، وشهداء خبر ثان لكونوا ، وبالقسط متعلقان بشهداء (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، ويجرمينكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف منفعل به ، وشنآن قوم فاعل ، وعلى حرف جر ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان يجرمنكم ، لأنه تضمن معنى لا يحملنكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) جملة اعدلوا مفسرة ، وهو ضمير منفصل

مبتدأ يعود على المصدر المفهوم من قوله : « اعدلوا » وأقرب خبر ،
والجملة مستأنفة ، وللتقوى متعلقان بأقرب (واتقوا الله إن الله خير
بما تعملون) تقدم إعراب مثلها قريباً .

البلاغة :

التكرير في طلب المعدلة ، والسرفيه التأكيد على العدل والتشويق
اليه . وخلاصة المعنى : لا يحصلنكم بفضلكم للمشركين على ترك المعدلة
فتعتدوا عليهم . وهذا منتهى ما تصل اليه المثل العليا ، والقيم
الانسانية السامية .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ءَاجِرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا ءُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ءَن يَسُطُّوٓا۟ إِلَيْكُمْ ءَيْدِيهِمْ
فَكَفَّ ءَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كلام مستأنف مسوق
ليبان وعده سبحانه ، فإن النفس الانسانية مفضورة على التوجه

بالسؤال عن بيان هذا الوعد . ووعد الله فعل وفاعل ، والذين مفعول به . وجملة آمنوا صلة الموصول ، وعملوا الصالحات عطف على الصلة (لهم مغفرة وأجر عظيم) لهم الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومغفرة مبتدأ مؤخر ، والجملة يجوز أن تكون مفسرة للمفعول به الثاني المحذوف للفعل « وعد » ، وتقديره « الجنة » ، ويجوز أن تكون استئنافية بياناً ، كأنه قال : قوم لهم وعد ، فليل : أي شيء وعده ؟ فقال : لهم مغفرة وأجر عظيم . وعلى هذا لا محل لها أيضاً . ولك أن تجعلها مقولاً لقول محذوف تتضمن زيادة التقرير الموعود به والتأكيد لوقوعه . وقيل : هي جملة في محل نصب على أنها المفعول الثاني لقوله « وعد » على معنى : وعدهم أن لهم مغفرة ، أو وعدهم مغفرة . فوقعت الجملة موقع المفرد ، فأغنت عنه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) الواو استئنافية ، والذين مبتدأ ، وجملة كفروا صلة ، وجملة كذبوا بآياتنا عطف على الصلة ، وأولئك مبتدأ ثان ، وأصحاب الجحيم خبر أولئك ، والجملة الاسمية خبر الذين (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (اذكروا نعمة الله عليكم) تقدم إعرابها قريباً والجملة مستأنفة (إذ هم قوم أن يسطوا إليكم أيديهم) إذ ظرف للنعمة متعلق بها ، ويجوز أن يتعلق باذكروا ، وجملة هم قوم في محل جر بالاضافة ، وأن يسطوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بـ « هم » ، واليكم متعلقان يسطوا ، وأيديهم مفعول به (فكف أيديهم عنكم) عطف على ما تقدم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو استئنافية واتقوا الله فعل وفاعل ومفعول ، وعلى الله متعلقان بتوكل ، والفاء استئنافية واللام لام الأمر ، ويتوكل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، والمؤمنون فاعل .

البلاغة :

بسط اليد : عبارة مجازية مرسلة بعلاقة السببية ، لأن اليد سبب الإيذاء ، كما أن بسط اللسان عبارة مجازية ، علاقتها السببية .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١٢﴾

اللفظة :

(نقيباً) : النقيب في القوم من ينقب عن أحوالهم ، ويبحث عن شئونهم ، وهو « فعيل » بمعنى فاعل مشتق من التنقيب، وهو التفتيش. ومنه قوله تعالى : « فنقبوا في البلاد » ، وسمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسرارهم وقيل : هو بمعنى « مفعول » كأن القوم اختاروه على علم منهم . وقيل : هو للمبالغة كعليم وخير .

(عززتموهم) نصرتموهم . وفي المختار : التعزير : التوقيف والتعظيم .

الاعراب :

(ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لذكر بعض ما صدر عن بني إسرائيل ، وفيه تحريض للمؤمنين على ذكر نعمة الله ، ومراعاة حق الميثاق ، وتحذير من نقضه . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذ الله فعل وفاعل ، وميثاق مفعول به ، وبني إسرائيل مضاف اليه (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) وبعثنا عطف على أخذ ، ومنهم متعلقان بـ « نقيباً » أو حال من « اثني عشر » ، واثني عشر مفعول به لبعثنا ، ونقيباً تمييز (وقال الله إني معكم) الواو عاطفة ، على طريق الالتفات ، وقال الله فعل وفاعل ، وإني إن واسمها ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبرها ، وإن وما في حيزها مقول القول (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة) اللام موطئة للقسم المحذوف ، وإن شرطية ، وأقمتم فعل وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والصلاة مفعول به ، وآتيتم الزكاة عطف على أقمتم الصلاة والجملة القسمية مستأنفة (وآمنتكم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً) عطف على ماتقدم ، وبرسلي متعلقان بآمنتكم ، وعزرتموهم عطف أيضاً ، وهو فعل وفاعل والواو لإشباع الضمة ، والهاء مفعول به ، وأقرضتم الله فعل وفاعل ومفعول به ، وقرضاً مفعول مطلق ، وحسناً صفة (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) اللام واقعة في جواب القسم ، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم المتقدم عليه ، وعنكم متعلقان بأكفرن ، وسيئاتكم مفعول به ، ولأدخلنكم عطف على « لأكفرن » ، وجنات مفعول به ثان على السعة أو منصوب بنزع الخافض ، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد

ضل سواء السبيل (الفاء استئنافية ، ومن شرطية مبتدأ ، وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبعد ذلك ظرف متعلق بكفر ، ومنكم متعلقان بسحذوف حال ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، والجلسة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، وسواء السبيل مفعول ضل .

البلاغة :

في قوله تعالى : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » استعارة تصريحية . فقد شبه الإتيان في سبيل الله لوجهه بالقرض ، على سبيل المجاز ، لأنه باعطاء المستحق ماله لوجه الله ، فكأنه أقرضه إياه .

﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

اللفظة :

(لعناهم) : طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا .

(خائنة) : الخائنة هنا : الخيانة . والعرب تعبر بصيغة اسم الفاعل عن المصدر أحياناً وبالعكس ، فاستعملت القائلة بمعنى القيلولة ،

والخاطئة بمعنى الخطيئة . أو هي وصف المحذوف ، إما مذكر والهاء للبالغة ، كما قالوا : راية للشعر ، لكثير الرواية ، قال :

حدث نفسك بالوفاء ولم تكن للعدر خائنة مثفل الإصبع

وداعية لمن جرد نفسه للدعوة الى الشيء . وإما مؤنث بتقدير : أو فرقة .

الاعراب :

(فبا نقضهم ميثاقهم لعناهم) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما أصابهم من طرد وإبعاد عن الرحمة ناشئ عن نقضهم الميثاق . والباء حرف جر ، وما زائدة لتوكيد الكلام ، ونقضهم مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بعناهم ، وميثاقهم مفعول به للمصدر وهو النقص ، ولعناهم فعل وفاعل ومفعول به ، (وجعلنا قلوبهم قاسية) وجعلنا عطف على لعناهم ، وقلوبهم مفعول به أول ، وقاسية مفعول ثانٍ (يحرفون الكلم عن مواضعه) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مدى قسوة قلوبهم ، والكلم مفعول يحرفون ، وعن مواضعه جار ومجرور متعلقان يحرفون (ونسوا حظاً مما ذكروا به) عطف على ما تقدم ، ونسوا حظاً فعل وفاعل ومفعول به ، وما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ «حظاً» وجملة ذكروا به لا محل لها لأنها صلة الموصول (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم) الواو عاطفة ، ولا تزال فعل مضارع ناقص ، والاسم مستتر تقديره أت ، وجملة تطلع خبر لا تزال ، وعلى خائنة متعلقان بتطلع ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لخائنة ، وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من الضمير المجرور في « منهم » ، ومنهم

متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » ، وأراد بالقليل منهم من أسلم
 كعبد الله بن سلام وأصحابه (فاعف عنهم واصفح) الفاء الفصيحة ،
 أي : إذا عرفت هذا فاعف عن جاءك معلناً توبته وانضواءه تحت لواء
 الدين القويم ، واعف فعل أمر وعنه متعلقان بـ « اعف » واصفح
 عطف على فاعف (ان الله يحب المحسنين) إن واسمها ، وجملة يحب
 المحسنين خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا تِمَّا ذُكِّرُوا
 بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ
 اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١٤)

اللفظة :

(نصارى) : في مختار الصحاح : النصير : الناصر وجمعه أنصار ،
 كشریف وأشراف ، وجمع الناصر نصر كصاحب وصحب . والنصارى
 جمع نصران ونصرانة ، كالندامى جمع ندمان وندمان . ولم يستعمل
 نصران إلا بياء النسب . وفي المصباح : ورجل نصراني بفتح النون ،
 وامرأة نصرانية . ويقال : إنه نسبة الى قرية اسمها نصرى ، ولهذا يقال
 في الواحد : نصري ، على القياس ، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد
 بهذا الدين . وقال في المنجد : النصراني نسبة الى مدينة الناصرة على
 غير القياس : من يتبع دين السيد المسيح ، والجمع نصارى ، والمؤنث
 نصرانية . وقال في اللسان : ونصرى بفتحين ، ونصرى بفتح فسكون ،

وناصرة ونصثورية : قرية بالشام ، والنصارى منسوبون اليها ، قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة ، قال : وهو ضعيف ، إلا أن نادر النسب يسمه • قال : وأما سيبويه فقال : أما نصارى فذهب الخليل الى أن جمع نصري ونصران ، كما قالوا : ندمان وندامى ، ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما حذفوا من أُنْثِيَّة ، وأبدلوا مكانها ألفاً ، كما قالوا : صحارى • قال : وأما الذين نوجهه نحن عليه فإنه جاء على نصران لأنه قد تكلم به ، فكأنك جمعت نصراً كما جمعت مَسْماً وقلت نصارى كما قلت ندامى •

(أغرينا) : ألصقنا وألزمنا، وهي من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به، ومعنى الغراء الذي يلصق به، والغراء مثل كتاب، وفي المصباح: غري بالشيء غرياً من باب تعب أوقع به من حيث لا يحمله عليه حامل، وأغريته به إغراء فأغري به بالبناء للمفعول ، والاسم الغراء بالفتح والمد والغراء مثل كتاب : ما يلصق به ، معول من الجلود ، وقد يعمل من السمك • والغراء مثل العصا : لغة فيه ، وغروت الجلد أغروه من باب عدا : ألصقته بالغراء ، وأغريت بين القوم : مثل أفسدت وزناً ومعنى ، وغروت غرواً من باب قتل : عجت ، ولا غرو : ولا عجب •

الاعراب :

(ومن الذين قالوا : إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن النصارى • والجار والمجرور متعلقان بأخذنا ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإن واسمها ، ونصارى خبرها ، وجملة أخذنا مستأنفة كما تقدم ، وميثاقهم مفعول به ، وجملة إنا نصارى مقول القول • وهناك أوجه أخرى تراها في باب الفوائد • (فنسوا حظاً مما ذكروا به) الفاء عاطفة ، ونسوا عطف على أخذنا ، والواو فاعل ، وحظاً مفعول به ، ومما متعلقان بمحذوف صفة لـ «حظاً»،

وجملة ذكروا صلة الموصول ، وبه جار ومجرور متعلقان بذكروا ،
والواو نائب فاعل (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)
عطف على ما تقدم ، وأغرينا فعل وفاعل ، والظرف متعلق بأغرينا ،
والعداوة مفعول به ، والى يوم القيامة متعلقان بمحذوف حال ، أي :
ممتدة الى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) الواو
عاطفة ، وسوف حرف استقبال ، وينبئهم فعل وفاعل ومفعول به ،
وبما متعلقان ينبئهم ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يصنعون
خبر كانوا .

الفوائد :

أنهى بعض المعربين الأوجه التي أجازوها في هذه الآية الى وجوه
منها ما اخترناه ، وهو ما ذهب اليه الزمخشري ، ولكنه جعل الضمير
في ميثاقهم عائداً على بني اسرائيل ، والتقدير : وأخذنا من النصارى
ميثاقاً مثل ميثاق بني اسرائيل ، وهناك وجه جدير بالذكر وهو أن
يتعلق قوله : « ومن الذين » بمحذوف على أنه خبر لمبتدأ محذوف قامت
صفته مقامه ، والتقدير : ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم
أخذنا ميثاقهم .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾
الأعراب :

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) كلام مستأنف مسوق
لخطاب أهل الكتاب عامة على طريق الالتفات . ويا حرف نداء للمتوسط ،
وأهل الكتاب منادى مضاف منصوب ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم
فعل ماض ومنفعل به مقدم ، ورسولنا فاعل مؤخر (يبين لكم كثيراً
مما كنتم تخفون من الكتاب) الجملة حالية من « رسولنا » والكم
متعلقان بيبين ، وكثير مفعول به ، ومما جار ومجرور متعلقان
بمحذوف صفة لـ « كثيراً » وما اسم موصول وكنتم كان واسمها ،
والجملة صلة ، وجملة تخفون في محل نصب خبر كنتم ، ومن الكتاب
جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من العائد المحذوف (ويعفو عن
كثير) الجملة معطوفة على جملة « يبين » الحالية داخلة في حكمها
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) جملة مستأنفة مسوقة لبيان
الفائدة من مجيء الرسول . ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف
حال ، لأنه كان في الأصل صفة لنور ، وتقدم عليه . ونور فاعل
« جاءكم » ، وكتاب عطف على « نور » ، ومبين صفة (يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبيل السلام) الجملة صفة لكتاب ، وبه متعلقان
بيهدي ، والله فاعل ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة اتبع
رضوانه صلة الموصول ، وسبيل السلام مفعول به ثان على السعة ليهدي ،
أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان يهدي (ويخرجهم
من الظلمات إلى النور بإذنه) الواو عاطفة ، ويخرجهم معطوف على

يهدي ، والهاء مفعول به ، ومن الظلمات متعلقان بيخرجهم ، وكذلك الى النور ، ويأذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ويهديهم الى صراط مستقيم) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم اعرابه كثيراً .

البلاغة :

في قوله تعالى : « من الظلمات الى النور » استعارتان تصريحيتان أصليتان ، يقصد بالأولى الضلال وبالثانية الهدى والايان ، والعلاقة المشابهة ، وقد لفظ المشبه واستعير بدله لفظ المشبه به ، ليقوم مقامه ، بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه ، وهذا أبعد مدى في البلاغة ، وأدخل في بابها ، ولما كان المشبه به مصرحاً به في هذا المجاز سميت الاستعارة تصريحية ، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم . ومن الاستعارة التصريحية قول أبي الطيب :

وأقبل يمشي في البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم الى البدر يرتقي

فقد شبه سيف الدولة بالبحر ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة : فأقبل يمشي في البساط ، وكذلك يقال في تشبيه سيف الدولة بالبدر .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

اللفة :

(يملك) : تقول العرب : ملك فلان على فلان أمره إذا استولى
عليه فصار لا يستطيع أن ينفذ أمراً ولا أن يفعل شيئاً إلا به وإذنه .
قال ابن دريد في وصف الخمر التي لم يكسر المزاج حداثتها ولم تبطل
النار تأثيرها :

لم يملك الماء عليها أمرها ولم يدنسها الفُرم المحتَضِي

وقوله تعالى : « فمن يملك من الله شيئاً » أبلغ من مثل هذا
القول ، لأنه قد يملك أحد بعض أمره تعالى ، فضلاً عن ملك أمره
كله ، فصار المعنى أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يردّ أمره ويحوّله
عن إرادته بوجه ما .

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم) اللام واقعة
في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وكسر فعل ماضٍ والذين
فاعله ، وجملة قالوا صلة الموصول ، وجملة القسم مستأنفة ، وجملة

قد كفر لا محل لها لأنها جواب القسم ، وإن واسمها وخبرها مقول القول وهو ضمير فصل يفيد الحصر لا عمل له والمسيح خبر إن ، أو « هو » مبتدأ والمسيح خبر ، والجملة خبر إن ، وابن مريم بدل أو نعت (قل فمن يملك من الله شيئاً) الجملة مستأنفة ، وقل فعل أمر وفاعله أنت ، والفاء عاطفة على جملة محذوفة هي مقول « قل » ، أي : قل تبكيتاً وإظهاراً لبطلان قولهم • ومن اسم استفهام انكاري مبتدأ ، وجملة يملك خبر ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو يملك ، وشيئاً مفعول به (إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه) الجملة الشرطية مفسرة لا محل لها ، وإن شرطية ، وأراد فعل الشرط ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول أراد ، والمسيح مفعول به ، وابن مريم بدل أو نعت ، وأمه عطف على المسيح ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فمن يملك من الله شيئاً (ومن في الأرض جميعاً) الواو عاطفة ، ومن اسم موصول معطوف على المسيح وأمه ، وفي الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وجميعاً حال (والله ملك السموات والأرض وما بينهما) الواو حالية ، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ، وما بينهما : الواو عاطفة على ملك وما اسم موصول ، والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول (يخلق ما يشاء) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أنه سبحانه خالق الخلق حسب مشيئته (والله على كل شيء قدير) الكلام مستأنف مسوق لبيان قدرته تعالى على كل شيء ، فكل ما تعلق به مشيئته ينفذ بقدرته ، وإنما يعد بعض خلقه غريباً بالنسبة إلى علم البشر الناقص ، لا بالنسبة إليه تعالى • وقد تقدم اعرابها •

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّؤُهُ قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ
مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ
وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

اللفظة :

(فترة) من فتر الشيء اذا سكن أو زالت حدته ، وقال الراغب :
الفتور : سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة . وذكر
الآية . والمراد بها هنا انقطاع الوحي وظهور الرسل عدة قرون .

الاعراب :

(وقالت اليهود والنصارى) الواو استئنافية ، وقالت اليهود فعل
رفاعل ، والنصارى عطف على اليهود (نحن أبناء الله وأحباؤه) الجملة
مقول قولهم ، ونحن مبتدأ وأبناء الله خبر ، وأحباؤه عطف على أبناء
الله (قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟) الكلام مستأنف مسوق للرد على
هذه الأقوال . وقل فعل أمر ، والفاعل أنت والفاء هي الفصيحة ، أي :

إذا كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب !
ولم اللام حرف جر ، وما اسم استفهام حذف ألفه لدخول حرف الجر
عليه ، والجار والمجرور متعلقان بـيعذبكم ، ويعذبكم فعل
مضارع ومفعوله ، والفاعل هو ، وبذنوبكم جار ومجرور متعلقان
بـيعذبكم أيضاً ، والجملة كلها مقول قولهم ، وجملة لم يعذبكم لا محل
لها لأنها واقعة جواب شرط غير جازم (بل أنتم بشر ممن خلق)
بل حرف إضراب وعطف على محذوف متصيد من مفهوم الكلام
السابق ، أي : فلستم حينئذ بهذه المثابة من القرب إليه سبحانه . وأنتم
مبتدأ وبشر خبر ، وممن جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشر ،
وجملة خلق صلة الموصول « مَنْ » (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)
الجملة مستأنفة ، ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر ، وجملة يشاء صلة ،
وجملة يعذب من يشاء عطف على الجملة الآتية (والله ملك السموات
والأرض وما بينهما واليه المصير) الجملة مستأنفة ، والله متعلقان
بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات مبتدأ مؤخر ، والأرض عطف
على السموات ، وما عطف أيضاً ، والظرف متعلق بمحذوف صلة
الموصول ، واليه المصير الواو عاطفة واليه جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبر مقدم ، والمصير مبتدأ مؤخر ، والجملة معطوفة على
جملة والله ملك السموات والأرض (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا)
يا حرف نداء ، وأهل الكتاب منادى مضاف ، وقد حرف تحقيق ،
وجاءكم رسولنا فعل ومفعول به وفاعل ، والجملة مستأنفة (يبين لكم
على فترة من الرسل) جملة يبين في محل نصب على الحال من « رسولنا » ،
أي : مينا لكم ولكم متعلقان يبين ، وعلى فترة جار ومجرور
متعلقان بجاءكم ، أي : جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع

الوحي ، أو بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين ، أو من ضمير لكم .
 أي : يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل ، أو حال كونكم
 عليها أحوج ما كنتم الى البيان . ومن الرسل جار ومجرور متعلقان
 بمحذوف وقع صفة لفترة ، أي : كائنة من الرسل (أن تقولوا : ما جاءنا
 من بشير ولا نذير) أن تقولوا المصدر المنسبك من أن والفعل بعدها
 مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : كراهة قولكم ، أو منصوب
 بنزع الخافض ، مع تقدير النفي ، أي : لئلا تقولوا ، وجملة ما جاءنا
 في محل نصب مقول القول ، ومن حرف جر زائد ، وبشير فاعل محلاً
 لجاءنا ، ولا نذير عطف على من بشير (فقد جاءكم بشير ونذير) الفاء
 هي الفصيحة ، أي : إذا اعتذرتم بذلك فقد جاءكم بشير ونذير .
 وجاءكم بشير فعل ومفعول به وفاعل ، ونذير عطف على بشير ، والجملة
 لا محل لها من الإعراب لأنها واقعة في جواب شرط غير جازم (والله
 على كل شيء قدير) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وقدير خبره ،
 والجار والمجرور متعلقان بقدير .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
 جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ
 الْعَالَمِينَ ﴾ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ
 لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴿

الاعراب :

(وإذ قال موسى لقومه) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما فعلوه ، وما صدر عن بعضهم بعد أخذ الميثاق • وإذ ظرف لما مضى متعلق باذكر محذوفاً ، والخطاب للنبي ليعدد عليه ما صدر عنهم ، وجملة قال موسى من الفعل والفاعل في محل جر بالإضافة ، ولقومه متعلقان بقال (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) الجملة في محل نصب مقول القول ، ويا حرف نداء ، وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وعليكم متعلقان بنعمة (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) إذ ظرف لما مضى متعلق بالنعمة ، وجملة جعل في محل جر بالإضافة ، وفيكم متعلقان بجعل على أنه مفعول به أول لجعل ، وأنبياء مفعوله الثاني ، وجعلكم ملوكاً عطف على ما تقدم ، وملوكاً مفعول به ثان (وآتاكم ما لم يئوت أحداً من العالمين) الواو عاطفة ، وآتاكم فعل ومفعول به أول ، والفاعل هو ، وما اسم موصول مفعول به ثان ، وجملة لم يئوت أحداً صلة الموصول « ما » ، ومن العالمين متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، والمراد بالعالمين الأمم الخالية الى زمانهم وعالم زمانهم ، من خلق البحر ، وتظليل الغمام ، والمن والسلوى ، وغير ذلك من الامور العظيمة (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) الجملة استئنافية وادخلوا فعل أمر وفاعل ، والارض مفعول به على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بادخلوا ، والمقدسة صفة للأرض (التي كتب الله لكم) التي صفة ثانية للأرض ، وجملة كتب الله صلة ، ولكم جار ومجرور متعلقان بكتب (ولا ترتدوا على أدباركم) الواو عاطفة ، ولا فاهية وترتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وعلى أدباركم متعلقان بمحذوف

حال من فاعل ترتدوا (فتنقلبوا خاسرين) الفاء عاطفة ، وتنقلبوا معطوف على ترتدوا فهو مجزوم مثله ، ويجوز أن تكون الفاء هي السببية لتقدم النهي عليها ، فهو منصوب بأن مضمرة بعدها ، وخاسرين حال .

الفوائد :

المنادى المضاف الى ياء المتكلم أربعة أقسام :

١ - ما فيه لغة واحدة ، وهو المعتل بالياء أو بالألف ، فإن ياءه المضاف اليها واجبة الثبوت والفتح نحو : يا قاضيّ ويا فتايّ .

٢ - ما فيه لغتان : وهو الوصف المشبه للفعل المضارع ، ونعني به اسمي الفاعل والمفعول ومبالغة اسم الفاعل ، فإن ياءه ثابتة دائماً ، وهي إما مفتوحة وإما مكسورة ، نحو : يا مكرمي ويا ضاربي .

٣ - ما فيه ست لغات : وهو ما عدا ذلك ، وليس أباً ولا أمّاً ، نحو : يا غلامي ، فالأكثر فيه حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ، نحو : يا غلام ، ثم ثبوتها ساكنة على الأصل ، نحو يا غلامي ، أو مفتوحة ، نحو : يا غلامي . ثم قلب الكسرة فتحة والياء ألفاً ، نحو : يا حسرتا . ثم حذف الألف المنقلبة والاجتزاء بالفتح ، فتقول : يا حسرة ، ثم حذف الياء والاكتفاء بنيتها وضم الاسم المضاف للياء ، مثل : يا غلام .

٤ - ما فيه عشر لغات : وهو الأب والأم ، ففيهما مع اللغات الست المتقدمة أربع لغات آخر ، وهي أن تعوض تاء التأنيث من ياء

المتكلم وتكسرهما وهو الأكثر ، أو تفتحها أو تضمها وهو قليل ، وربما جمع بين التاء والألف ، فقليل : يا أبتا ويا أمتا •

﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنۢدۡخُلُهَا حَتَّىٰ
يَخۡرُجُوا مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُوا مِنۡهَا فَإِنَّا دَاۡخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ۖ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ
الَّذِينَ يَخَافُونَ أُنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا أَدۡخُلُوا عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَأِنَّكُمۡ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا۟ إِن كُنۡتُمۡ مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ۖ ﴾

اللفة :

(جبارين) : الجبار : العاتي المتمرد ، فعّال ، من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه ، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد • والمراد هنا أنهم ذوو قوّة •

الاعراب :

(قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الجملة مستأنفة ، وقالوا فعل وفاعل ، وجملة النداء وما بعدها مقول قولهم ، وفيها متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، وقوماً اسمها المؤخر ، وجبارين : صفة لـ « قوماً » (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) الواو عاطفة على ما تقدم ، وإن واسمها ، وجملة لن ندخلها خبرها ، وحتى حرف

غاية وجر ، ويخرجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها والجار
 والمجرور متعلقان بندخلها ، ومنها متعلقان بيخرجوا (فإن يخرجوا
 منها فإننا داخلون) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، ويخرجوا فعل الشرط ،
 والفاء رابطة لأن الجملة بعدها اسمية لا تصلح جواباً ، وإن واسمها
 وداخلون خبرها ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (قال رجلان
 من الذين يخافون أنعم الله عليهما) الجملة استئنافية ، وقال رجلان :
 فعل وفاعل ، ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة
 يخافون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة أنعم الله صفة ثانية
 أو معترضة فتكون لا محل لها ، ولابن هشام قول فيها نوره في باب
 الفوائد ، وعليهما متعلقان بأنعم (ادخلوا عليهم الباب) الجملة في محل
 نصب مقول قول الرجلين (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) الفاء استئنافية ،
 وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وهو متعلق بـ « غالبون »
 وجملة دخلتموه في محل جر بالاضافة ، والفاء رابطة لجواب إذا ، وإن
 واسمها ، وغالبون : خبرها (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) الواو
 استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوصيتهم بالاتكال على الله أولاً ،
 والأخذ بأسباب الحيطة والحذر ثانياً ، والفاء في قوله : « فتوكلوا » جواب
 أمر محذوف لا بد من تقديره : تنبها فتوكلوا على الله ، وعلى الله
 متعلقان بتوكلوا ، كما قالت العرب : زيدا فاضرب ، تقديره : تنبه
 فاضرب زيدا ، وكثيراً ما يأتي معمول ما بعد الفاء متقدماً عليها . وإن
 شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء
 اسمها ومؤمنين خبرها ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ،
 أي : فتوكلوا .

الفوائد :

١ - قال ابن هشام في صدر حديثه عن هذه الآية : قوله تعالى :
 « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » فإن جملة : « أنعم
 الله عليهما » تحتل الدعاء فتكون معترضة والإخبار فتكون صفة
 ثانية ، ويضعف من حيث المعنى أن تكون حالاً ، ولا يضعف في
 الصناعة لوصفها . هذا ما قاله ابن هشام ، ولم يبين ابن هشام رحمه
 الله وجه الضعف من حيث المعنى ، فإن جعلها حالاً يقتضي أن قولهم
 في وقت إنعامه فقط ، مع أن قولهم لا يتقيد بذلك . والحاصل أن
 الحالية تقتضي تقييد العامل مع أن المعنى ليس على التقييد .

٢ - عبارة السمين : وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين :
 في هذه الجملة خمسة أوجه ، أظهرها أنها صفة ثانية فسلطها الرفع ،
 وجيء هنا بأفصح الاستعمالين من كونه قدّم الوصف بالجار على
 الوصف بالجملة لقربه من المفرد . الثاني أنها متعرضة ، وهو أيضاً
 ظاهر . الثالث : أنها حال من الضمير في « يخافون » ، قاله مكّي .
 الرابع : أنها حال من « رجلان » ، وجاءت الحال من النكرة لتخصصها
 بالوصف . الخامس : أنها حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور ،
 وهو « من الذين » لوقوعه صفة لموصوف ، وإذا جعلتها حالاً فلا بد
 من إضمار « قد » مع الماضي ، على خلاف في المسألة .

٣ - الرجلان اللذان أنعم الله عليهما هما يوشع بن نون ، وهو
 الذي نبيء بعد موسى . وكالب بن يوقنا ، وكالب بفتح اللام وكسرهما .

﴿ قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ^ط

أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا
أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأُنْحِى فَاَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ
عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

اللفظة :

(أبدأ) : ظرف زمان ، وهو هنا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول .

(يتيهون) : يسيرون في الارض متحيرين لا يهتدون طريقاً .
والتيه : المفازة التي يتاه فيها .

(تأس) : تندم وتحزن والأسى : الحزن . ولامته يحتمل أن تكون من واو لقولهم : رجل أسوات ، أي : كثير الحزن ، ويحتمل أن تكون من ياء ، فقد حكى : رجل أسيان ، وفي مختار الصحاح : « وأسى على مصيبته من باب « صدي » أي : حزن ، وقد أسى له أي حزن له .

الاعراب :

(قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) كلام مستأنف

مسوق للدلالة على تماديهم في العصيان ، وقالوا : فعل وفاعل ، وجلة النداء وما بعدها في محل نصب مقول قولهم ، وإن واسمها ، وجلة لن ندخلها خبر ، وأبدأ ظرف زمان متعلق بـندخلها ، وما داموا ما : مصدرية ظرفية ، وداموا هي دام الناقصة ، والواو اسمها ، وفيها متعلقان بمحذوف خبرها ، وهذا الظرف بدل من « أبدأ » لأنه بمثابة البيان له ، فهو بدل مطابق أو كل من كل ، وقيل : هو بدل بعض من كل ، لأن الأبد يعم الزمن المستقبل كله ، وديمومة الجبارين فيها بعضه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الفاء الفصيحة ، كأنهم قد أضمروا كلاماً ينطوي على الاستهانة والسخرية بالله ورسوله . واذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ، وأنت تأكيد للفاعل المستتر ، وربك عطف على الفاعل المستتر في « اذهب » ، وجاز للتأكيد بالضمير ، كما نصّ على ذلك ابن مالك في الخلاصة :

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل

فقاتلا عطف على « اذهب » ، والألف فاعل قاتل (إنا ها هنا قاعدون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان إصرارهم على أنهم لن يتقدموا ، وإن واسمها ، والهاء للتنبيه وهنا اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية ، والظرف متعلق بـ « قاعدون » ، وقاعدون خبر إن (قال : ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي) الجملة مستأنفة مسوقة للبتّ والشكوى إلى الله ، والحسرة ورقة القلب ، وهي من الوسائل التي تستمطر فيها الرحمة ويستنزل النصر . وقال فعل ماض والفاعل هو ، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة ، وقد تقدم القول مسهباً في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، وإن واسمها ، والجملة مقول القول ،

وجسلة لا أملك خبر إن ، وإلا أداة حصر ، وتقسي مفعول به ، وأخي من طريف الإعراب وهو يحتل الرفع والنصب والجر ، وكلها متساوية .

أوجه الرفع :

فالرفع من ثلاثة أوجه هي :

- ١ - أن يكون عطفاً على الضمير المستتر في « أملك » .
- ٢ - أن يكون عطفاً على محل إن واسمها .
- ٣ - أن يكون مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : وأخي لا يملك إلا نفسه .

وجهها النصب :

والنصب من وجهين :

- ١ - أن يكون معطوفاً على اسم إن .
- ٢ - أن يكون معطوفاً على تقسي .

وجه الجر :

والجر من وجه واحد :

- أن يكون معطوفاً على الياء المجرور بإضافة نفس إليها .
- (فافرق بينا وبين القوم الفاسقين) الفاء استئنافية ، وافرق فعل

دعاء بمعنى : احكم لنا بما نستحقه ، واحكم عليهم بما يستحقونه .
 وبيننا ظرف متعلق بـ « افرق » ، وبين القوم الفاسقين عطف على
 « بيننا » (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)
 الجملة مستأنفة ، وفاعل « قال » مستتر تقديره : الله تعالى ، والفاء
 زائدة في الاعراب لتمكين التأكيد ، وإن واسمها ، ومحرمة خبرها ،
 وعليهم متعلقان بمحرمة ، وأربعين ظرف زمان متعلق يتيهون ، فيكون
 التحريم على هذا غير مؤقت بهذه المدة ، أو متعلقان بمحرمة ، فيكون
 التحريم مقيداً بهذه المدة ، وسنة تمييز ، وجملة فإنها محرمة مقول
 القول ، وجملة يتيهون في الأرض حالية ، أي : حالة كونهم تائبين
 ضارين في متاهات الأرض ومناكب الصحاري تتخطهم الحسرة ،
 وتتعاورهم الحيرة . (فلا تأس على القوم الفاسقين) الفاء الفصيحة ،
 أي : إذا عرفت هذا فلا تحزن ، ولا فاهية ، وتأس فعل مضارع مجزوم
 بلا الناهية ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وعلى القوم متعلقان
 بـ « تأس » ، والفاسقين صفة لقوم .

الفوائد :

قد يتساءل متسائل فيقول : كيف قال موسى : إني لا أملك إلا
 نفسي وأخي ، مع أنه كان معهما الرجلان المذكوران ، وهما يوشع
 وكالب ؟ فالجواب أنه لم يطمئن الى ثباتهما بعد أن رأى الأكثرية
 الساحقة مصرة على التعنت ، ولم تكن النبوة قد هبطت على يوشع بن
 نون ، فلم يذكر معه إلا النبي المعصوم ، وهو أخوه هارون . وهنا
 أقاصيص مطوّلة ، يرجع اليها القارئ في المطولات من التفاسير .

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ

مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ
 مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي
 إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ
 بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
 اللغة :

(قرباناً) : القربان : بضم القاف ، وفيه وجهان :

١ - إله اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل ، من صدقة أو نسك
 أو غير ذلك ، كالحلوان بضم الحاء أيضاً : اسم ما يحلى ، أي : يعطى .
 يقال : قرب صدقة ، وتقرب بها ، لأن « تقرب » مطاوع « قرب » .

٢ - أن يكون مصدراً في الأصل ، ثم أطلق على الشيء المتقرب
 به كقولهم : نسج اليمين ، ويدل على ذلك أنه لم يشن ، والموضع
 موضع تشنية ، لأن كلا من قابيل وهابيل له قربان يخصصه ، والأصل
 أن يقول : قربانين . وقال أصحاب الرأي الأول : لا حجة في هذا ،
 لأن المعنى : إذ قرب كل واحد منهما قرباناً ، كقوله تعالى : « فاجلدوهم
 ثمانين جلدة » ، أي كل واحد منهم ثمانين جلدة .

(تبوء) : ترجع •

الاعراب :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) الجملة معطوفة على الفعل المقدر في قوله : « وإذ قال موسى لقومه » ، يعني : اذكر يا محمد لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم ، وهما : هابيل وقايل ، وقصة القربان وسببه • وقصة قتل قاييل لهابيل طفحت بها المطولات من التفسير • واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، وعليهم متعلقان بـ « اتل » ، ونبأ مفعول به ، وابني مضاف الى « نبأ » وحذفت النون للاضافة ، وآدم مضاف الى « ابني » ، وبالحق متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف ، أي : تلاوة ملتبسة بالحق ، أو حال من الفاعل ، فيكون التقدير : حال كونك ملتبساً بالحق ، أي : بالصدق ، أو من المفعول به ، أي : اتل نبأهما ملتبساً بالحق والصدق (إذ قرأاً قرباً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنبأ ، أي : اتل قصتهما وخبرهما الواقع في ذلك الوقت ، أو هو بدل منه ، أي : واتل عليهم النبأ ، نبأ ذلك الوقت ، على تقدير حذف المضاف وجملة قرباً في محل جر بالاضافة ، وقرباً فعل وفاعل ، وقرباً مفعول به ، فتقبل : الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض مبني للمجهول ، وفائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على « قرباً » ، ومن أحدهما جار ومجرور متعلقان بتقبل ، ولم يتقبل من الآخر عطف على تقبل (قال : لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين) جملة لأقتلنك في محل نصب مقول القول ، واللام موطئة للقسم ، وأقتلنك فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بالنون الثقيلة ، والكاف مفعول به ، وإنما كافة ومكفوفة ، وجملة إنما يتقبل

الله من المتقين مقول القول . (لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا
ببساط يدي إليك لأقتلك) اللام موطئة للقسم ، وإن شرطية ، وبسطت
فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل ، وإلي متعلقان
ببسطت ، ويدك مفعول به ، والجملة مستأنفة مبنية لما أراد قوله ،
ولتقتلني اللام لام التعليل ، وتقتلني فعل مضارع منصوب بأن مضمرة
بعد لام التعليل ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به ، والجار والمجرور
متعلقان ببسطت ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وأنا اسمها ، والياء
حرف جر زائد ، وبسط اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه
خبرها ، ويدي مفعول به لبسط لأنه اسم فاعل ، وإليك متعلقان
ببسط ، ولأقتلك اللام لام التعليل ، وأقتلك فعل مضارع منصوب بأن
مضمرة بعد لام التعليل ، والجملة جواب القسم لتقدمه على الشرط ، وجواب
الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (إني أخاف الله رب العالمين) الجملة
تعليلية ، وإن واسمها ، وجملة أخاف الله خبرها ، ورب العالمين بدل من الله
أو صفة (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار)
الجملة تعليل ثان لامتناعه عن المقاتلة بعد التعليل الأول ، وإن واسمها ،
وجملة أريد خبرها ، والفاعل مستتر تقديره أنا ، وأن تبوء مصدر
مؤوّل في محل نصب مفعول به لأريد ، وإثمي جار ومجرور متعلقان
بمحذوف في محل نصب على الحال من فاعل تبوء ، أي : ترجع حاملاً
له ، أو ملابساً له . فتكون الفاء عاطفة ، وتكون فعل مضارع ناقص
معطوف على تبوء تبعه في النصب واسمها أنت ، ومن أصحاب النار
متعلقان بمحذوف خبر تكون (وذلك جزاء الظالمين) الواو استئنافية
وذلك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ ، وجزاء الظالمين خبر .

البلاغة :

١ - في قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » الكلام الجامع المانع ، فقد جمعت هذه الجملة الكثير من المعاني بكلام مختصر ، فقد اشتملت على فحوى القصة من أولها الى آخرها ، والقصة مطولة يجدها القارئ في المطولات . وخلاصة المعنى أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متقٍ ، وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة ف قيل له : ما يبكيك ؟ فقد كنت وكنت . قال : إني أسمع الله يقول : إنما يتقبل الله من المتقين .

٢ - في قوله : « إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك » فن الاتساع . وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه ، فيتسع التأويل فيه على قدر عقول الناس وتفاوت أفهامهم . وهو في الآية في إرادته إثم أخيه ، لأن معناه : إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب . ولما لم يكن بدّ من إرادة أحد الأمرين : وهما إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه ، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غير مرید للأول فاضطر الى الثاني ، فلم يرد إذن إثم أخيه لعينه ، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ، ولم تكن حينئذ مشروعة ، فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه . وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة . ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الإثم ، ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه وإنما أراد أن يبذل نفسه في سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتل الكافر ضمناً وتبعاً . والذي يدل على ذلك أنه لا فرق في حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالإيمان ، فيحبط عنه إثم القتل الذي كان به الشهيد

شهيداً ، أعني بقي الإثم على قاتله وأحبط عنه ، إذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيد لها ، ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصوداً لاختلف التمني باعتبار بقاءه وإحباطه ، فدلّ على أنه أمر لازم تبع لا مقصود .

أقوال للعلماء :

هذا وقد أفاض علماء التفسير والنحو والبلاغة في هذه الآية ، ويتلخص مما أوردوه أن هناك ثلاثة تأويلات :

أ - إنه على حذف همزة الاستفهام أي : إني أريد أن تبوء ؟ وهو استفهام استنكاري لأن إرادة المعصية معصية .

ب - أن « لا » محذوفة ، تقديره : إني أريد أن لا تبوء بإثمي ، كقوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا » أي : أن لا تضلوا .

ج - إن الإرادة على حالها ، وهي إما إرادة مجازية أو حقيقية ، وجازت إرادة ذلك به لمعان ذكرها المفسرون ، ومن جملتها أنه ظهرت له قرائن تدل على قرب أجله ، وأن أخاه كافر ، وأن إرادة العقوبة بالكافر حسنة .

٣ - جاء الشرط بلفظ الفعل ، وهو قوله : بسطت ، والجواب بلفظ اسم الفاعل ، وهو قوله : « ما أنا بياسط » لإفادة أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا العمل المنكر ، ولذلك أكد بالباء الزائدة المؤكدة للنفي .

المتنبي والاتساع :

وعلى كل حال تبدو هذه الآية والاتساع فيها ما يدق على
الأفهام ، ولكنها دقة لازمة تنطوي على الكثير من المعاني المتصيِّدة
من الكلام . وقد رمق المتنبي سماءها فكثيراً ما كان يجنح الى هذا
الضرب من البلاغة فيدق كلامه . فمن اتساعه قوله :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلا

فظاهر الكلام يوحي بالبداهة الأولى أن « لها » جار ومجرور
متعلقان بوجدت ، ولكن فيه تعدّي فعل الفعل الظاهر الى ضميره
المتصل ، وذلك ممتنع ، فيجب أن يقدر صفة في الأصل لـ « سبلا »
فلما تقدم عليه صار حالاً ، كما أن قوله : « الى أرواحنا » ، كذلك
إذ المعنى : سبلاً مسلوكة الى أرواحنا . ولك في « لها » وجه غريب ،
وهو أن تقدر « لها » جمعاً للهاء ، كحصى وحصاة ، وتكون « المنايا »
مضافة اليها ، ويكون إثبات اللهوات للمنايا استعارة ، شبهت بشيء
يبتلع الناس ، ويكون أقام الله مقام الأفواه لمجاورة اللهوات للنعم ،
فاللهاء بالفتح هي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .
ومن ذلك قوله في الغزل .

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي أربعاً

واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معاً

فليس المعنى كما يظنه الناس من أنه رأى قمرين في وقت واحد
القمر ووجهها ، وإنما التحقيق أنها لما استقبلت قمر السماء ارتسم خياله
في وجهها فآراها في وقت واحد ، كما تقابل الأشكال المرأة ، فتنتبّع

الصورة فيها ، فترى المرأة والأشكال المنطبقة فيها في وقت واحد معاً .
وقد أخطأ التبريزي حين شرح البيت وقد قال : يجوز أنه أراد قمرأ
وقمرأ ، لأنه لا يجتمع قمران حقيقيان في ليلة ، كما لا تجتمع الشمس
والقمر . وقد تشبث أحد الشعراء بأهداب المتنبي فنظم بيتين أشبه
ما يكونان بالشعوذة والألاعيب وهما :

رأت قمر السماء فذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرأ ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وأحسن ما يمكن أن يقال فيها : إن معنى قمرين : قمر حقيقي
وهو قمر السماء ، وقمر مجازي وهو وجه المحبوبة ، فهو يقول : هي
رأت القمر المجازي وهو قمر السماء ، وأنا رايت وجهها وهو القمر
الحقيقي ، لأنها هي نظرت الى قمر السماء وهو نظر الى وجهها ، فصح
أنه رأى بعينها وهي رأت بعينه . وهذه مبالغة وإفراط في الوصف ،
ولكن الشعراء درجوا على أن يجعلوا المحبوب هو القمر الحقيقي ،
والذي في السماء هو القمر المجازي . وقال آخرون في شرحهما :
يشير هذا الشاعر الى أن قمر السماء من عشاق محبوبته ، وأن محبوبته
رأته ذات ليلة فكسته برؤيتها له نور جمالها ومحاسن صفاتها ، وألقت
عليه شبهها ، وأعارته اسمها . فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي
وصلت بالرقمتين وأنها بوصالها له أفنته وغلبت عليه بصفاتها ، حتى
صارت معه كالقمر الواحد ، وكلاهما ينظره . ولهذا قال كلانا ناظر
قمرأ أي : قمر واحد تعدد مظهره ، ولكنها تنظره بعينه ، وهي عين
المحبة ، لأن المحب صار محبوباً وهو ينظر بعينها ، لأنها أعارته عيناً
رآها بها ، فكأن البصر لها نفسها . والكلام في الاتساع طويل فنجتريء
منه هنا بما تقدم .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

﴿ ٣٠ ﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ

قَالَ يَنْوِيلَنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ

سَوَاءَ أَحِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿ ٣١ ﴾

اللفظة :

(طَوَّعَتْ) : وَسَّعَتْ وَزَيَّنَتْ ، من طاع المرعى له : إذا اتسع .

(سوءة) : السَّوْءَةُ : بفتح السين : العورة ، وما لا يجوز أن ينكشف من الجسد . والسوءة : الفضيحة . وخص السوءة بالذكر لأن الاهتمام بسترها أكد .

الاعراب :

(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)
الفاء عاطفة ، وطوعت فعل ماض ، وله متعلقان بطوعت ، ونفسه فاعل ، وقتل أخيه مفعول به ، فقتله عطف أيضاً ، فأصبح عطف أيضاً ، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، ومن الخاسرين : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض) الفاء عاطفة ، وبعث فعل ماض والله فاعل وغراباً مفعول به ، وجملة يبحث في الأرض في محل نصب صفة

لـ « غراباً » ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيبعث (ليريه كيف يواري سوءة أخيه) اللام للتعليل ويريه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والهاء مفعول به ، وكيف : اسم استفهام في محل نصب على الحال ، وللجار والمجرور متعلقان بيبعث ، فالضمير المستتر في الفعل يعود لله ، ويجوز أن يتعلقا بيبعث ، أي : ينبش ويشير التراب للإراءة ، فالضمير المستتر يعود للغراب . وجملة الاستفهام علة للرؤية البصرية ، فهي في محل نصب مفعول به ثان سادّة مسده ، لأن رأي البصرية قبل تعديتها بالهمزة متعدية لواحد ، فاكسبت بالهمزة مفعولاً آخر هو المفعول الأول ، وقد تقدم ظيورها في قوله تعالى : « رب أرني كيف تحيي الموتى » (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) الجملة مستأنفة ، كأنها قيلت لتكون جواباً على سؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا قال عندما شاهد الغراب يفعل ذلك ؟ ويا حرف نداء ، وويلتا كلمة جزع وتحسر ، وقد ناداها كأن الويل غير حاضر عنده ، فناداه ليحضر ، أي : أيها الويل احضر ، فهذا أوان حضورك . ويجوز أن تجعل المنادى محذوفاً وتنصب الويل على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف أماته العرب ، والألف بدل من ياء المتكلم ، والجملة مقول القول ، والهمزة للاستفهام والتعجب كأنه يتعجب من نفسه : كيف لم يهتد إلى ما اهتدى إليه الغراب ؟ وعجزت فعل وفاعل ، والجملة مندرجة في مقول القول ، وأن حرف مصدري ونصب ، وأكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن ، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بعجزت ، أي : أعجزت ، واسم أكون ضمير مستتر تقديره أنا ، ومثل خبر أكون ، وهذا اسم إشارة مضاف إليه ، والغراب بدل من اسم الإشارة (فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) الفاء عاطفة ، وأواري فعل مضارع معطوف على أن أكون ،

وهذا أولى من جعلها سببية ، لأنها مسبقة بالاستفهام ، وأواري فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، لأن الفاء الواقعة جواباً للاستفهام تنعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء ، وهنا لا تنعقد ، تقول : أتزورني فأكرمك ، والمعنى : إن تزورني أكرمك ، ولو قلت هنا : إن أعجز عن أن أكون مثل هذا الغراب أوار سوء أخى ، لم يصح ، لأن المواراة لا تترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب ، ولهذا اعتبرنا العطف أولى . وسوءة أخى مفعول به ، فأصبح الفاء عاطفة ، وأصبح فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، ومن النادمين خبرها .

البلاغة :

المجاز في قوله : « يا ويلتا » ، لأنه نادى مالا يعقل . وأصل النداء أن يكون لمن يعقل .

الفوائد :

هذه القصة التي أوردها القرآن تصلح نواة لقصة عظيمة ، وهي بحاجة الى القلم المبدع ، ليعد منها قصة فنية رائعة . روي أن آدم مكث بعد مقتل هايل مائة سنة لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب منحول ، فقد صح أن الأنبياء لا يقولون الشعر . وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس أنه قال : من قال إن آدم قال شعراً فهو كذب ، ولكنه كان ينوح عليه ، ويصف حزنه ثراً من الكلام ، شبه المراثية ، فتناسخته القرون ، فلما وصل الى يعرب بن قحطان وهو أول من خط بالعربية نظمه شعراً فقال :

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغير قبيح

وقد ذكروا بعد هذا البيت ستة أبيات ، ولم يكتفوا بذلك بل
لفقوا حديثاً فحواه أن إبليس أجابه في الوزن والقافية بخمسة أبيات ،
قال الزمخشري : « وكل ذلك كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول
ملحون » . يشير الزمخشري الى البيت الثاني وهو :

تغيّر كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

ورواه على الإقواء ، أي : بجر المليح . ويرويه بعضهم « بشاشة »
بالنصب من غير تنوين ، ورفع « الوجه المليح » فليس بلحن . وقد
خرجوه على حذف التنوين من « بشاشة » ، ونصبه على التمييز . وقد
أشار شاعرنا الفيلسوف أبو العلاء المعري الى هذه القصة في رسالة
الغفران ، فارجع اليها إن شئت ، والله يعصمك . وإنما خص بني
إسرائيل بهذه القصة كما سيأتي ، لأن القتل ديدنهم ، حتى
تناول الانبياء .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا
بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ
أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٣٢)

اللفة :

(أجل) : الأجل بسكون الجيم مصدر • يقال : أَجَلَ عليهم
شراً أي جناه وهيجه ، ثم استعمل في الجنايات ، كما في قولهم : « من
جراك فعلته » أي : من أن جررته ، أي : جنيته ، ثم اتسع فيه ،
فاستعمل في كل تعليل •

الاعراب :

(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) الجملة مستأنفة ، والجار
والمجرور متعلقان بكتبنا ، وعلى بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان
بكتبنا أيضاً ، أي : شرعنا القصاص على القاتل لتكون شرعية
القصاص حكماً ثابتاً في جميع الأمم • وإنما خص بني إسرائيل كما
ذكرنا آنفاً لأن بني إسرائيل كان دأبهم وديدنهم القتل ، حتى أقدموا
على قتل الأنبياء والرسل • لأن الغرض هو تسلية النبي صلى الله عليه
وسلم والتسرية عنه لمحاولتهم الفتك به وبأصحابه • (أنه من قتل
نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض) أن وما في حيزها في تأويل مصدر
مفعول به لكتبنا ، والهاء اسم أن ، وهي ضمير الشأن ، ومن اسم
شرط جازم مبتدأ ، قتل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ونفساً
مفعول به ، وبغير نفس جار ومجرور متعلقان بقتل ، أو محذوف حال
من ضمير الفاعل في « قتل » ، أي : قتلها ظالماً ، وأو حرف عطف ،
وفساد معطوف على نفس المجرورة بإضافة غير إليها ، وفي الأرض
متعلقان بمحذوف صفة لفساد (فكأنما قتل الناس جميعاً) التاء رابطة
لجواب الشرط ، وكأنما كافة ومكفوفة وقتل الناس فعل ماض وفاعل

مستتر ومفعول به ، وجميعاً حال ، والجملة المقترنة بالناء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، والجملة الشرطية في محل رفع خبر « أنه » (ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً) تقدم اعراب ظيره (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) الواو عاطفة ، واللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجملة قد جاءتهم : لا محل لها لأنها جواب القسم ، ورسلنا فاعل ، وبالبينات متعلقان بجاءتهم (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وإن واسمها ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » والظرف متعلق بمحذوف حال ، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بـ « مسرفون » واللام المرحقة ، ومسرفون خبر « إن » .

البلاغة :

التشبيه التمثيلي : ومناط التشبيه اشتراك فعلي القتل في هتك حرمة الدماء والتجرؤ على الله وتشجيع الناس على القتل . ووجه التشبيه هو تهويل أمر القتل ، وتفخيم شأن الأحياء ، بتصوير كل منهما بصورة لائقة به .

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾

الاعراب :

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم الله في كل قاطع طريق ، كافراً كان أو مسلماً ، لأن محاربة المسلمين في حكم محاربة الله ورسوله ، وقد نزلت في الأصل في العرنيين . وإنما كافة ومكفوفة ، وجزاء مبتدأ والذين مضاف إليه ، وجملة يحاربون صلة الموصول ، والله مفعوله ، ورسوله عطف على الله (ويسعون في الأرض فساداً) ويسعون عطف على يحاربون ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان ويسعون ، وفساداً يصح أن يكون مفعولاً من أجله ، أي يحاربون ويسعون لأجل الفساد ، وشروط النصب متوفرة . ويصح أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال ، أي : ويسعون في الأرض مفسدين ، أو ذوي فساد ، وجعلوا نفس الفساد مبالغة . ويصح أن يكون منصوباً على المصدر ، أي أنه نوع من العامل قبله ، لأن يسعون في الأرض معناه في الحقيقة يفسدون ، ففساداً اسم مصدر قائم مقام الإفساد ، والتقدير يفسدون في الأرض بسعيهم إفساداً (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) المصدر المؤول من أن وما في حيزها خبر جزاء ، وأو حرف عطف ، ويصلبوا عطف على يقتلوا ، أو حرف عطف ، وتقطع عطف على يقتلوا أيضاً . وأيديهم نائب فاعل لتقطع ، وأرجلهم عطف

على أيديهم ، ومن خلاف متعلقان بمحذوف - مال من أيديهم وأرجلهم ،
 أي : تقطع مختلفة ، بمعنى أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى •
 وينفوا عطف أيضاً ، ومن الأرض متعلقان بينفوا (ذلك لهم خزي "
 في الدنيا) الجملة مستأنفة ، مبينة للغاية من هذه العقوبات • واسم
 الإشارة في محل رفع مبتدأ ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر
 مقدم ، وخزي مبتدأ مؤخر ، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف صفة لخزي ،
 والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة ، ويجوز أن يعرب « خزي » خبراً
 لـ « ذلك » ، ولهم متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال من
 خزي ، لأنه كان في الأصل صفة له ، فلما تقدم عليه صار حالاً (ولهم
 في الآخرة عذاب عظيم) الواو عاطفة ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر
 مقدم ، وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال ، وعذاب مبتدأ مؤخر ،
 وعظيم صفة (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) جملة الاستثناء
 نصب على الحال من المعاقبين ، وإلا حرف استثناء ، والذين مستثنى ،
 وجملة تابوا صلة الموصول ، ومن قبل متعلقان بتابوا ، وجرت « قبل »
 بالكسرة للاضافة وأن تقدروا مصدر مؤول في محل جر بالاضافة ،
 وعليهم جار ومجرور متعلقان بتقدروا (فاعلموا أن الله غفور رحيم)
 الفاء استئنافية ، واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو
 فاعل ، وأن واسمها وخبرها سدت مسدّ مفعولي « اعلموا » •

الفوائد :

أو: حرف عطف، ولها معانٍ أنها صاحب المعنى إلى اثني عشر معنى،
 نكتفي منها بالمعاني الرئيسية التالية :

١ - الشك : لتشكيك السامع بأمر قصده ، فأبهم عليه ، وهو عالم به . ومنه قوله تعالى : « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون » .

٢ - التخيير : نحو خذ ثوباً أو عشرة دراهم ، قال الله تعالى : « فكفارتهم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » فأوجب أحد هذه الثلاثة ، وزمام الخيرة بيد المكلف ، فأياها فعل فقد كفر وخرج عن العهدة ولا يلزمه الجمع بينها .

٣ - الإباحة : جالس فلاناً أو فلاناً ، وقوله تعالى : « ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً » .

٤ - التقسيم والتنويع كما في الآية ، أي : تقسيم عقوبتهم تقسيماً موزعاً على حالاتهم وجنایاتهم . قال الشافعي : « أو » في جميع القرآن للتخيير ، إلا في هذه الآية .

٢ - اختلف أهل التأويل في معنى النفي الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع فقال بعضهم : معنى النفي أي تهي من بلد الى آخر ، وجبسه في السجن في البلد الذي تهي اليه . وأصل معنى النفي في كلام العرب الطرد ، قال أوس بن حجر :

تنفون عن طرق الكرام كما تنفي المطارق ما يلي القرد

والقرد بفتح الحاء : ما تمتط من الوبر والصوف وتلبّد وانعقدت أطرافه ، وهو تفاية الصوف . ومنه قيل للدراهم الرديئة وغيرها : النفاية .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ
لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا
مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

اللفظة :

(الوسيلة) : كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة
أو غير ذلك ، فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات
وترك المعاصي . قال ليبد بن ربيعة :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
ألا كل ذي لب إلى الله واسل

وفي المصباح وصلت الى الله أسل من باب وعد : رغبت
وتقربت ، ومنه اشتقاق الوسيلة وهي ما يتقرب به الى الشيء ، والجمع
الوسائل ، والوسيل ، قيل : جمع وسيلة ، وقيل : لغة فيها . ومنه قول
عنتره لامرأة لامته في فرس كان يؤثره على سائر خيله ، ويسقيه
ألبان إبله :

لا تذكرى مهري وما ألمعته فيكون جلدك مثل جلد الأجر
 إن الغبوق له وأنت مسوءة إن كنت سألتي غبوقاً فاذهي
 إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي
 ويكون مركبك العقود وحده وابن النعامة يوم ذلك مركبي

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعراب ظائره كثيراً (اتقوا الله
 وابتغوا إليه الوسيلة) كلام مستأنف مسوق لبيان التقوى وابتغاء
 الوسيلة إلى الله بعد ما بين عظم القتل والفساد في الأرض ، وأشار إلى
 الذين غفر لهم بعد توبتهم . واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ،
 وابتغوا عطف على اتقوا ، واليه متعلقان بابتغوا أو بالوسيلة ، لأنها
 فعيلة بمعنى مفعول ، أي : المتوسل به ، وليست بمصدر حتى يستنع
 أن يتقدم معمولها عليها ، والوسيلة مفعول به (وجاهدوا في سبيله
 لعلكم تفلحون) عطف على ما تقدم ، ولعل واسمها ، وجملة تفلحون
 خبرها ، وجملة الرجاء حالية . (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في
 الأرض جميعاً) كلام مستأنف مسوق لتأكيد وجوب الامتثال للأوامر
 السابقة ، وترغيب المؤمنين في المسارعة إلى اتخاذ الوسيلة إليه . وإن
 واسمها ، ولو شرطية ، وأن حرف مشبه بالفعل ، ولهم جار ومجرور
 متعلقان بمحذوف خبر « أن المقدم » ، وما اسم موصول اسمها المؤخر ،
 وأن وما في حيزها مصدر مرفوع على الفاعلية بفعل محذوف تقديره :
 نبت ، أو في محل رفع مبتدأ ، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً . وفي
 الأرض متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ، والشرط

وجوابه خبر « إن » ، وجمياً حال (ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) لك أن تجعل الواو عاطفة ، ومثله عطف على اسم أن وهو « ما » الموصولية . ولك أن تجعل الواو للمعية ، ومثله مفعول معه ، وثاقبه الفعل الذي حذف قبل الفاعل ، أو بفعل مماثل إن أعربت أن وما بعدها جملة ابتدائية . ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ، واللام لام التعليل ، ويفتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو « لهم » ، وبه متعلقان يفتدوا ، ومن عذاب يوم القيامة متعلقان يفتدوا أيضاً ، لاختلاف معناهما ، ووحد الضمير مع أن الراجع إليه شيان ، لأن الضمير بمعنى اسم الإشارة ، أي بذلك ، أو بمعنى « مع » فيتوحد المرجوع إليه ، أو هو من باب قول عمير بن ضابئ البرجمي :

فسن يك أمني بالمدينة رحله فإني وقيتار بها الغريب

وسياتي شرح هذا البيت في باب الفوائد . (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ما تقبل منهم الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجاء الجواب على الأكثر بغير لام لأنه منفي ، والواو استئنافية أو عاطفة ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعذاب مبتدأ مؤخر ، وأليم صفة (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) الجملة ابتدائية ، ويريدون فعل مضارع وفاعل ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به ليريدون ، ومن النار متعلقان يخرجون ، والواو حالية ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وهم ضمير منفصل في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وخارجين مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً لأنه خبر « ما » الحجازية ، والجملة في محل نصب على الحال (ولهم عذاب مقيم) الواو استئنافية أو

عاطفة ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعذاب مبتدأ مؤخر ،
ومقيم : صفة •

البلاغة :

في قوله : ليفتدوا به استعارة تمثيلية ، للزوم العذاب بهم
وديمومته عليهم ، وأنه لا سبيل لهم الى النجاة منه • وفي الحديث
الشريف : « يقال للكافر يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ملء الأرض
ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم • فيقال له : قد سئلت أيسر
من ذلك » •

الفوائد :

قول عمير بن ضابىء البرجمي في البيت : « وقيار » : قيار اسم
فرسه ، وقيل جملة ، وقيل غلامه • وهو مبتدأ أو معطوف على محل
إن واسمها ، وإذا أعرب مبتدأ فيكون خبره محذوفاً اختصاراً لدلالة
المذكور عليه بالعطف وفيه العطف قبل تمام المعطوف عليه ، وهو سماعي ،
ولا يجوز القياس عليه ، ولا يجوز جعل « غريب » خبراً عنهما لئلا يتوارد
عاملان على معمول واحد ، ولا يجوز جملة خبراً عن « قيار » لأن لام الابتداء
لا تدخل على الخبر • وقد جئنا به شاهداً على أنه حذف من الثاني
لدلالة ما في الأول عليه •

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ

اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾
اللفظة :

(نكالا) : قال في المصباح : نكل به ينكل من باب قتل فكلة
فيحة : أصابه بنازلة • ونكل به بالتشديد : مبالغة ، والاسم : النكال •

الاعراب :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) كلام مستأنف مسوق
للشروع في بيان حكم السرقة • والسارق مبتدأ خبره محذوف تقديره :
فيما يتلى عليكم ، أو فيما فرض عليكم السارق والسارقة • أي :
حكمهما • فحذف المضاف الذي هو « حكم » ، وأقيم المضاف إليه
نقاه ، وهو السارق والسارقة ، وحذف الخبر وهو الجار والمجرور ،
لأن الفاء بعده تمنع من نصبه على الاشتغال ، كما هي القاعدة ، إذ
يترجح النصب قبل الطلب ، وهي أي : الفاء التي جاءت لشبهه بالشرط
تمنع أن يكون ما بعدها الخبر ، لأنها لا تدخل عليه أبداً ، فلم يبق
إلا الرفع • وهذا باب أفرده سيويه في كتابه ، ويرى القاري خلاصته
في باب الفوائد • وهي قراءة الجمهور • وارتأى الأخفش والمبرد
وجماعة أن الخبر هو الجملة الأمرية ، وهي قوله : « فاقطعوا » ، وإنما
دخلت الفاء في الخبر لأنه يشبه الشرط ، إذ الألف واللام فيه موصولة
بمعنى : الذي والتي ، والصفة صلتها ، فهي في قوة قولك : « والذي
يسرق والتي تسرق فاقطعوا » ، وأجاز الزمخشري ذلك ، وإن رجح

ما ارتآه سيويه • والسارقة عطف على السارق ، والفاء واقعة في جواب « ال » الموصولية ، واقطعوا فعل أمر والواو فاعل ، وأيديهما مفعول به (جزاء بما كسبا نكالا من الله) جزاء مفعول لأجله ، أي : لأجل الجزاء ، وشروط النصب متوفرة • ويجوز أن ينصب على المصدر بفعل مقدّر ، أي : جازوهما جزاء • ويجوز أن يعرب حالا من الفاعل ، أي : مجازين لهما بالقطع • وبما الباء حرف جر معناها السببية ، أي : بسبب كسبهما ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بجزاء • ويجوز أن تكون ما موصولة ، أي : بسبب الذي كسباه من السرقة التي تباشر بالأيدي ، والجملة صلة الموصول • ونكالا منصوب كما نصب جزاء ، أو هو بدل منه ، ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لـ « نكالا » (والله عزيز حكيم) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وعزيز خبر أوّل ، وحكيم ثان • وسترده قصة طريفة لأحد الأعراب يراها القاريء في باب الفوائد (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط حازم مبتدأ ، وتاب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وإن واسمها ، وجملة يتوب خبرها ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (إن الله غفور رحيم) الجملة استئنافية ، وإن واسمها وخبرها •

الفوائد :

١ - نورد فيما يلي خلاصة الفصل الممتع الذي أورده سيويه في كتابه لطرافته وفائدته وتوثب الذهن فيه • قال في باب ترجمته : « باب الأمر والنهي » ، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب ، وملخصها : أنه متى بني الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار

النصب . ثم قال كالموضح لامتيار هذه الآية عما اختار فيها النصب :
وأما قوله عز وجل : « والسارق والسارقة فاقطعوا » الآية ، وقوله :
« الزانية والزاني فاجلدوا » الآية ، فإن هذا لم يبن على الفعل ، ولكنه
جاء على مثال قوله تعالى : « مثل الجنة التي وعد المتقون » .
ثم قال بعد : « فيها أنهار » . كذا يريد سيويه تمييز هذه الآية عن
المواضع التي بئين فيها اختيار النصب . ووجه التمييز بأن الكلام
حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنياً على الفعل ، وأما في هذه
الآية فليس بمبني عليه ، فلا يلزم فيه اختيار النصب . ثم قال : وإنما
وضع المثل للحديث الذي بعده ، فذكر أخباراً وقصصاً ، فكأنه قال :
ومن القصص مثل الجنة ، فهو محمول هذا على الإضمار ، والله أعلم .
وكذلك « الزانية والزاني » كما قال جل ثناؤه : « سورة » أنزلناها
وفرضناها ، قال : في جملة الفرائض الزانية والزاني ، ثم جاء :
« فاجلدوا » بعد أن مضى فيهما الرفع . يريد سيويه : لم يكن الاسم
مبنياً على الفعل المذكور بعد ، بل بني على محذوف متقدم وجاء الفعل
طارئاً . وعاد كلامه فقال : كما جاء : وقائلة « خولان فأنكح
فتاتهم » فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر ، وكذلك قوله :
« والسارق والسارقة » : وفيما فرض عليكم السارق والسارقة ،
فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث . وقد قرأ ناس :
والسارق والسارقة بالنصب ، وهو في العربية على ما ذكرت لك من
القوة ، ولكن أبت العامة إلا الرفع . يريد سيويه أن قراءة النصب
جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل غير معتمد على ما تقدم ، فكان النصب
قوياً بالنسبة إلى الرفع ، حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم ،
فإنه قد بين أن ذلك يخرج من الباب الذي يختار فيه النصب ،
فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه ؟ والباب مع القراءتين مختلف ، وإنما

يقع الترجيح بعد التساوي في الباب • فالنصب أرجح من الرفع حيث ينبغي الاسم على الفعل ، والرفع متعين لا تقول : حيث بني الاسم على كلام متقدم ثم حقق سيبويه هذا المقدّر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ، ولو كان كما ظنه الزمخشريّ لم يحتج سيبويه الى تقدير ، بل كان يرفعه على الابتداء ، ويجعل الأمر خبره ، كما أعربه الزمخشري • وإنما لخصنا هذا الفصل مع التعليق عليه ، لأن بعض المفسرين ظن أن سيبويه يرجح قراءة نصب من دون هذا التقييد • والملخص من هذا كله : أن النصب على وجه واحد ، وهو بناء الاسم على فعل الأمر والرفع على وجهين ، أحدهما : ضعيف ، وهو الابتداء ، وبناء الكلام على الفعل • والآخر قوي كوجه النصب ، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق • وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع وأحدهما قوي والآخر ضعيف ، تعين حمل القراءة على القوي ، كما أعربه سيبويه •

الفخر الرازي يرد :

هذا وقد انبرى الفخر الرازي للرد على سيبويه فقال : « والذي ذهب اليه سيبويه ليس بشيء ، فيدل على فساد وجهه » وأورد بعد كلام طويل خمسة وجوه ، يضيق عن استيعابها صدر هذا الكتاب •

أبو حيان يرد على الرازي :

وقد تصدى أبو حيان للرد على الرازي ، ففند بتطويل زائد في تفسيره « البحر المحيط » الوجوه الخمسة التي أوردها ، وقال في نهاية المناقشة : « والعجب من هذا الرجل وتجاسره على العلوم حتى صنف

كتاباً في النحو سماه « المحرر » ، وسلك فيه طريقة غريبة بعيدة عن مصطلح أهل النحو وعن مقاصدهم » . فليرجع القارئ الى هذه المناقشة ، فإنها لطيفة جداً .

رأي لابن جرير الطبري :

ورأينا لابن جرير الطبري تعليلاً طريفاً في اختيار الرفع ندرجه فيما يلي : يقول جلّ ثناؤه ما معناه : ومن سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا أيها الناس يده . ولذلك رفع السارق والسارقة لأنهما غير معينين ، ولو أريد بذلك سارق وسارقة بأعيانهما لكان وجه الكلام النصب .

٢ - جمع الأيدي من حيث كان لكل سارق يمين واحدة ، وهي المعرضة للقطع في السرقة ، وللسارق أيدي ، وللسارقات أيدي ، كأنه قال : اقطعوا أيما النوعين . فالتثنية للضمير إنما هي للنوعين .

٣ - روي أن أعرابياً سمع الأصمعي يتلو هذه الآية ، فقرأ في آخرها : « والله غفور رحيم » فأنكر الأعرابي أن يكون هذا قرآناً . قال الأصمعي : فرجعت الى المصحف فاذا هو : « والله عزيز حكيم » فلما قلت ذلك للأعرابي قال : نعم ، عز فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع . وهذه وثبة من وثبات الذهن العالية .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ * يَأْتِيهَا الرُّسُولُ

لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ
تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ
لَمْ يَأْتُوكَ^ط يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ^ط يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا
فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا^ج وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ^ج فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ^ج مِنْ اللَّهِ شَيْئًا^ج أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ^ج يَطْهَرِ قُلُوبَهُمْ^ج لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) كلام مستأنف
مسوق لخطاب الرسول ، والمقصود به كل أحد ، وأنه هو المتصرف
الوحيد في شئون التعذيب والغفران لمن يشاء . والهمزة للاستفهام
التقريري لما بعد النفي ، ولم حرف قفي وقلب وجزم ، وتعلم فعل
مضارع مجزوم بلم ، وأن وما في حيزها سدت مسدّ معولي تعلم ،
وأن واسمها ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك
السموات مبتدأ مؤخر ، والأرض معطوف على المضاف اليه السموات ،
والجملة الاسمية خبر أن (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على
كل شيء قدير) الجملة الفعلية خبر ثان لأن أو حالية ، وإنما قدم
التعذيب لأن السياق للوعيد ، فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من

الزواج . ومن اسم موصول مفعول يعذب ، وجملة يشاء صلة ،
ويغفر عطف على يعذب ، ولن يشاء متعلقان بيغفر ، والواو استئنافية ،
والله مبتدأ ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير ، وقدير خبر الله (يا أيها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) كلام مستأنف مسوق
لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحذيراً له من التأثير بما عمله
الكافرون ليحزنوه . ويا أيها الرسول تقدم إعرابها كثيراً ، ولا ناهية ،
ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا ، والكاف مفعول به ، والذين اسم
موصول في محل رفع فاعل ، وجملة يسارعون لا محل لها لأنها صلة
الموصول ، وفي الكفر جار ومجرور متعلقان بيسارعون (من الذين
قالوا : آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) الجار والمجرور متعلقان
بمحذوف حال ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة ، وجملة آمنا مقول
القول ، وبأفواههم متعلقان بقالوا ، أي : إن قولهم لا يتجاوز أفواههم ،
والواو حالية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتؤمن فعل مضارع
مجزوم بلم ، وقلوبهم فاعل ، والجملة في محل نصب حال (ومن الذين
هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين) الواو عاطفة ، ومن
الذين هادوا عطف على من الذين قالوا ، فيكون حالاً مبيّنة لشيء واحد ،
وقيل : الواو استئنافية ، ومن الذين خبر مقدم ، وسمّاعون مبتدأ
مؤخر ، فيكون البيان بشيئين ، وعلى الوجه الأول تكون «سمّاعون»
خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هم سمّاعون ، وللکذب متعلقان بسمّاعون ،
و « سمّاعون » الثانية بدل من « سمّاعون » الأولى أو تأكيد لها ،
ولقوم متعلقان ب « سمّاعون » ، وآخرين صفة (لم يأتوك) الجملة
صفة ثانية لقوم ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويأتوك فعل مضارع
مجزوم وفاعل ومفعول به (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) الجملة
صفة ثالثة ، ولا بد من حذف مضاف ، أي : حكم الكلم ، ومن بعد

مواضعه متعلقان بمحذوف حال ، أي : حال كونها من بعد وضع الله
الكلم مواضعه ، وقد يحتمل أن يكون معناه : يحرفون الكلم عن
مواضعه ، فتكون « بعد » وضعت موضع « عن » ، كما يقال : جئتكَ
عن فراغي من الشغل ، يريد : بعد فراغي من الشغل ، والمراد بهم
اليهود (يقولون : إن أوتيتهم هذا فخذوه) الجملة صفة رابعة ،
ويقولون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو
فاعل ، وإن شرطية ، وأوتيتهم فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم
فعل الشرط ، وهذا مفعول به ثان ، والأول التاء التي هي نائب فاعل ،
والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة خذوه في محل جزم جواب الشرط ،
ولم يصلح أن يكون جواباً لأنه طلب والجملة الشرطية في محل نصب
مقول القول . (وإن لم تؤتوه فاحذروا) الواو حرف عطف ، وإن
شرطية ، ولم حرف نهي وقلب وجزم ، وتؤتوه فعل مضارع مجزوم
بلم ، وهو في الوقت نفسه فعل الشرط ، والواو نائب فاعل ، والهاء
مفعول به ثان ، فاحذروا الفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة احذروا
في محل جزم جواب الشرط (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله
شيئاً) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ،
ويرد فعل الشرط ، والله فاعل ، وفتنة مفعول به ، والفاء رابطة لجواب
الشرط ، ولن حرف نهي ونصب واستقبال ، وتملك فعل مضارع
منصوب بـ لن ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وله متعلقان
بـ تملك ، ومن الله متعلقان بمحذوف حال من « شيئاً » لأنه في الأصل
صفة ، وتقدم عليه ، وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق ، وفعل الشرط
وجوابه خبر « من » (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)
الجملة مستأنفة مسوقة للإيذان ببعد منزلة المنافقين في الفساد ،
ويبالغهم في الضلالة . واسم الإشارة مبتدأ ، والذين خبر ، وجملة لم

يرد الله صلة الموصول ، وأن وما في حيزها في موضع نصب على أنه مفعول يرد ، وقلوبهم مفعول به ليظهر (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) لهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال ، وخزي مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر ثان لاسم الإشارة ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم عطف على ما تقدم .

﴿ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ ۚ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۚ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۚ وَإِنْ حَكَمْتَ
فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤٢)

اللفظة :

(السحت) بضم الحاء وسكونها : الحرام ، وما خبث وقبح من المكاسب ، فلزم عنه العار ، كالرشوة ، والجمع أسحات . وكان اليهود يأخذون الرشا على الأحكام . وترى في باب الفوائد نبذة عنه . ومن عجيب أمر السين والحاء إذا كاتتا فاء للكسبة وعينا لها أنها تدل على السحب والتأثير البعيد ، فسحب ذيله فانسحب هي أمّ هذا الباب . ومن مجاز الكلام سحبت الريح أذيالها . وانسحبت فيها ذلاله الرّيح ، واسحب ذيلك على ما كان مني . ويقولون : ما استبقى الرجل ودّ صاحبه بشئ سحبت الذيل على معانيه . ومادة السحت تقدمت ، ويقال : سحت الشحم من اللحم قشره ، وفلان مسحوت المعدة شره ،

عامي فصيح ، وسحجت الرياح الأرض أزال ما على أديمها ، وسح الماء صبّه ، وسح المطر والدمع اثثالا ، ولا يخفى ما في ذلك من معنى السحب والانزلاق ، وسحره معروف ، وإنه لمسحر : سحر مرة بعد أخرى حتى تخبّل عقله . ولقيته سحرأ وسحرّة . وجاء فلان بالسحر من القول : أي خلب العقول ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » . وعلى هذا النحو تطرد هذه المادة ، ولا تختل عن هذا المعنى ، وهذا من الأعاجيب .

الاهراب :

(سماعون للكذب أكالون للسحت) سماعون خبر مبتدأ محذوف أي : هم سماعون ، والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما قبله ، أو التمهيد لما بعده . وللكذب متعلقان بـ « سماعون » ، ومثلها : أكالون للسحت (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) الفاء استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لسرد بعض ما يترتب على هذه الأحكام . وإن شرطية ، وجاءوك فعل ماض وفاعل ومفعول به ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة طلبية ، واحكم فعل أمر ، وبينهم ظرف متعلق بـ « احكم » وأو حرف عطف للتخيير ، وأعرض معطوف على « احكم » ، وعندهم متعلقان بـ « أعرض » ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وتعرض فعل الشرط مبني للمجهول ، وعندهم متعلقان بتعرض ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، ويضروك فعل مضارع منصوب بـ « ولن » ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، وشيئاً مفعول مطلق والجملة في محل جزم جواب الشرط ، (وإن حكمت

قاحكم بينهم بالقسط) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وحكمت فعل ماض
 وفاعل ، في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، واحكم
 فعل أمر ، وبينهم ظرف متعلق به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ،
 وبالقسط متعلقان بحذوف حال ، أي : عادلاً (إن الله يحب المقسطين)
 إن واسمها ، وجملة يحب المقسطين خبرها ، والجملة مستأنفة للتعليل .

الفوائد :

روى الحسن قال : كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم
 برشوة جعلها في كفه ، فأراها إياه ، فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه ،
 فيأكل الرشوة ، ويسمع الكذب . وحكي أن عاملاً قدم من عمله ،
 فجاءه قومه ، فقدم اليهم العراضة ، وجعل يحدثهم بما جرى له . فقال
 أعرابي من القوم : نحن كما قال تعالى : « سمّاعون للكذب أكّالون
 للسحت » . وفي الحديث : « كل لحم أنبت السحت فالنار أولى به » .

﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا

هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ

وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ

النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾
 اللفظة :

(الربانيون) نسبة الى الرب ، على خلاف القياس . ويقال أيضاً :
 رَبِّيَّ بكسر الراء ، و ر ب ثويي بفتح الراء ، وسنورد أشهر الأسماء
 التي أتت منسوبة على خلاف القياس في باب الفوائد . والرباني : هو
 المتأله المتعبد .

(الأخبار) : الفقهاء ، واحده خبر ، بالفتح والكسر . قال الفرّاء :
 الكسر أفصح . وهو مأخوذ من التحير والتحسين ، فإنهم يجبرونه
 ويزينونه . والخبر الأعظم عند المسيحيين : خلف السيد المسيح على
 الأرض ، وعند اليهود رئيس الكهنة .

الاعراب :

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) كلام مستأنف مسوق
 للتعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به ويكتابه ، مع أنه الحق ، كما
 نص على ذلك كتابهم الذي يدعون الإيمان به . وكيف استفهام تعجّبي
 في محل نصب على الحال ، ويحكمونك فعل مضارع مرفوع والواو
 فاعل والكاف مفعول به ، والواو للحال ، وعندهم ظرف مكان متعلق
 بمحذوف خبر مقدم ، والتوراة مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب
 على الحال من الواو في يحكمونك (فيها حكم الله ثم يتولون من بعد

ذلك وما أولئك بالمؤمنين) فيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وحكم الله مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال من التوراة ، ثم حرف عطف ، للترتيب مع التراخي ، ويتولون عطف على يحكمونك ، وفائدة العطف بـثم الدالة على التراخي للدلالة على رسوخ توليهم وإعراضهم وإصرارهم على الإعراض عن الحكم الطويل ، بعد التأمل الطويل ، وظهور الآيات الدالة على صدق التحكيم . ومن بعد ذلك جار ومجرور متعلقان يتولون أو حال ، والواو عاطفة أو استئنافية ، وما نافية حجازية ، واسم الإشارة مبني على الكسر في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر « ما » (إنا أنزلنا التوراة) كلام مستأنف مسوق لبيان رفعة التوراة ، وسمو مرتبتها ، ووجوب مراعاة أحكامها . وإن واسمها ، وجملة أنزلنا خبرها ، والتوراة مفعول به (فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) الجملة في محل نصب حال من التوراة ، وفيها متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ونور عطف على هدى ، وجملة يحكم بها النبيون مستأنفة مينة لعلو شأن التوراة ، ولك أن تجعلها حالاً ثانية من التوراة ، وبها متعلقان يحكم ، والنبيون فاعل يحكم ، والذين صفة ، وجملة أسلموا صلة الموصول (للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله) الجار والمجرور متعلقان يحكم ، وجملة هادوا صلة الموصول ، والمعنى : يحكمون بها فيما بينهم . ويجوز أن يتعلقا بأنزلنا ، أو بمحذوف صفة لهدى ونور ، والربانيون والأحبار معطوفان على « النبيون » ، و « بما استحفظوا » متعلقان يحكم ، ومن كتاب الله متعلقان باستحفظوا ، واستحفظوا فعل ماض مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، ويجوز في « ما » أن تكون مصدرية أو موصولية ، ويجوز أن يتعلق قوله : « من كتاب الله »

بمحذوف حال (وكانوا عليه شهداء) عطف على « استحضروا » ،
 والواو اسم كان ، وعليه متعلقان بشهداء ، وشهداء خبر كانوا
 (فلا تخشوا الناس واخشون) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفت هذا
 فلا تخشوا الناس ، ولا فاهية ، وتخشوا فعل مضارع مجزوم
 بلا الناهية ، والواو فاعل ، والناس مفعول به ، واخشون
 الواو عاطفة ، واخشون فعل أمر مبني على حذف النون ،
 والواو فاعل ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به
 (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) عطف على ماتقدم ، ولا فاهية ،
 وتشتروا فعل مضارع مجزوم بلا ، وبآياتي متعلقان بتشتروا ، والباء
 داخلة على المتروك كما تقرر ، وثنماً مفعول به ، وقليل صفة (ومن لم
 يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) الواو استئنافية ليكون
 الحكم عاماً ، فكل من ارتشى وحكم بغير حكم الله فقد كفر ، ومن
 اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ،
 ويحكم فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، وبما متعلقان
 بيحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، فأولئك الفاء رابطة لجواب
 الشرط ، واسم الإشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والكافرون خبر ،
 والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل
 جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

في هذه الآية فن من فنون البلاغة دقيق المسلك ، قل من يتفطن
 إليه لأنه عميق الدلالة ، لا يسير غوره إلا الملهمون الذين أشرقت
 قلوبهم بضياء اليقين والإلهام ، ولم ييؤّب له أحد من علماء البلاغة
 من قبل ولكنه مندرج في سلك الإطناب من علم المعاني ، وذلك في

سياق قوله في صفة النبيين : « الذين أسلموا » . ومعلوم أن الاسلام من البدائه التي يفترض وجودها في الأنبياء ، وهم يتساوون فيها مع أقل أتباعهم من الآحاد ، ولكن كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة يراد إعظام الصفة بموصوفها العظيم ، فإذا قلت : قرأت قصيدة للمتنبى الشاعر فليس المراد أن تمدح المتنبى بالشاعرية ، لأن هذه الصفة ، على عظمتها ، لا يتميز بها ، فإن أقل شاعر يوصف بها ، ولكنك تمدح الشاعرية بأن يندرج في عداد المتسمين بها هذا الشاعر العظيم ، ولهذا كان القائل في مديح النبي صلى الله عليه وسلم محسناً غاية الإحسان :

فلئن مدحت محمداً بقصيدتي فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

وإلا فلو اقتصرنا على جعلها للمدح كما قرر الزمخشري وغيره لخرجنا على قانون البلاغة المؤلف ، وهو الترقى من الأدنى الى الأعلى . فكيف يتفق هذا مع ما ورد في القرآن لو لم يكن الغرض مدح الصفة بالموصوف ، ألا ترى أن أبا الطيب المتنبى نفسه تزحزح عن مقام البلاغة الأسى في قوله :

شمسٌ ضحاها هلالٌ ليلتها درةٌ تقاصيرها زبرجدُها

فقد نزل عن الشمس الى الهلال وعن الدر الى الزبرجد ، ومن ثم أخذ عليه النقاد القدامى هذه الهنة اليسيرة .

الفوائد :

قواعد النسبة مبسطة في كتب النحو ، ولكن هناك أسماء كثيرة

الاستعمال خالفت قواعد النسبة ، فأحبينا أن نورد أكثرها استعمالاً
ليستظهرها الأديب ، فوضعنا جدولاً لبعض هذه الأسماء مرتبة على
حروف الهجاء :

أفافي : نسبة الى أنف كبير •

أموي : نسبة الى أمية •

بهراني : نسبة الى بهراء ، وهي قبيلة من بني قضاة ، كانت
مساكنها في سهل حمص ، وكانت تدين بالنصرانية شأن جاراتها
تنوخ وتغلب •

بدوي : نسبة الى بادية •

بحراني : نسبة الى البحرين •

تهامي وتهام : نسبة الى تهامة •

ثقي : نسبة الى ثقيف •

جذمي : نسبة الى جذيمة •

جلولي : نسبة الى جلولاء ، وهي مدينة في العراق على طريق
خراسان ، عندما انتصر العرب على جيش ملك ساسان •

حروري : نسبة الى حروراء ، وهو موضع في العراق ، غير بعيد
عن الكوفة ، اجتمع فيه الخوارج الأولون عندما جهروا بالخروج على
علي بن أبي طالب ، فقاتلهم وأبادهم في وقعة النهروان •

حرمي : بكسر الحاء ، نسبة الى الحرمين ، أي : مسجدي
مكة والمدينة •

حزرمي : نسبة الى حضرموت •

- دهريّ : بضم الدال : نسبة الى دهر •
- ديرانيّ : نسبة الى دير •
- روحانيّ : نسبة الى روح •
- رباني : نسبة الى رب •
- رقباني : نسبة الى عظيم الرقبة •
- رديني : نسبة الى ردينة ، وهو الرمح وردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح •
- سليقي : نسبة الى سليقة •
- شام : نسبة الى الشام •
- شعрани : نسبة الى كثير الشعر •
- صدراني : نسبة الى كبير الصدر •
- صنعاني : نسبة الى صنعاء •
- طائيّ : نسبة الى طي •
- عديّ : نسبة الى بني عبيدة •
- عبشمي : نسبة الى عبد شمس •
- عبدريّ : نسبة الى عبد الدار •
- يمان : نسبة الى اليمن •

- عبدلي : نسبة الى عبد الله •
- فرهودي : نسبة الى فراهيد •
- قرشي : نسبة الى قريش •
- كتي : نسبة الى كنت •
- لحياني : نسبة الى كبير اللحية •
- مروزي : نسبة الى مرو •
- نباطي : نسبة الى الأنباط •
- ناصري : نسبة الى الناصرة •

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ
بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

الاعراب :

(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ) الواو عاطفة وكتبنا فعل وفاعل ،
والفعل معطوف على « أنزلنا » ، وعليهم متعلقان بكتبنا ، والضمير في
« عليهم » يعود للذين هادوا ، وفيها متعلقان بمحذوف حال ، والضمير

يعود للتوراة ، وأن واسمها ، وبالنفس متعلقان بمحذوف خبرها ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر محذوف في محل نصب مفعول به لكتبنا ، لأن الكتابة تقع عليه ، أي : قتل النفس بالنفس ، أي : مقتولة بالنفس ، والعين بالعين عطف ، أي : وفقء العين بفقء العين ، وجدع الأنف بجدع الأنف ، وسلم الأذن بصلم الأذن ، وقلع السن بقلع السن . وفي قراءة برفع هذه الأربعة على الابتداء والخبر (والجروح قصاص) عطف أيضاً . وقرئ بالرفع أيضاً . والمراد بالجروح مالا يمكن البت في الحكم فيه وأرى أن الأولى في الجروح الرفع ليكون « قصاص » خبره ، والتفاصيل في المطولات (فمن تصدق به فهو كفارة له) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وتصدق فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبه متعلقان بتصدق ، والفاء رابطة للجواب ، وهو مبتدأ ، وكفارة خبر ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ولم حرف تهي وقلب وجزم ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، وبما جار ومجرور متعلقان بيحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، فأولئك الفاء رابطة للجواب ، واسم الإشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والظالمون خبره ، والجملة الاسمية « هم الظالمون » خبر أولئك ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

اللفظة :

(قفينا) قفى : أتى ، وقى فلان زيدا وبزید : أتبعه إياه .
ويقال : قفيت على أثره بفلان : أي أتبعته إياه .

بين أبي حيان والزمخشري :

وقد ثارت مناقشة لطيفة بين الزمخشري وأبي حيان ، وهذه
خلاصتها : قال أبو حيان على تضمين قفينا معنى جئنا ، أي : ثم جئنا
على آثارهم بعيسى بن مريم قافياً لهم . وليس التضعيف في « قفينا »
للتعدية ، وذلك لأن « قفا » يتعدى لواحد ، قال تعالى : « ولا تقف
ما ليس لك به علم » . وتقول : قفا فلان الأثر إذا اتبعه ، فلو كان
التضعيف للتعدي لتعدى الى اثنين منصوبين ، وكان يكون التركيب ،
ثم قفينا على آثارهم عيسى بن مريم ، وكان يكون عيسى هو المفعول
الأول ، وآثارهم المفعول الثاني . لكنه ضمن معنى « جاء » وعُدِّي
بالباء ، وتعدى « الى آثارهم » بعلى . هذه خلاصة ما قاله أبو حيان ،
وأطال في هذه المسألة ليرد على الزمخشري ما أعربه إذ قال ما نصه :

ما يقوله الزمخشري :

« ققيته مثل عقبته إذا أتبعته ، ثم يقال : ققيته بفلان وعقبته به ، فتعديه الى الثاني بزيادة الباء ، فإن قلت : فأين المفعول الأول في الآية ؟ قلت : هو محذوف ، والظرف الذي هو « على آثارهم » كالساد مسدّه ، لأنه إذا ققى به على أثره فقد ققى به إياه » .

استطرد أبو حيان :

واستطرد أبو حيان في الرد على الزمخشري فقال : وكلامه يحتاج الى تأويل ، وذلك أنه جعل « ققيته » المضعف بمعنى « ققوته » ، فيكون « فعل » بمعنى « فعل » ، نحو : قدر الله وقدر الله ، وهو أحد المعاني التي جاءت لها « فعل » ثم عداها بالباء ، وتعديه المتعدي لمفعول بالباء لثاني قل أن يوجد ، حتى زعم بعضهم أنه لا يوجد ، ولا يجوز . فلا يقال في : طعم زيد اللحم : أطعمت زيدا باللحم ، والصحيح أنه جاء على قلة ، تقول : دفع زيد عمراً ، ثم تعديه بالباء فتقول : دفعت زيدا بعمرو ، أي جعلت زيدا يدفع عمراً . وكذلك صك الحجر الحجر ، ثم تقول : صككت الحجر بالحجر ، أي جعلته يصكه . وأما قوله : المفعول الأول محذوف والظرف كالساد مسدّه ، فلا يتجه . لأن المفعول هو مفعول به صريح ولا يسد الظرف مسده . الى أن يقول : وقول الزمخشري : « فقد ققى به إياه » فصل الضمير ، وحقه أن يكون متصلاً .

الاعراب :

(وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة)

كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحكام الإنجيل بعد بيان حكم التوراة . وقفينا فعل وفاعل ، وعلى آثارهم وبعيسى متعلقان بقفينا ، وابن مريم بدل أو صفة ، ومصدقاً حال ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً » ، وبين يديه ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وهو « ما » ، ومن التوراة متعلقان بمحذوف حال (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) الواو عاطفة ، وآتيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، والإنجيل مفعول به ثان ، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ونور عطف على هدى ، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) ومصدقاً عطف على محل الجملة ، فهو في حكم المنصوب على الحال ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً » ، وبين يديه ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وهدى وموعظة للمتقين) الواو عاطفة وهدى عطف منتظم في سلك « مصدقاً » فهما نصب على الحال . وأجاز بعضهم أن يكونا مفعولين لأجلهما ، وفيه بعد ، لوجود الواو وموعظة عطف على هدى ، وللمتقين متعلقان بمحذوف صفة (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) الواو عاطفة واللام لام الأمر ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، وأهل الإنجيل فاعل يحكم ، وبما متعلقان بيحكم ، وفي قراءة سبعية : « وليحكم » ، بجعل اللام للتعليل ، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بآتيناه أو بقفينا ، فيه جار ومجرور متعلقان بيحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) تكرر إعراب هذه الجملة ، وأفاد التكرار معنى التوكيد .

البلاغة :

١ - التشبيه البليغ ، وهو تشبيه الإنجيل بالنور والهدى ، وحذف الأداة ليكونا نفس الإنجيل للمبالغة .

٢ - التكرار : في الجمل زيادة في التوكيد كما تقدم .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

اللفظة :

(مهيناً) أي : شاهداً ورقياً على سائر الكتب ، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات . قال حسان بن ثابت :

إنّ الكتاب مهينٌ لنبيّنا والحقّ يعرفه ذوو الألباب
وقد اختلف في أصل فعله ، هل هو أصل بنفسه ؟ أي : إنه ليس

مبدلاً من شيء • يقال : هيمن يهيمن ، واسم الفاعل مهيمن • كيطر
ييطر ، فهو ميطر • أو أن هاء مبدلة من همزة ، وأنه اسم فاعل من
آمن غيره من الخوف ، والأصل مؤأيمن بهمزتين ، أبدلت الثانية ياء
كراهية اجتماع همزتين ، ثم أبدلت الأولى هاء •

(شرعة) : الشرعة بكسر الشين : الدين ، والشرع مثله ، مأخوذ
من الشريعة ، وهي مورد الناس للاستسقاء • وسميت بذلك لوضوحها
وظهورها • وجمعها شرائع • وشرع الله لنا كذا يشرعه : أظهره
وأوضحه • والمرعة بفتح الميم والراء : شريعة الماء ، قال الأزهري :
ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدلاً لا انقطاع له ، كما
الأنهار ، ويكون ظاهراً أيضاً ، ولا يستسقى منه برشاء • فإن كان من
مياه الأمطار فهو الكرع بفتحتين والناس في هذا الأمر شرع بفتحتين ،
وتسكن الراء للتخفيف : أي سواء •

(منهاجاً) : في المختار : النهج بوزن الفلّس : المنهج ، أي
المذهب • والمنهاج : الطريق الواضح ، ونهج الطريق : أبانه ، ونهجه
أيضاً : سلكه ، وبابهما قطع • والنهج بفتحتين : تتابع النفس • وفي
المصباح : « ونهج الطريق ينهج بفتحتين وضع واستبان ، وأنهج بالألف
مثله ، ونهجه واتهجه : أوضحته ، يستعملان لازمين ومتعديين » •

الاعراب :

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) الواو عاطفة وأنزلنا فعل وفاعل ،
والإك متعلقان بأنزلنا ، وبالحق متعلقان بمحذوف حال من الكتاب
(مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) مصدقاً حال من الكتاب ، ولما
متعلقان بـ « مصدقاً » وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ،
ويديه مضاف إليه ، ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال •

وعنى بالكتاب الجنس ، أي : جنس الكتب المنزلة من السماء (ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله) ومهيماً عطف على « مصدقاً » وعليه متعلقان بـ « مهيماً » ، فاحكم : الفاء الفصيحة ، أي : إذا كان شأن القرآن هذا فاحكم بين أهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما أنزل الله ، واحكم فعل أمر وبينهم ظرف متعلق بـ « فاحكم » وبما متعلقان باحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وأهواءهم مفعول به ، وعما جاءك متعلقان بمحذوف حال ، أي : منحرفاً ، وجملة جاءك صلة ، وقيل : تضمن « تتبع » معنى « تنحرف » أو « تترجح » ، فيتعلق الجار والمجرور به ، ومن الحق متعلقان بمحذوف حال من فاعل جاءك ، أو من نفس « ما » الموصولة (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) كلام مستأنف مسوق لحمل أهل الكتابين من معاصريه على الانصياع لما جاء به . ولكل متعلقان بـ « جعلنا » ، أو أنه مفعول أول لجعلنا ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للاسم المحذوف الذي قاب عنه تنوين العوض اللاحق بـ « لكل » ، أي لكل أمة منكم ، وشرعة مفعول جعلنا ، ومنهاجاً عطف على شرعة (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة جعلكم لا محل لها لأنها واقعة جواب شرط غير جازم ، وأمة مفعول جعلكم الثاني ، وواحدة صفة (ولكن ليلوكم فيما آتاكم) الواو حالية ، ولكن حرف استدراك مهمل لأنه مخفف ، وليلوكم اللام للتعليل ، ويلوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : أراد ، وفيما متعلقان بيلوكم ، وجملة آتاكم صلة الموصول (فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً) الفاء الفصيحة ، أي : إذا تيسم وجه الحكمة في هذا

فاستبقوا ، واستبقوا : فعل وفاعل ، والخيرات مفعول به ، أو منصوب
 بنزع الخافض ، ولعله أولى ، لأن الأصل في « استبق » أن يعدى
 الفعل بـ « إلى » إلا اذا ضمنت « استبق » معنى « ابتدر » ،
 فيتعدى بنفسه . وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ،
 ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، والجملة مستأنفة مسوقة سياق التعليل
 لاستباق الخيرات ، وجميعاً حال من الكاف لأنها فاعل في المعنى ، أي :
 ترجعون جميعاً (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الفاء عاطفة على معنى
 مرجعكم ، أي : ترجعون فينبئكم ، والكاف مفعول به ، وبما متعلقان
 ينبئكم ، وجملة كنتم صلة الموصول ، والتاء اسم كان ، وجملة
 تختلفون خبرها .

البلاغة :

في إظهار الضمير بقوله : « الكتاب » بيان لأهميته ، وأنه المرجع
 والملاذ والمعتصم إذا حزب الأمر ، وهو داخل في نطاق علم المعاني .
 ومنه في الشعر قول البحري في مطلع سينته :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جيس

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ
 أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
 لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الاعراب :

(وأن أحكم بينهم بما أنزل الله) الواو مستأنفة ، والكلام مستأنف لبيان كيفية الحكم بينهم ، وجعلها الزمخشري عاطفة على الكتاب ، ولا يخفى ما فيه من بعد ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، ومتعلق الجار والمجرور محذوف ، أي : ووصيناك بأن أحكم ، واختار أبو حيان أن يكون المصدر المؤول مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : وحكمك بما أنزل الله أمرنا وقولنا ، أو تقديره بقولك : ومن الواجب حكمك بما أنزل الله ، ولا بأس بقوله . وبينهم ظرف متعلق بمحذوف حال ، وبما متعلقان بـ « أحكم » ، وجملة أنزل الله صلة الموصول (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) الجملة معطوفة على « أحكم » ، ولا نافية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ، وأهواءهم مفعول به ، واحذرهم عطف أيضاً ، وأن يفتنوك مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي : من أن يفتنوك . ولك أن تجعل المصدر المؤول بدل اشتمال من الهاء في « واحذرهم » لأنهم اشتلوا على الفتنة ، وأجازوا أن يكون المصدر مفعولاً لأجله ، على تقدير لام العلة ، ولا النافية ، وأرى فيه تكلفاً ، ولكن كثيراً من المعربين أعربوه كذلك (عن بعض ما أنزل الله إليك) الجار والمجرور متعلقان يفتنوك ، وما اسم موصول في محل جر بالاضافة ، وجملة أنزل الله صلة ، وإليك متعلقان بأنزل (فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وتولوا فعل ماض وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وجملة اعلم في محل جزم جواب الشرط ، وأنما كافة ومكفوفة ، وهي وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلم ، ويريد فعل مضارع ، والله فاعل ، والمصدر المؤول مفعول يريد ، وبعض متعلقان يصيبهم

(وإن كثيراً من الناس لفاسقون) الواو الاستنافية ، وإن واسمها ،
ومن الناس متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، واللام المزحلقة ، وفاسقون
خبر « إن » •

البلاغة :

الإبهام في قوله : « ببعض ذنوبهم » • والتولي — على عظمه
وجسامته وفداحة التطاول به — واحد منها • والمراد أن لهم ذنوباً
كثيرة العدد ، والتولي من جملتها وواحد منها • فما أخبر صفقتهم
وما أبشع ما اقترفوه • واستعمال « بعض » في الإبهام وارد كثيراً في
كلامهم ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة في معلقته :

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

أراد نفسه ، وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام ، يقول : إني
تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يعتلق بنفسي حمامها فلا يتسنى لها
البراح • ومن جعل « بعض النفوس » بمعنى كل النفوس فقد أخطأه ،
لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب ، فكأنه قال : نفساً كبيرة •

﴿ أَفْكَرَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْهُمْ إِنَّا اللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(أفحكم الجاهلية يبغون) الكلام معطوف على ما تقدم ، مسوق لبيان نسط من تعنتهم ، وجريهم على سبيل الباطل • والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة على مقدّر يقتضيه المقام ، أي : أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية ؟ وحكم مفعول به مقدم لقوله : « يبغون » ، والجاهلية مضاف إليه ، ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وأحسن خبره ، ومن الله متعلقان بأحسن ، وحكماً تمييز ، ولقوم متعلقان بمحذوف حال ، وقال الجلال وغيره : اللام بمعنى عند ، متعلقة بأحسن ، أي : عند قوم يوقنون ، وجملة يوقنون صفة لقوم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) تقدم إعراب النداء ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ، والواو فاعل ، واليهود مفعول به ، والنصارى عطف على اليهود ، وأولياء مفعول به ثان ، والجملة مستأنفة (بعضهم أولياء بعض) بعضهم مبتدأ ، وأولياء بعض خبر ، والجملة الاسمية صفة لأولياء أو ابتدائية ، ذكرت بشفة التعليل للنهي (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتولهم فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، فإنه : الفاء رابطة ، وإن واسمها ، ومنهم خبرها ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إن واسمها ، ولا نافية ، ويهدي فعل مضارع ، والقوم مفعول به ، والظالمين صفة ، والجملة تعليلية لا محل لها •

البلاغة :

في قوله : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » فنّ طريف ، وهو فن الإيغال ، وفحواه أن يستكمل المتكلم كلامه قبل أن يأتي بمقطعه ، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام . وهو ضربان :

١ - إيغال تخير : كما في هذه الآية ، فإن المعنى قد تمّ بقوله : « ومن أحسن من الله حكماً » ، ولما احتاج الكلام الى فاصلة تناسب ما قبلها وما بعدها ، أتت تفيد معنى زائداً ، لولاها لم يحصل ، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ليبقى توحيده الشريك في الحكم الذي انفرد به ، ولم يكن له معارض فيه ولا مناقض له ، ويحصل من حكمته وضع الشيء في موضعه فيؤمن منه وضع الحق في غير موضعه ، وينفي العدل عنه الجور في الحكم ، ثم عدل عن قوله : « يعلمون » الى قوله : « يوقنون » ليكون علمهم بربهم علم قطع ويقين .

الاِغال الاحتياطي في الشعر :

أما الإيغال الاحتياطي في الشعر فهو في القوافي خاصة لا يعدوها ، ويسميه بعضهم التبليغ ، حكى الحاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد ابن يزيد المبرّد قال : حدثني التوزي قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتي الى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقض كلامه قبل القافية ، فإذا احتاج اليها أفاد بها معنى . قلت : نحو من ؟ قال : نحو الأعشى إذ يقول :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج الى القافية قال :
« الوعل » . قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟
قال : لأنه ينحط من قنّة الجبل على قرنه فلا يضره . قلت : ثمّ نحو
من ؟ قال : نحو ذي الرمة بقوله :

قف العيس في أطلال ميّة واسأل

رسوماً كأخلاق الرّداء المسلسل

فتمّ كلامه ، ثم احتاج الى القافية فقال : المسلسل ، فزاد
شيئاً . وقوله :

أظن الذي يجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المفصّل

فتمّ كلامه ، ثم احتاج الى القافية ، فقال : « المفصل » ، فزاد
شيئاً أيضاً . وليس بين الناس اختلاف في أن امرأ القيس أول من ابتكر
هذا المعنى بقوله يصف الفرس :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول : هزيز الريح مرت بآثاب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ،
ويبتل عطفه بالعرق ، ثم زاد « الأثاب » إيغالاً في صفته ، وهو شجر
للريح في أضعاف غصونه خفيف عظيم وشدة صوت . وأتبعه زهير
ابن أبي سلمى فقال :

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حبّ الفنا لم يحطّم

فأوغل في التشبيه إيغالا بتشبيه ما يتناثر من فتات الأرجوان
بحب الفنا الذي لم يحطم ، لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم
يحطم لم يظهر فيه بياض البتة ، وكان خالص الحمرة . وتبعهما الأعشى
فقال يصف امرأة :

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

فأوغل بقوله : « الوحل » بعد أن قال : « الوجي » وكان الرشيد
كثير العجب بقول صريع الغواني :

إذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشي المقيّد في الوحل

ويقول : قاتله الله ما كواه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل .

٢ - إيغال احتياط :

وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يقطعه ، فإذا أراد
الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً تنمة للمبالغة ، كقوله تعالى :
« ولا تسمع الصم الدعاء » ، ثم علم عز وجل أن الكلام يحتاج الى
فاصلة تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها فأتى بها تفيده معنى زائداً على
معنى الكلام حيث قال : « إذا ولّوا مدبرين » . فإن قيل : ما معنى
مدبرين ؟ وقد أغنى عنها ذكر التولي ؟ قلنا : فلك لا يغنى عنها ،
إذ التولي قد يكون بجانب دون جانب ، كما يكون الإعراض . وسيأتي
المزيد منها عند الكلام على سورة النمل إن شاء الله تعالى .

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى
 أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَىٰ آلَهِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۚ
 فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ
 حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

اللفة :

(دائرة) : الدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها
 موصوفها . و فرق الراغب في مفرداته : بين الدائرة والدولة بأن الدائرة
 هي الخط المحيط ، ثم عبّر بها عن الحادثة ، وإنما تقال في المكروه ،
 والدولة في المحبوب . وعن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم : إنّه لي موالي من يهود ، كثيراً عددهم ، وإني أبرأ الى
 الله ورسوله من ولايتهم ، وأوالي الله ورسوله . فقال عبد الله بن أبي :
 إني رجل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولاية موالي . وهم يهود
 بني قينقاع .

(حبطت) أي بطلت التي كانوا يتكلفونها في رأي الناس .

الاعراب :

(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) يجوز أن تكون
 الفاء استئنافية ، والكلام مستأنفاً مسوقاً لبيان كيفية ولائهم ولسببه

ولما يثول اليه أمرهم ومصيرهم • ويجوز أن تكون عاطفة والكلام معطوفاً على قوله : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » • وعلى كل حال لا محل لها ، وترى فعل مضارع ، والرؤية إما بصرية أو علمية ، والذين مفعول به ، وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرض مبتدأ مؤخر ، والجملة الاسمية صلة الموصول ، وجملة يسارعون إما حال إذا كانت الرؤية بصرية ، وإما مفعول به ثان إذا كانت الرؤية علمية ، وفيهم جار ومجرور متعلقان بيسارعون • (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) الجملة في محل نصب على الحال من ضمير « يسارعون » وجملة نخشى في محل نصب مقول القول ، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول نخشى ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، ودائرة فاعل (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) الفاء استئنافية ، وعسى من أفعال الرجاء وتعمل عمل « كان » ، والله اسمها ، وأن يأتي مصدر مؤول خبرها ، وقد تقدم أن الأكثر في خبر عسى أن يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأن ، وبالفتح متعلقان بيأتي ، أو أمر معطوف على الفتح ، ومن عنده متعلقان بمحذوف صفة لأمر (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) الفاء عاطفة أو سببية ، ويصبحوا معطوفة على يأتي ، أو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، لأنها سبقت بعسى ، وهي للرجاء ، ويصبحوا فعل مضارع ناقص ، الواو اسمها ، وعلى ما متعلقان بنادمين ، وجملة أسروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وفي أنفسهم متعلقان بأسروا ، ونادمين خبر « أصبح » (ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يقوله المؤمنون • ويقول الذين فعل مضارع وفاعل ، وجملة آمنوا صلة الموصول ، وقرىء بنصب « يقول » عطفاً على « أن يأتي » ، وقرىء من دون واو ، فهي

مستأنفة أيضاً . والهمزة للاستفهام التعجبي ، واسم الإشارة مبتدأ ، والذين خبر ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وجملة أقسموا صلة الموصول ، وبالله متعلقان بأقسموا ، وجهد أيماهم مفعول مطلق أو حال (إنهم لمعكم) الجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر إن (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) جملة مستأنفة ، قيل : هي من كلام الله ، وعليه أكثر المعريين . وقيل : هي من قول المؤمنين ، وعليه الزمخشري وأبو حيان . وأعمالهم فاعل حبطت ، والفاء عاطفة ، وأصبحوا فعل ماض فاقص ، والواو اسمها ، وخاسرين خبرها .

البلاغة :

في قوله تعالى : « حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين » فن ساء قدامة الإغراب والطرفة . وهو على ثلاثة أقسام :

١ - قسم يكون الإغراب منه في اللفظ ، وهو كثير .

٢ - قسم يكون الإغراب منه في المعنى ، كقول المتنبي :

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ

حتى تكاد على أحيائهم تقع

فإنه عمد الى المعنى المعروف من كون الطير إنما تقع على القتلى وتتبع الجيوش ، ثقة بالشعب ، فتجاوزه بزيادة المبالغة المستحسنة لاقتربها بـ « تكاد » الى ما قال ، فحصل في بيته من الإغراب والطرفة ، ما لا يحصل لغيره .

٣ - وقسم لا يكون الإغراب في معناه ولا في ظاهر لفظه ، بل في تأويله ، وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام معيباً وإذا تؤوّل رده التأويل الى نمط من الكلام الفصيح ، فأماط عن ظاهره العيب . والآية الكريمة منه ، فإن لقائل أن يقول : إن لفظة « أصبحوا » في الظاهر حشو لا فائدة فيه ، فإن هؤلاء المخبر عنهم بالخسران قد أمسوا في مثل ما أصبحوا ، ومتى قلت : أصبح العسل حلواً ، كانت لفظة « أصبح » زائدة من الحشو الذي لا فائدة فيه ، لأنه أمسى كذلك . وقد تحيل الرماني لهذه اللفظة في تأويل تحصل به الفائدة الجليلة التي لولا مجيئها لم تحصل ، وهي أنه لما قال : لما كان العليل الذي قد بات مكابداً آلاماً شديدة تعتبر حاله عند الصباح ، فإذا أصبح مفيقاً مستريحاً من تلك الآلام رجي له الخير ، وغلب على الظن برؤيه وإفاقته من ذلك المرض ، وإذا أصبح كما أمسى تعيّن هلاكه ، بجريان العادة بهيجان الإللال في الليل وسكونه عند الصباح . وشبهت حال الأشقياء بالعليل الذي أصبح من الألم على ما أمسى ، فهو ممن يئس من إصلاحه ، وعلى هذا تكون لفظة « فأصبحوا » قد أفادت معنى حسناً جميلاً ، وخرجت عن كونها حشواً غير مفيد . ولما أخبر الله سبحانه بأنه حبّط أعمالهم علم بالقطع أنهم أصبحوا خاسرين ، فلفظة « أصبحوا » لا يصلح غيرها في موضعها ، ولا يتم المعنى إلا بها . وما مثل به الرماني من قوله : « أصبح العسل حلواً وقد أمسى كذلك » إنما يقال هذا في الأمور الواقعة في دار الدنيا ، لأن زمانها فيه صباح ومساء ، فلما أصبح فيه على الحال التي يسي عليها فذكر الصباح فيه والمساء حشو لا فائدة فيه ، وأما يوم القيامة الذي لا مساء فيه فإن تمثيله بما أصبح في الزمن الذي يصاحبه مساء تمثيل غير مطابق له .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الكلام مستأنف مسوق لمبيان حال المرتدين على الإطلاق . وقد تقدم اعراب النداء كثيراً . ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويرتد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون وحرك بالفتحة لخفتها كما تقدم في قاعدة المضعف ، ومنكم متعلقان بسحذوف حال ، وقرئ « يرتدد » بفك الإدغام . وعن دينه متعلقان بيرتد ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة سوف يأتي الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويأتي الله فعل وفاعل ، وبقوم متعلقان يأتي ، وجملة يحبهم صفة لقوم ، وجملة يحبونه عطف على جملة يحبهم . وفي محبة الله للعبد ، وجب العبد لله ، أبحاث شيقة اشتجر حولها الخلاف ، وليس هذا مقام بحثها ، فليرجع إليها القارئ في المطولات (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أدلة صفة ثانية لقوم ، وعلى المؤمنين متعلقان بأدلة ، وهو صفة مشبهة ، وأعزة صفة ثالثة ، وعلى الكافرين متعلقان بأعزة (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) جملة يجاهدون صفة رابعة لقوم ، وجملة ولا يخافون عطف على جملة يجاهدون ، فهي بمثابة صفة خامسة (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) الجملة مستأنفة ،

واسم الإشارة مبتدأ ، وفضل الله خبره ، و « ذلك » قد يشار به الى المفرد والمثنى والمجموع ، وهو هنا يشير به الى الأوصاف التي أولها : يحبهم ويحبونه ، وجملة يؤتیه خبر ثان ، ولك أن تجعلها مستأنفة ، والهاء مفعول به أول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان ليؤتیه ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وواسع خبر أول ، وعليم خبر ثان •

البلاغة :

١ - محبة العبد لله بطاعته له ، وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب بالسبب •

٢ - الطباق بين أدلة وأعزّة •

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتقرير الحكم فيمن يوالي الله ورسوله والمؤمنين • وإنما كافة ومكفوفة ، ووليكم خبر مقدم ، والله مبتدأ مرفوع ويجوز العكس ، ورسوله

عطف على الله ، وكذلك الذين آمنوا ، وجملة آمنوا صلة الموصول (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) اسم الموصول بدل من الذين ، وجملة يقيمون صلاة ، والصلاة مفعول به ، ويؤتون الزكاة عطف على ما قبله (وهم راكعون) الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وراكعون خبر ، والجملة في محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، والجملة معطوفة على ما سبقها ، فتكون مندرجة في خبر الصلاة لاسم الموصول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتول فعل الشرط ، والله مفعوله ، ورسوله عطف على الله ، والذين آمنوا عطف أيضاً (فإن حزب الله هم الغالبون) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن واسمها ، وهم ضمير فصل لا محل له ، والغالبون خبر إن ، أو « هم » مبتدأ ، والغالبون خبر « هم » ، وجملة « هم الغالبون » خبر « إن » ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويجوز أن يكون جواب الشرط محذوفاً لدلالة الكلام عليه ، أي : يغلب ، ويكون قوله « فإن حزب الله هم الغالبون » دالاً عليه ، وقد رجح هذا القول ابن هشام في المغني .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا
مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ ۝٥٧ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً)
 كلام مستأنف مسوق لخطاب بعض المؤمنين وتحذيرهم من المنافقين .
 وقد تقدم إعراب كلمة النداء ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم
 بلا ، والواو فاعل ، والذين مفعول به ، وجملة اتخذوا صلة الموصول ،
 ودينكم مفعول به أول ، وهزواً مفعول به ثان ، ولعباً عطف على
 « هزواً » (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)
 من الذين الجار والمجرور حال من الموصول الأول ، أو من فاعل
 اتخذوا ، وجملة أوتوا صلة ، وأتوا فعل مضارع مبني للمجهول ،
 والواو نائب فاعل ، والكتاب مفعول به ثان ، ومن قبلكم متعلقان
 بأتوا ، والكفار معطوف على الذين أوتوا ، وقرىء بالجر عطفاً على
 الموصول المجرور بمن . قال مكي : لولا اتفاق الجماعة على النصب
 لاخترت الخفض لقوته في الإعراب وفي المعنى . وأولياء مفعول به ثان
 لتتخذوا (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الواو عاطفة ، واتقوا الله فعل
 أمر وفاعل ومفعول به ، وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل
 جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ، ومؤمنين خبر كنتم ، وجواب الشرط
 محذوف دل عليه ما قبله ، أي فاتقوا الله (وإذا ناديتُم إلى الصلاة
 اتخذوها هزواً ولعباً) الواو عاطفة ، على صلة الذين الواقع مفعولاً
 به ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة ناديتُم في محل
 جر بالإضافة ، وإلى الصلاة متعلقان بناديتُم ، وجملة اتخذوها لا محل

لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به أول ، وهزواً مفعولاً به ثان ، ولعباً عطف عليه (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) اسم الإشارة مبتدأ والباء حرف جر ، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا نافية ، ويعلقون فعل مضارع ، والواو فاعل ، والجملة صفة لقوم .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ ﴾

اللفظة :

(ينتقمون) : مضارع نقم ، وفيه لغتان : الفصحى حكاها ثعلب في فصيحه : نَقَمَ بفتح القاف ينقِم بكسرهما ، والأخرى : نَقِم بكسر القاف ينقِم بفتح القاف ، حكاها الكسائي . ومعناه تسخطون وتكرهون ، وقيل : تنكرون . قال عبيد الله بن قيس الرقيّات :

ما نَقَمُوا من بني أمية إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضَبُوا

الاعراب :

(قل : يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة أهل الكتاب من بني إسرائيل . وقل : فعل أمر ، ويا حرف نداء ، وأهل الكتاب منادى مضاف (هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) الجملة مقول القول ،

وهل حرف استفهام إنكاري وتنقمون فعل مضارع والواو فاعل ، ومنا متعلقان بتنقمون ، وإلا أداة حصر ، وأنّ وما بعدها في تأويل مصدر مفعول تنقمون ، وقيل المصدر منصوب على أنه مفعول لأجله ، والمفعول به محذوف ، والأول أرجح ، وبالله متعلقان بآمنا ، والمعنى ما تكرهون منا إلا الإيمان أو لا تسخطون علينا إلا لأجل إيماننا (وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) عطف على المصدر المؤول ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وإلينا متعلقان بأنزل ، و « ما » الثانية عطف على « ما » الأولى ، وجملة أنزل صلة الموصول ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وأن أكثركم فاسقون) الواو عاطفة ، وقرأ الجمهور بفتح « أن » فهي في تأويل مصدر محله الرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، والتقدير : وفسقكم ثابت معلوم عندهم ، لأنكم علمتم أننا على الحق ، وأنكم على الباطل ، فإن عنصريتكم وحجكم للرئاسة وجمع الأموال أهاب بكم إلى ركوب هذا المركب الخشن . ويحتمل أن يكون محل المصدر النصب عطفاً على « أن آمنا » ، والمعنى : وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان . أو تكون الواو للمعية ، ويكون المصدر المؤول مفعول معه ، والتقدير : وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون . ويحتمل أن يكون محله الجر عطفاً على الله ، أي : وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله ، وبما أنزل ، وبأن أكثركم فاسقون .

البلاغة :

في هذه الآية فن طريف ، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم . وهو فن ذائع الشهرة ، ولكنه قليل الأمثلة . ولم أجد منه في القرآن إلا هذه الآية ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الجاري مجرى التوبيخ

على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم بأن يأتي بعد الاستفهام ما يجب أن ينقم على فاعله بما يذم به ، فلما أتى بعد الاستفهام ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم . وقد عرف علماء البلاغة هذا الفن بأنه استثناء صفة مدح من صفة ذم ، منفية عن الشيء ، بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية . ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

والتأكيد فيه واضح ، فذكر أداة الاستثناء وهي « غير » قبل ذكر ما بعدها بوهم إخراج شيء مما قبلها ، فاذا وليتها صفة مدح جاء التأكيد . وفلول السيوف من كثرة الضراب في الحروب من مجال الفخر ودواعي الشجاعة . ومن هذا النوع أن ثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب ذلك بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » . فذكر أداة الاستثناء ، وهي « بيد » الموازنة لـ « غير » وزناً ومعنى قبل ذكر ما بعدها ، ثم التعقيب بصفة مدح أخرى وهي كونه من قريش التي هي أفصح العرب ، تزيد تأكيد المعنى حسناً . وقال النابغة منه :

فتى كملت أوصافه غير أنه جواد فما يبقى على المال باقيا

﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ
وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ
أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

الاعراب :

(قل : هل أنبئكم بشرًا من ذلك مثوبة عند الله) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة اليهود بما يليق بتحديدهم وتعتهم وإيغالهم في الكفر .
وقل فعل أمر ، والجملة الاستفهامية مقول القول ، وهل حرف استفهام ، وأنبئكم فعل مضارع في محل نصب ، والكاف مفعوله الأول ، وبشرًا جار ومجرور متعلقان بمحذوف هو المفعول الثاني ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بـ « شر » ، لأنه اسم تفضيل ، ومثوبة تمييز لشر ، وهو تمييز نسبة ، لأن الشر واقع على الأشخاص ، وسيأتي مزيد من التفصيل في باب البلاغة . وعند ذلك متعلقان بمحذوف حال (من لعنه الله وغضب عليه) من اسم موصول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، فإنه لما قال : هل أنبئكم بشرًا من ذلك ؟ فكان قائلًا قال : مَنْ ذلك ؟ ف قيل : هو من لعنه الله ، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة ويجوز أن يكون محل « مَنْ » الجر على البدلية من « شر » ، وجملة لعنه الله لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة غضب عليه عطف على الصلة (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) الواو عاطفة ، وجعل عطف على لعنه الله ، ومنهم متعلقان بمحذوف مفعول به أول ، والقردة هو المفعول الثاني ، والخنازير عطف على القردة ، وعبد فعل ماض وهو عطف على صلة « ما » ، كأنه قيل : ومن عبد الطاغوت ، حذف الموصول وأقيمت الصفة مقامه (أولئك شر مكانًا وأضلّ عن سواء السبيل) الجملة مفسرة لا محل لها ، واسم الإشارة مبتدأ ، وشر خبر ، ومكانًا تمييز ، وأضلّ عطف على شر ، وعن سواء السبيل متعلقان بأضلّ .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من أنواع البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ - المجاز المرسل في قوله : « مثوبة » ، والعلاقة الضدية ، مثل : « فبشرهم بعذاب أليم » . والمراد بهذا المجاز التهمك . ومجمل المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم لعباً ولهواً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار : هل أنبئكم بشرٌ من أهل ذلك الذي تنقمونه منا ، وشر من مثوبته ؟ أي : عقابه . وقد أخرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم ، وإلا فلا شركة بين المؤمنين وبينهم في أصل العقوبة ، حتى يقال : إن عقوبة أحد الفريقين شرٌّ من عقوبة الآخر ، ولكنهم حكموا بأن دين الاسلام شرٌّ فليل لهم : هبوا الأمر كذلك ، ولكن لعنة الله تعالى وغضبه ، والإبعاد عن رحمته ، والطرده من ساحة رضاه ، ومسح الصورة الى أقبح أنواع الحيوان وأرذله شرٌّ من ذلك الذي تزعمون أنه شر ، وأنت تعرف ما لنوعي القردة والخنازير من الخسة والحقارة ، وما لهما في صدور الدهماء والخاصة من القبح والتشويه وشناعة المنظر ، ونذالة النفس ، وحقارة القدر ، ووضاعة الطبع ، وسماجة الشكل والخلق ، وقبح الصوت ودناءة الهمة ، مما ليس لغيرهما من سائر أنواع الحيوان .

٢ - التهمك - وقد انطوى في المجاز المرسل . وتقدم الكلام على التهمك مفصلاً .

٣ - المجاز المرسل : في قوله : « شر مكاناً » ، وعلاقته المحلية . فقد ذكر المكان وأراد أهله ، وقد تقدم أيضاً .

الفوائد :

قد تقول : إنه لا بد في اسم التفضيل من مفضل ومفضل عليه ، فكيف يقال : إنهم شر من المؤمنين ، والمؤمنون لا شر عندهم البتة ؟ والجواب أنه جاء على سبيل التنزيل والتسليم للخصم على زعمه ، تبيكاً له ومناداة عليه بالحجة الدامغة ، أو أنه خاص بالكفار ، وهم طبقات متفاوتة في نسبة الشر إليها .

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾

الاعراب :

(وإذا جاءوكم قالوا آمنا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءوكم في محل جر بالإضافة ، وجاءوكم فعل وفاعل ومفعول به ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الواو حالية ، وقد حرف تحقيق ، وجملة دخلوا في محل نصب حال من الواو في « قالوا » ، وبالكفر جار ومجرور

متعلقان بمحذوف حال من فاعل دخلوا ، والواو الثانية حالية أيضاً ،
والجملة في محل نصب حال من الواو في « قالوا » أيضاً ، وبه متعلقان
بمحذوف حال من فاعل خرجوا ، أي : قد دخلوا كافرين وخرجوا
كافرين (والله أعلم بما كانوا يكتمون) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ،
وأعلم خبر ، وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة كانوا لامحل لها لأنها
صلة الموصول ، وجملة يكتمون في محل نصب خبر كانوا (وترى كثيراً منهم
يسارعون في الإثم والعدوان) الواو عاطفة أو استئنافية ، وترى فعل مضارع ،
وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة يسارعون
حال من « كثيراً » ، أو نعت له ، وفي الإثم متعلقان بيسارعون ،
والعدوان عطف على الإثم (وأكلهم السحت لبس ما كانوا يعملون)
وأكلهم عطف على الإثم والعدوان ، والسحت مفعول به للمصدر وهو
« أكل » ، والبلاد جواب قسم محذوف ، ولبس فعل ماض جامد
لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة في محل نصب على التمييز ، أو موصولة
فهي فاعل ، وجملة كانوا لا محل لها على الحالين ، وجملة يعملون في
محل نصب خبر كانوا .

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَبِيلَةُ

يَنْهَمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ
أُطْفِئَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

الاعراب :

(لولا ينههم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت)
كلام مستأنف مسوق للتحضيض والتخويف للعلماء والأحبار منهم
لصدوفهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها تعميم لتوبيخ
العلماء من كل أمة وملة لهذه الخلقة الشائنة ، ولذلك قال ابن عباس :
هذه أشد آية في القرآن ، يعني في حق العلماء لتهاونهم في النهي عن
المنكرات . وقال الضحاك : ما في القرآن آية أخوف عندي منها . ولولا
أداة للتحضيض بمعنى « هلا » ، وينههم الربانيون فعل مضارع
ومفعول به وفاعل ، والأحبار عطف على قوله : « الربانيون » ، وعن
قولهم متعلقان بينههم ، والإثم مفعول به لـ « قول » ، وأكلهم معطوف
على قولهم ، والسحت مفعول به لأكل (لبس ما كانوا يصنعون)
تقدم إعرابها قريباً ، والعمل لا يقال فيه : صنع ، إلا إذا صار عادة
وديدناً (وقالت اليهود : يد الله مغلولة) الواو استئنافية ، وقالت
اليهود فعل وفاعل ، ويد الله مبتدأ ، ومغلولة خبر ، والجملة في محل
نصب مقول القول (غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا) الجملة دعائية
معتضة ، وغلّت فعل ماض مبني للمجهول ، وأيديهم نائب فاعل ،
ولعنوا عطف على غلّت أيديهم (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء)
بل حرف إضراب وعطف ، ويدها مبتدأ ، ومبسوطتان خبر ، والجملة

عطف على جملة يد الله مغلولة ، وجملة ينفق يجوز أن تكون مستأنفة سقت تأكيداً لكمال جوده سبحانه ، والمعنى : إيثاقه على ما تقتضيه مشيئته ، فهو القابض الباسط . ولا أعلم كيف أجازوا أن تكون خبراً ثانياً لـ « يده » تبعاً لأبي حيان ؟ وكيف هنا شرطية في محل نصب حال (وليزیدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكهراً) الواو واو القسم المحذوف والقسم المحذوف مجرور بالواو ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : أقسم ، واللام واقعة في جواب القسم ، ويزیدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، وما اسم موصول فاعل يزدن ، والمراد أنهم يزدادون حقداً وتنادياً في الجحود ، وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول ، واليك متعلقان بأنزل ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال ، وطغياناً تمييز أو مفعول به ثان ليزیدن ، وكهراً عطف على « طغياناً » (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) الواو استئنافية وألقينا فعل وفاعل ، وبينهم ظرف متعلق بألقينا ، والعداوة مفعول به ، والبغضاء عطف على العداوة ، والى يوم القيامة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) كلما نصب على الظرفية الزمانية ، والجملة في محل جر بالاضافة ، وناراً مفعول به ، وللحرب جار ومجرور متعلقان بأوقدوا ، وجملة أطفاها الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والجملة كلها مستأنفة أيضاً (ويسعون في الأرض فساداً) الواو استئنافية ، ويسعون فعل مضارع وفاعل ، وفي الأرض متعلقان بيسعون ، وفساداً يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً ، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى مفسدين ، وأن يكون مفعولاً لأجله ، أي : يسعون لأجل الفساد ، والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان

(والله لا يحب المفسدين) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة لا يحب خبر ، والمفسدين مفعول به .

البلاغة :

حفلت هذه الآية بضروب من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ - المجاز المرسل في غلّ اليد وبسطها عن البخل والجود ، وعلاقة هذا المجاز السببية ، لأن اليد هي سبب الإثاق ، والفائدة من هذا المجاز تصوير الحقيقة بصورة حسية تلازمها غالباً . وجعل بعضهم قوله : « بل يدها مبسوطتان » استعارة ، فالمستعار البسط ، والمستعار منه يد المنفق ، والمستعار له يد الحق ، وذلك ليتخيل السامع أن ثم يدين مبسوطتين بالإثاق ، ولايدان في الحقيقة ولابسط .

أثر حاسة البصر : وذلك لأن التصوير الحسي يجعلها أرسخ في الذهن ، وأكثر تأثيراً . وحاسة البصر هي في مقدمة الحواس المقدرة للجمال ، والتي تدركه وتنقله الى النفس ، وبهذا الصدد يقول « جوهر » الناقد العصري المعروف : إن الإحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتم وجه هي الإحساسات البصرية . حتى لقد ذهب « ديكارت » الفيلسوف الفرنسي الى أبعد من ذلك ، فعرفّ الجمال بقوله : هو ما يروق في العين . ولما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحس وتلازمهما صورتان تدركان بالحس ، وهما بسط اليد للجود ، وغلها للبخل ، عبّر عنهما بلازمهما ، لفائدة الإيضاح والانتقال الى المحسوسات من المعنويات .

٢ - المشاكلة : بقوله : « غلت أيديهم » فقد دعا عليهم بما

افتاتوا به ، وأرجفوا فيه • ومن ثم كان اليهود أبطل خلق الله على الإطلاق ، وأكثرهم جمعاً للمال من أي وجه أتى • وقد كان العرب يتفادون هذا الوصف الذميم ، ويتورعون عنه ، قال الأشر :

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ومعظم أهل السنة ذهبوا الى أن يد الله صفة من صفات ذاته سبحانه ، كالسمع والبصر والوجه ، فيجب علينا الايمان بها وإثباتها له بلا كيف ولا تشبيه •

٣ - التنكيت : بقوله : « بل يدها مبسوطتان » • وكان السياق يقتضي أن يقول : يده مبسوطه ، فإنهم عبروا عنها بالمفرد بقولهم : « يد الله مغلولة » ولكنه عدل عن المطابقة لنكتة تدق على الأفهام البدائية ، وهي هي الجسمية عنه سبحانه ، لأنهم أرادوا أنه يعطي يده ، والمرء لا يعطي بكليتي يديه ، فرد عليهم مبطلاً أن يكون له شيء مما هو جسم معروف ، له يد يمينى ويد يسرى • فلما أثبت أن كليهما يد هي الجسمية ، لأن كليهما متساوية في الكرم والعطاء •

٤ - الكناية : في إيقاد الحرب عن الحرب واشتعالها •

٥ - الطباق : بين الإيقاد والإطفاء •

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ؕ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾

الاعراب :

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان حالهم في الآخرة . ولو شرطية غير جازمة ، وأن واسمها وخبرها في محل رفع فاعل لفعل محذوف ، وقد تقدم الحديث عن ذلك . وجملة آمنوا خبر « أن » وجملة اتقوا عطف على جملة آمنوا (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) اللام واقعة في جواب « لو » وكفرنا فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وعنهم متعلقان بكفرنا ، وسيئاتهم مفعول به ، وجملة ولأدخلناهم عطف على جملة لكفرنا . وجنات مفعول به ثان على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بأدخلناهم ، والنعيم مضاف إليه .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ ۚ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

الاعراب :

(ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) الواو استئنافية ، وأنهم أقاموا التوراة والإنجيل : تقدم إعرابها قريباً ، وما عطف على التوراة والإنجيل ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وأراد بالموصول غيرهما من الكتب ، ككتاب أشعيا وكتاب دانيال وزبور

داود ، واليهم متعلقان بأنزل ، ومن ربهم متعلقان بمحذوف حال (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) اللام واقعة في جواب لو ، وجملة أكلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ومن فوقهم متعلقان بأكلوا ، ومن تحت أرجلهم عطف على « من فوقهم » ، وسيأتي سر حذف المفعول في باب البلاغة (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) الجملة في محل نصب على الحال ، ومنهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأمة مبتدأ مؤخر ، ومقتصدة صفة ، كثير الواو عاطفة . وكثير مبتدأ ، وساغ الابتداء به لوصفه بالجار والمجرور ، وجملة ساء ما يعملون خبر كثير ، وجملة يعملون صلة « ما » .

البلاغة :

في هذه الآية حذفان بليغان ، داخلان في نطاق المجاز الذي هو عنصر البلاغة وإكسيورها ، وهما :

١ - حذف المضاف في قوله : « أقاموا التوراة والإنجيل » والمراد أحكام التوراة والإنجيل وحدودهما ، وما انطوى تحتها من أحكام بالغة ، وعبر شائعة .

٢ - حذف المفعول به ، واللطائف فيه تتجدد دائماً . وقوله تعالى : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » بالغ أبعد آماد البلاغة ، فيفعل « أكلوا » محذوف لقصد التعميم أو للقصد إلى نفس الفعل ، كما في قولهم : « فلان يحل ويعقد ، ويبرم وينقض ، ويضر وينفع » ، والأصل في ذلك كله على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق . وفي الحذف الذي بصده ثلاثة أوجه :

آ - أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض .

ب - وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة .

ج - وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار ، يجنون ما تهدل من رؤوس الشجر ، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم .

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾

الاعراب :

(يا أيها الرسول) تقدم إعرابها (بلغ ما أنزل إليك من ربك)
كلام مستأنف مسوق للتسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ضاق
ذره بالدعوة . وبلغ فعل أمر ، وفاعله أنت ، وما مفعول به ، وجملة
أنزل صلة الموصول ، وإليك متعلقان بأنزل ، ومن ربك متعلقان
بمحذوف حال (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) الواو استئنافية ،
وإن شرطية ، ولم تفعل فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وما نافية ،
وجملة بلغت في محل جزم جواب الشرط ، وفي اتحاد الشرط والجواب
سرّ بديع ، سوف نسطه في باب البلاغة ، ورسالته مفعول به (والله
يعصمك من الناس) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يعصمك
خبره ، ومن الناس متعلقان بيعصمك (إن الله لا يهدي القوم الكافرين)
إن واسمها ، وجملة لا يهدي خبرها ، والقوم مفعول به ، والظالمين صفة .

البلاغة :

في اتحاد الشرط والجواب سرّ منقطع النظير ، وذلك أنه لا بدّ أن يكون الجزاء مغايراً للشرط لتحصل الفائدة . ومتى اتحدا اختل الكلام لأنه يشول ظاهراً الى : وان لم تفعل فما فعلت ، ولكنه أراد هنا أن يتحدا ، لأن عدم تبليغ الرسالة أمرٌ معلوم عند الناس ، مستقرٌ في الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه ، ولأن عدم نشر العلم من العالم أمر يستوجب المذمة ، فما بالك بالرسالة ؟ فجعل الجزاء عين الشرط ليتضح مدى الاهتمام بالتبليغ . وقيل أيضاً في هذا الصدد : أي إن تركت شيئاً فقد تركت الكل ، وصار ما بلغته غير معتدّ به ، فصار المعنى : وإن لم تستوف ما أمرت بتبليغه فحكمك في العصيان وعدم الامتثال حكم من لم يبلغ شيئاً أصلاً .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٨)

الاعراب :

(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) كلام مستأنف مسوق لنفي تخريصاتهم بأنهم يتبعون التوراة . وقل فعل أمر ، ويا أهل الكتاب منادى مضاف ، ولستم : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، وعلى شيء

جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وسيأتي مزيد عن ليس في باب الفوائد (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) حتى حرف غاية وجر ، وتقيموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار والمجرور متعلقان بـ « لستم » والتوراة مفعول تقيموا ، ولا بد من تقدير مضاف ، أي : أحكامهما وما ينطويان عليه من مثل عليا (وليزیدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكهراً) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف ، ويزیدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » وما اسم موصول فاعل يزدن ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال ، وطغياناً مفعول به ثان أو تمييز ، وكهراً عطف على طغياناً (فلا تأس على القوم الكافرين) الفاء الفصيحة ، أي : إذا علمت هذا فلا تأس ، ولا ناهية ، وتأس فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وعلى القوم متعلقان بتأس ، والكافرين صفة .

البلاغة :

التنوين في « شيء » يفيد التقليل والتحقير ، أي : لستم على شيء يعتد به حتى تقيموا أحكام التوراة والإنجيل .

الفوائد :

(لستم) حذفت عين « ليس » وهي الياء ، لالتقاء الساكنين ، أي : الياء والسين ، إذ أصله : ليس بكسر الياء ، ثم سكنت الياء

للتخفيف ولم تقلب الفاء على القياس ، لأن التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل من القلب ، فلما اتصلت بضمير رفع متحرك سكنت العين ، فالتقى ساكنان : الياء والسين ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين .

﴿ إِنِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ ءَٰمَنَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحَٰتٍ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٩)

اللفظة :

(الصابئون) من صبا ، أي : خرج عن دينه ، وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب ، مقرهم في حرّان بين النهرين ، خرج منهم علماء وفلاسفة ومنجمون ، ومنهم الكاتب الشاعر أبو إسحق الصابي .

الاعراب :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا) كلام مستأنف مسوق لبيان المؤمنين بالله والعاملين عملاً صالحاً . وإن واسمها ، وجملة آمنوا صلة الموصول ، والذين هادوا عطف على الذين آمنوا (والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) الواو استئنافية ، والصابئون رفع على الابتداء ، وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما في « إن » من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ، والصابئون كذلك . هذا ما رجّحه سيبويه في مخالفة الاعراب ، وأنشد شاهداً له :

والا فاعلموا أننا وأتسم بغاة ما بقينا على شقاق

أي : فاعلموا أننا بغاة وأتسم كذلك . ويكون العطف من باب عطف الجمل ، فالصائبون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله : إن الذين آمنوا ، ولا محل لها ، كما لا محل للجملة التي عطف عليها ، وإنما قدّم « الصائبون » تنبيهاً على أن هؤلاء أشد إيغالا في الضلالة واسترسالاً في الغواية ، لأنهم جردوا من كل عقيدة . وسترده في باب الفوائد أوجه أخرى في هذه المخالفة الإعرابية . والنصاري عطف على الذين ، ومن اسم موصول بدل من الذين ، ولك أن تعرب النصاري مبتدأ خبره : « فلا خوف عليهم » ، والجملة خبر « إن » ، وجملة آمن بالله صلة الموصول ، واليوم الآخر عطف على الله ، وعمل عطف على آمن ، وصالحاً مفعول به أو صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي : عملاً صالحاً (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الجملة خبر إن ، ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط ، وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي ، وعليهم متعلقان بمحذوف خبره ، ولا هم يحزنون : عطف على ما تقدم .

الفوائد :

قدّمنا الوجه المختار الذي ذهب إليه الخليل وسيبويه ونحاة البصرة في إعراب « والصائبون » ، وهناك أوجه أخرى نوردناها فيما يلي باقتضاب :

آ — إن الواو عاطفة ، والصائبون معطوف على موضع اسم إن لأنه قبل دخول « إن » كان في موضع رفع ، وهذا مذهب الكسائي والفراء .

ب - إنه مرفوع عطفاً على الضمير المرفوع في « هادوا » وروي هذا عن الكسائي .

ج - أن تكون « إن » بمعنى نعم ، أي : حرف جواب ، وما بعده مرفوع بالابتداء ، فيكون « والصابئون » معطوفاً على ما قبله .

ما يقوله ابن هشام :

وتخرج ابن هشام للآية يتلخص بأمرين :

آ - إن خبر « إن » محذوف ، أي : مأجورون أو آمنون أو فرحون ، والصابئون مبتدأ وما بعده الخبر ، ويشهد له قوله :

خليلي هل طبّ فإني وأتتما وإن لم تبوحا بالهوى ففان

ويضعفه أنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وإنما الكثير العكس .

ب - الخبر المذكور لـ « إن » ، وخبر « الصابئون » محذوف ، ويشهد له قوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بهما لغريب

إذ لا تدخل اللام في خبر المبتدأ حتى يقدم نحو : القائم لزيد ، ويضعفه تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوف عليها .

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ

رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
 وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا
 كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾

الاعراب :

(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لبيان نماذج أخرى من جنایاتهم التي تنادي باستبعاد الإيمان منهم . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذنا فعل وفاعل ، وميثاق مفعول به ، وبني إسرائيل مضاف اليه ، (وأرسلنا إليهم رسلاً) الواو حرف عطف ، وأرسلنا فعل وفاعل ، وإليهم متعلقان بأرسلنا ، ورسلاً مفعول به (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه المحذوف ، أي : عصوه ، وجاءهم فعل ومفعول به مقدم ، ورسول فاعل مؤخر ، وبما متعلقان بجاءهم ، وجملة لا تهوى أنفسهم صلة الموصول (فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) فريقاً مفعول مقدم لكذبوا ، وفريقاً الثانية مفعول مقدم ليقتلون ، والجملة مستأنفة نشأت عن جواب سؤال ناشئ عن الجواب الأول ، كأنه قيل : كيف فعلوا بهم ؟ فقيل : فريقاً منهم كذبوهم ولم يتعرضوا لهم بضرر ، وفريقاً آخر منهم قتلوهم (وحسبوا أن لا تكون فتنة) الواو عاطفة ، وحسبوا فعل وفاعل ، وأن حرف مصدري ونصب ، ولا نافية ، فتكون فعل مضارع تام منصوب بأن ، وفتنة فاعل ، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي حسبوا . وقرئ برفع « تكون »

فتكون « أن » مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن تقديره : أنه (فعموا ووصموا ثم تاب الله عليهم) الفاء : عاطفة ، وعموا معطوف على حسبوا ، ووصموا عطف على قوله : فعموا ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وتاب الله فعل وفاعل ، والجملة عطف على قوله : فعموا ووصموا ، وعليهم متعلقان بتاب (ثم عموا ووصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) ثم عموا ووصموا عطف على ما تقدم ، كثير بدل من الضمير في عموا أو وصموا ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ وبصير خبره ، وبما جار ومجرور متعلقان ببصير ، وجملة يعملون صلة الموصول .

البلاغة :

في الآية نوع من الالتفات البليغ بقوله : « فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون » ، وهو الالتفات من الإخبار بالفعل الماضي الى الإخبار بالفعل المضارع ، وهذا من أدق الأمور ، ولا يحتاج في الاستعمال إلا للعارف برموز الفصاحة والبلاغة . وقد طفق القرآن الكريم به ، فقد جاء بالفعل الماضي أولاً فقرر أمراً وقع ثم جاء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الصورة الشنيعة للتعجب منها واستخلاص العبرة من مطاويها . وسيرد منه في القرآن الشيء العجيب ، وعلى هذا ورد قول تأبط شرّاً :

بأنّي قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجيران

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التي تهيأت له حتى تشجّع على ضرب الغول ، كأنه يجسّدها لهم ليثير إعجابهم بجرائته على ذلك

الهل ، والأمثال على ذلك أكثر من أن تحصى . وعلى هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام في غزوة بدر ، فإنه قال : لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص ، وهو على فرس ، وعليه لامة كاملة لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يقول : أفا أبو ذات الكؤوس ، وفي يدي عنزة - وهي مثل نصف الرمح - فأطعن بها في عينه ، فوقع ، وأطأ برجلي على خده ، خرجت العنزة متعقمة . فقلوه : « فأطعن بها في عينه ، وأطأ برجلي » معدول به عن لفظة الماضي الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجرأة على قتل ذلك الفارس المستلثم .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ ۚ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) اللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجملة القسم مستأنفة . وكفر الذين فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة الذين ، وجملة إن الله في محل نصب مقول القول ، وإن واسمها ، وهو مبتدأ ، والمسيح خبر هو ، والجملة

الاسمية خبر إن ، وابن بدل من المسيح ، ومريم مضاف إليه (وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) الواو حالية ، وقال المسيح فعل وفاعل ، والجملة في محل نصب على الحال من الواو في « قالوا » ، ويابني إسرائيل منادى مضاف ، وجملة اعبدوا الله في محل نصب مقول قول المسيح ، وربى بدل من الله ، وربكم عطف على ربي (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) الجملة مستأنفة ، وإن واسمها ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويشرك فعل الشرط ، وبالله متعلقان بيشرك ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة فقد حرم في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، والجملة الشرطية كلها في محل رفع خبر إن ، وحرم الله فعل وفاعل ، وعليه متعلقان بحرّم ، والجنة مفعول به (وماواه النار وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية ، وماواه خبر مقدم ، والنار مبتدأ مؤخر ، ويجوز العكس ، والواو عاطفة ، وما نافية ، وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وأنصار مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٧٦ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا

يَا كَلَانَ الطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّينُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤَفَّكُونَ ﴿٧٥﴾

اللفظة :

(يؤفكون) : يصرفون .

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة) الجملة مستأنفة ، واللام جواب قسم محذوف ، وجملة كفر الذين قالوا : لا محل لها لأنها جواب القسم ، وجملة قالوا صلة الموصول ، وإن واسمها ، وثالث ثلاثة خبرها ، والجملة المصدرة بأن في محل نصب مقول القول (وما من إله إلا إله واحد) الواو حالية ، وما نافية ، ومن حرف جر زائد ، وإله مجرور لفظاً مرفوع على الابتداء محلاً ، والخبر محذوف ، أي موجود ، وإله بدل من الضمير فيه ، وإلا أداة حصر . وقد مرّ هذا الإعراب مفصلاً في كلمة الشهادة ، والمعنى : والحال ما إله كائن أو موجود إلا إله واحد (وإن لم ينتهوا عما يقولون) الواو استئنافية ، وإن شرطية ، ولم ينتهوا فعل الشرط ، وعما متعلقان بـ ينتهوا ، وجملة يقولون صلة الموصول (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ويمسن فعل مضارع مبني على الفتح ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، والذين مفعول به ، وجملة كفروا صلة الموصول ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال ، وعذاب أليم فاعل ، وجواب الشرط محذوف سد مسده جواب القسم لأن التقدير : ولئن لم ينتهوا ، والقاعدة أنه إذا اجتمع شرط وقسم

فالجواب للسابق ، وإنما لجأنا الى هذا لوجود اللام الموطئة للقسم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) الجملة مستأنفة مسوقة للتعجب من إصرارهم . والهمزة للاستفهام التعجبي الإنكاري ، والفاء عاطفة على مقدر ، أي : ألا ينتهون فلا يتوبون ، والى الله متعلقان يتوبون ، ويستغفرونه عطف على يتوبون ، والواو حالية ، والله مبتدأ ، وغفور رحيم خبران له ، والجملة في محل نصب على الحال (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) كلام مستأنف مسوق لتحقيق الحق . وما فافية ، ولم تعمل عمل ليس لاقتراض النفي بإلا ، والمسيح مبتدأ وابن مريم بدل أو نعت ، وإلا أداة حصر ، ورسول خبر المبتدأ ، وجملت قد خلت صفة ، ومن قبله متعلقان بخلت ، أي : مضت وفنيت ، والرسول فاعل (وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) الواو عاطفة ، وأمه مبتدأ ، وصديقة خبر ، وجملة كانا مفسرة لا محل لها . وألف الاثنين اسم كان ، وجملة يأكلان خبر كانا ، والطعام مفعول به (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) الجملة استئنافية ، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظر ، وقد علق « كيف » « انظر » عن العمل لفظاً فيما بعدها ، ونبين لهم الآيات فعل وفاعل مضر ومفعول به ، وثم حرف عطف للترتيب والتراخي ، والمعنى أن بيان هذه الآيات كان عجباً وإعراضهم عنها وصدوفهم عن التأمل فيها كان أعجب ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، في محل نصب على الحال ، ويؤفكون فعل مضارع والواو نائب فاعل .

البلاغة :

في قوله : « كانا يأكلان الطعام » كناية عن أنهما ، صلوات الله

عليهما ، بشر ، لأن أكل الطعام يستتبعه الهضم والنفص ، فاكفى بذكر
أكل الطعام عن كل هذا تهذيباً وتصوّفاً ، وهذا من غريب الكنايات
في اللغة العربية . وقد قدمنا عن الكناية كثيراً ، ولا بد هنا من لفت
النظر الى أن الكناية — حيث وردت — يتعاورها جانباً حقيقة ومجاز ،
وجاز حملها عليهما معاً ، كقوله تعالى : « أو لامستم النساء » فإنه
يجوز حمل الكناية على الحقيقة والمجاز ، وكلّ منهما يصح به المعنى ،
ولا تختل العبارة ، فمن حمل على الحقيقة كالشافعي اعتبر أن اللمس
هو مصافحة الجسد للجسد ، فأوجب الوضوء ، وتلك هي الحقيقة
في اللمس ، ومن حمل على المجاز كأبي حنيفة اعتبر أن اللمس هو
الجماع فذلك هو المجاز . وسيرد معنى المزيد من الكناية وطرائفها
في هذا الكتاب .

٢ — التكرير في قوله : « انظر » أولاً ، ثم قال : « ثم انظر »
ثانياً . وفي ذلك دليل على الاهتمام بالنظر والتدبر ، وإن اختلفت
النظرتان ، فالأولى متعلقة بكيفية إيضاح الله لخلقه الآيات ، والثانية
متعلقة بانصرافهم عنها ، وصدوفهم عن التأمل في مراميها وأهدافها .

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ

وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ۝

اللفة :

(لا تغلوا) : لا تتجاوزوا الحدّ ، والغلاء هو الارتفاع . قال
الحارث بن حلزة الشكري في معلقته :

أو منعتم ما تسألون فمن حدّ ثموه له علينا الغلاء

(الأهواء) : جمع هوى ، وهو ما تدعو اليه شهوة النفس ،
قال أبو عبيدة : « لم نجد الهوى يوضع إلا موضع الشرّ ، لأنه لا يقال :
فلان يهوى ، إلا أنه يقال : يحب الخير » . والهاء مع الواو إذا كانتا
فاء للكلمة وعيناً لها دلّتا على معنى السقوط والانحدار الى جانب ،
يقال : هوى من الجبل ، وهوت الدلو من البشر هويّاً بفتح الهاء ،
وطاح في المهواة والهاوية ، وهي ما بين الجبلين ، وتهاووا فيها : تساقطوا ،
وهذه هوة عميقة ، « وأمه هاوية » وجلست عنده هويّاً ، أي : ملياً ،
ومضى هوي من الليل ، و « استهوته الشياطين » . ومن المجاز قولهم
للجبان : إنه الهواء ، أي : خالي القلب من الجرأة ، وقد تشبث شوقي
بهذه الطرافة اللغوية فقال :

فاتقوا الله في قلوب العذارى فالعذارى قلوبهنّ هواء

ويقال : رجل أهوج : شجاع يرمي نفسه في المهالك والمتالف ،
وناقة هوجاء كأن بها هوجاً ، لسرعتها لا تتعمد موضع المناسم من
الأرض ، وريح هوجاء ورياح هوج ، وهاد الرجل وتهودّ وهودّ ابنه
جعله يهودياً ، وهوّر البناء فتهوّر أي : تهدّم ، إلى آخر هذه المادة .

وهذا كله من خصائص لغتنا الشريفة .

الاعراب :

(قل : أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا)
 كلام مستأنف مسوق لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم وإلزامهم
 بالحجة . وقل فعل أمر ، والهمزة حرف استفهام تويخي تعجبي ،
 وجملة أتعبدون في محل نصب مقول القول ، ومن دون الله متعلقان
 بسحذوف حال ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، واختار
 بعضهم أن تكون نكرة موصوفة ، وجملة لا يملك صلة على الأول
 لا محل لها أو في محل نصب صفة ، ولعل هذا أولى . ولكم متعلقان
 بيملك ، وضراً مفعول به ليملك ، ولا نفعا عطفاً على « ضراً » (والله
 هو السميع العليم) الواو حالية ، والرابط بين الحال وصاحبها هو
 الواو ، ومجيء الحال بعد هذا الكلام مناسب لمقتضى الحال ، والله
 مبتدأ ، وهو ضمير فصل لا محل له ، أو ضمير منفصل في محل رفع
 مبتدأ ، والسميع العليم خبران لـ « الله » أو لـ « هو » ، وقد تقدمت
 ظائره (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) جملة القول
 استئنافية ، وما بعدها في محل نصب مقول القول ، ولا ناهية ، وتغلوا
 فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي دينكم متعلقان بتغلوا ، وغير الحق صفة
 لمفعول مطلق ، أي : غلوا غير الحق ، ويصح كونه حالا من ضمير
 الفاعل ، وهو الواو ، أي : مجاوزين الحق ، وقيل : إن النصب على
 الاستثناء المتصل ، وقيل : على المنقطع (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا
 من قبل وأضلوا كثيراً) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، تتبعوا فعل مضارع
 مجزوم بـ « لا » وأهواء مفعول به ، وقوم مضاف إليه ، وجملة قد
 ضلوا صفة لقوم ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بضلوا ، وبنيت
 قبل على الضم لاتقطاع الطرف عن الإضافة لفظاً لا معنى ، وأضلوا

عطف على قد ضلوا ، وكثيراً مفعول به (وضلوا عن سواء السبيل)
عطف على ما تقدم .

﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ٧٨ ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ٧٩ ﴿
الاعراب :

(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن
مريم) الكلام مستأنف ، ولعن فعل ماض مبني للمجهول ، والذين
فائب فاعل ، وجملة كفروا صلة الموصول ، ومن بني إسرائيل جار
ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وعلى لسان متعلقان بلعن ، وفي أفراد
اللسان بحث شيق سيأتي في باب الفوائد ، وداود مضاف إليه ، وعيسى
عطف على داود ، وابن بدل أو نعت ، ومريم مضاف إليه (ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون) اسم الإشارة مبتدأ ، وبما جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، أي : بسبب
عصيانهم ، والجملة استئنافية ، ويجوز في « ما » أن تكون موصولة ،
وعلى كل حال جملة عصوا لا محل لها من الإعراب ، وجملة كانوا
عطف على عصوا ، منتظمة في حكمها ، والواو اسم كان ، وجملة
يعتدون خبرها (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الجملة لا محل
لها لأنها مفسرة للمعصية والاعتداء ، وكان واسمها ، وجملة لا يتناهون
خبرها ، وعن منكر متعلقان يتناهون ، وجملة فعلوه صفة لمنكر

(لبش ما كانوا يفعلون) اللام جواب قسم محذوف ، وبش فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة في محل نصب تمييز ، أو موصولة فهي في محل رفع فاعل ، أي : الذي فعلوه ، وجملة كانوا صفة لما ، أو لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة يفعلون في محل نصب خبر كانوا .

انطوى توبيخ اليهود على الإخبار بأمرين غاية في القبح والسماجة، أولهما : ما كانوا يجترحونه من المناكر ، والثاني صدوفهم عن التناهي عن هذه المناكر ، وعدم الجنوح اليها في المستقبل ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : « فعلوه » ، فلولا ذكرها لتوهم متوهم أن النهي عن المنكر عند استحقاق النهي عنه والإشراف على تعاطيه ، فانتظم ذكرها الأمرين معاً بوجه بليغ وأسلوب رفيع ، هو الذروة في البلاغة . وليس المراد بالتناهي أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يجترحه من المنكر ، كما هو المتبادر والمشهور لصيغة التفاعل ، بل المراد مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة ، من غير اعتبار أن يكون كل واحد تاهياً ومنهياً ، فكان الإخلال بالتناهي بعد الأمر به معصية .

الفوائد :

القاعدة تقول : إن كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا إلى كليهما من غير تفريق جاز فيهما ثلاثة أوجه :

١ - لفظ الجمع تقول : قطعت رؤوس الكباشين .

٢ - لفظ التشنية تقول : قطعت رأسي الكبشين •

٣ - لفظ الإفراد تقول : قطعت رأس الكبشين •

وقوله في الآية على لسان داود وعيسى بالإفراد دون التشنية والجمع •

﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَشَرٍ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
أَنفُسُهُمْ أَن يَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ﴾ ٨٠ وَلَوْ
كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ
كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾
الأعراب :

(ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) كلام مستأنف مسوق
لمخاطبة النبي بشأن بني إسرائيل الذين يوالون الكفار من أهل مكة •
وترى فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وكثيراً مفعول
به ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » ، وجملة
يتولون في محل نصب على الحال ، لأن الرؤية هنا بصرية ، والذين
مفعول به ، وجملة كفروا صلة الموصول (لبشر ما قدمت لهم أنفسهم
أن يخط الله عليهم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وبشر
فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وفاعله مضمرة فسرته كلمة « ما »
و « ما » نكرة تامة في محل نصب على التمييز ، ويجوز أن تكون « ما »
موصولة في محل رفع فاعل ، وجملة الذم لا محل لها لأنها جواب

القسم ، وجملة قدمت صفة على الأول ، وصلة على الثاني . ولهم متعلقان بقدمت ، وأنفسهم فاعل ، وأن سخط : أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر ، خبره جملة القسم ، كأنه قيل : بئس زادهم في الآخرة سخط الله عليهم . وقال بعضهم : ليس المصدر هو المخصوص بالذم ، لأن نفس السخط المضاف الى الباري عز وجل لا يقال فيه هو المخصوص بالذم ، وإنما هو سبب السخط ، وعلى هذا أعربوه خبراً لمبتدأ محذوف (وفي العذاب هم خالدون) الواو عاطفة ، وفي العذاب متعلقان بـ « خالدون » ، وهم مبتدأ ، وخالدون خبر (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وكان واسمها ، وجملة يؤمنون خبرها ، وبالله متعلقان بيؤمنون ، والنبي عطف على الله ، وما أنزل اليه عطف أيضاً (ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وأولياء مفعول اتخذ الثاني ، ولكن واسمها وخبرها .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا^ط

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي^ج ذَلِكَ بِأَنَّ

مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

اللفظة :

(قَسِيصِينَ) : جمع قَسِيس ، بكسر القاف وتشديد السين ، المكسورة ، بمعنى القس بفتح القاف وتشديد السين ، وهو من كان

بين الأسقف والشمّاس ، وهو أيضاً الكاهن ، ويجمع على قسوس ،
والقسّيس يجمع أيضاً على قسّان ، بضم القاف ، وأقسّة وقساوسة ،
قال الفرّاء : هو مثل مهالبة ، كثرت السينات فأبدلوا إحداهن واوا .
وقال الراغب : قسيسين جمع قسيس ، على فمّيل ، وهو مثال مبالغة
كصدّيق ، وهو هنا رئيس النصارى وعالمهم . وأصله من تقسّس
الشيء إذا اتبعه وتطلّبه بالليل ، يقال تقسّست أصواتهم أي : تتبّعتها
بالليل . وقال غيره : القسّ بفتح القاف : تتبّع الشيء ، ومنه سبي
عالم النصارى قسيساً لتتبعه العلم ، ويقال : قسّ الأثر وقصّه بالصاد
أيضاً ، ويقال : قسّ وقسّ بفتح القاف وكسرهما وقسيس . فأما قسّ
بن ساعدة الإيادي بضم القاف فهو علم ، ويجوز أن يكون ما غيّر
عن طريق العلمية ، ويكون أصله قسّ أو قسّ بفتح القاف وكسرهما ،
وكان أعلم أهل زمانه .

(رهباناً) يكون واحداً وجمعاً ، فأما إذا كان جمعاً فإن واحدهم
يكون راهباً ، ويكون الراهب حينئذ فاعلاً من قول القائل : رهب الله
فلان بمعنى خافه يرهبه رهباً بفتحين ورهباً بفتح الراء وسكون
الهاء ، ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول كثير عزّة :

رهبان مدين والذين عهدتهم يكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خرّوا لعزّة ركعاً وسجودا

وقد يكون الرهبان واحداً ، وإذا كان واحداً كان جمعه رهابين ،
مثل قربان وقرايين ، ويجوز جمعه أيضاً على رهابنة إذا كان كذلك . ومن
الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول الراجز :

لو عانت رهبان دير في القل لانحدر الرهبان يمشي ونزل

الاعراب :

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)
 كلام مستأنف مسوق لتصنيف أهل الكتاب بالنسبة الى مودة المؤمنين ،
 وتكرير قبائح اليهود ، ولين عريكة النصارى ، وسهولة انصياعهم
 للحق . واللام جواب لقسم محذوف ، وتجدن فعل مضارع مبني على
 الفتح والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، وأشد الناس مفعول
 أول لتجد ، وعداوة تمييز ، وللذين متعلقان بأشد ، واليهود مفعول
 به ثان ويجوز العكس ، والذين عطف على اليهود وجملة أشركوا صلة .
 (وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى) الواو
 عاطفة ، والجملة معطوفة على ما تقدم ، وقد تقدم إعرابها ، وجملة إنا
 نصارى في محل نصب مقول القول (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً)
 الجملة مستأنفة مبينة ، واسم الاشارة مبتدأ ، والباء حرف جر ، وأن
 وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان
 بمحذوف خبر ذلك ، ومنهم متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ،
 وقسيسين اسم أن ، ورهباناً عطف على قسيسين (وأنهم لا يستكبرون)
 عطف على « بأن منهم » ، وجملة لا يستكبرون خبر أن .

فهرس المجلد الثاني

٥	تمة سورة آل عمران الآية «٩٨»
١٤٧	إعراب سورة النساء
٤٠٠	إعراب سورة المائدة
٥٤٤	الفهرس

انتهى المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث
بدءاً من الآية «٨٣» من سورة المائدة